الجزء السادس (الامام على بن الحسين زين العابدين «ع»)

فهرس إجمالي‏

الباب الأوّل:

الفصل الأوّل: الإمام زين العابدين عليه السّلام في سطور 17

الفصل الثاني: انطباعات عن شخصيّة الإمام عليه السّلام 21

الفصل الثالث: مظاهر من شخصية الإمام عليه السّلام 27

الباب الثاني:

الفصل الأوّل: نشأة الإمام زين العابدين عليه السّلام 43

الفصل الثّاني: مراحل حياة الإمام زين العابدين عليه السّلام 47

الفصل الثّالث: الإمام زين العابدين عليه السّلام من الولادة الى الإمامة 49

الباب الثالث:

الفصل الأوّل: الإمام عليه السّلام من كربلاء إلى المدينة 59

الفصل الثاني: حياة الإمام عليه السّلام في المدينة 69

الفصل الثالث: استشهاد الإمام زين العابدين عليه السّلام 85

الباب الرابع:

الفصل الأوّل: نظرة عامّة في مسيرة أهل البيت عليهم السّلام الرسالية 89

الفصل الثاني: ملامح عصر الإمام زين العابدين عليه السّلام 105

الفصل الثالث: تخطيط الإمام زين العابدين عليه السّلام و جهاده 109

الفصل الرابع: ظواهر فذّة في حياة الإمام زين العابدين عليه السّلام 123

الباب الخامس:

الفصل الأوّل: من تراث الإمام زين العابدين عليه السّلام 159

الفصل الثاني: رسالة الحقوق 193

الفصل الثّالث: في رحاب الصحيفة السجّادية 205

الفصل الرّابع: مدرسة الإمام زين العابدين عليه السّلام 217

ص:7

[مقدمة المجمع‏]

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم‏

الحمد للّه الذي أعطى كلّ شي‏ء خلقه ثم هدى، ثم الصلاة و السلام على من اختارهم هداة لعباده، لا سيما خاتم الأنبياء و سيّد الرسل و الأصفياء أبو القاسم المصطفى محمد (صلّى اللّه عليه و اله) و على آله الميامين النجباء.

لقد خلق اللّه الانسان و زوّده بعنصري العقل و الإرادة، فبالعقل يبصر و يكتشف الحقّ و يميّزه عن الباطل، و بالإرادة يختار ما يراه صالحا له و محقّقا لأغراضه و أهدافه.

و قد جعل اللّه العقل المميّز حجة له على خلقه، و أعانه بما أفاض على العقول من معين هدايته؛ فإنّه هو الذي علّم الإنسان ما لم يعلم، و أرشده إلى طريق كماله اللائق به، و عرّفه الغاية التي خلقه من أجلها، و جاء به إلى هذه الحياة الدنيا من أجل تحقيقها.

و أوضح القرآن الحكيم بنصوصه الصريحة معالم الهداية الربّانية و آفاقها و مستلزماتها و طرقها، كما بيّن لنا عللها و أسبابها من جهة، و أسفر عن ثمارها و نتائجها من جهة أخرى.

قال تعالى:

ص:8

قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدى‏ [الأنعام (6): 71].

وَ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ إِلى‏ صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ‏ [البقرة (2): 213].

وَ اللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ‏ [الأحزاب (33): 4].

وَ مَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلى‏ صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ‏ [آل عمران (3): 101].

قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَ فَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدى‏ فَما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ‏ [يونس (10): 35].

وَ يَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَ يَهْدِي إِلى‏ صِراطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ [سبأ (34): 6].

وَ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَواهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللَّهِ‏ [القصص (28): 50].

فاللّه تعالى هو مصدر الهداية. و هدايته هي الهداية الحقيقية، و هو الذي يأخذ بيد الإنسان إلى الصراط المستقيم و إلى الحقّ القويم.

و هذه الحقائق يؤيدها العلم و يدركها العلماء و يخضعون لها بمل‏ء وجودهم.

و لقد أودع اللّه في فطرة الانسان النزوع إلى الكمال و الجمال ثمّ منّ عليه بإرشاده إلى الكمال اللائق به، و أسبغ عليه نعمة التعرّف على طريق الكمال، و من هنا قال تعالى: وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ‏ [الذاريات (51): 56]. و حيث لا تتحقّق العبادة الحقيقية من دون المعرفة؛ إذ كانت المعرفة و العبادة طريقا منحصرا و هدفا و غاية موصلة إلى قمّة الكمال.

و بعد أن زوّد اللّه الانسان بطاقتي الغضب و الشهوة ليحقّق له وقود الحركة نحو الكمال؛ لم يؤمن عليه من سيطرة الغضب و الشهوة و الهوى الناشئ منهما، و الملازم لهما. فمن هنا احتاج الانسان- بالإضافة إلى عقله و سائر

ص:9

أدوات المعرفة- الى ما يضمن له سلامة البصيرة و الرؤية؛ كي تتمّ عليه الحجّة، و تكمل نعمة الهداية، و تتوفّر لديه كلّ الأسباب التي تجعله يختار طريق الخير و السعادة، أو طريق الشرّ و الشقاء بمل‏ء إرادته.

و من هنا اقتضت سنّة الهداية الربّانية أن يسند عقل الانسان عن طريق الوحي الإلهي، و من خلال الهداة الذين اختارهم اللّه لتولّي مسؤولية هداية العباد و ذلك عن طريق توفير تفاصيل المعرفة و إعطاء الارشادات اللازمة لكلّ مرافق الحياة.

و قد حمل الأنبياء و أوصياؤهم مشعل الهداية الربّانية منذ فجر التاريخ و على مدى العصور و القرون، و لم يترك اللّه عباده مهملين دون حجة هادية و علم مرشد و نور مضي‏ء، كما أفصحت نصوص الوحي- مؤيّدة لدلائل العقل- بأنّ الأرض لا تخلو من حجة للّه على خلقه، لئلّا يكون للناس على اللّه حجّة، فالحجّة قبل الخلق و مع الخلق و بعد الخلق، و لو لم يبق في الأرض إلّا اثنان لكان أحدهما الحجّة، و صرّح القرآن- بشكل لا يقبل الريب- قائلا:

إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ [الرعد (13): 7].

و يتولّى أنبياء اللّه و رسله و أوصياؤهم الهداة المهديّون مهمّة الهداية بجميع مراتبها، و التي تتلخّص في:

1- تلقّي الوحي بشكل كامل و استيعاب الرسالة الإلهية بصورة دقيقة.

و هذه المرحلة تتطلّب الاستعداد التام لتلقّي الرسالة، و من هنا يكون الاصطفاء الإلهي لرسله شأنا من شؤونه، كما أفصح بذلك الذكر الحكيم قائلا: اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسالَتَهُ‏ [الانعام (6): 124] و اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشاءُ [آل عمران (3): 179].

ص:10

2- إبلاغ الرسالة الإلهية الى البشرية و لمن ارسلوا إليه، و يتوقّف الإبلاغ على الكفاءة التامّة التي تتمثّل في «الاستيعاب و الإحاطة اللازمة» بتفاصيل الرسالة و أهدافها و متطلّباتها، و «العصمة» عن الخطأ و الانحراف معا، قال تعالى: كانَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ وَ أَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ‏ [البقرة (2): 213].

3- تكوين امة مؤمنة بالرسالة الإلهية، و إعدادها لدعم القيادة الهادية من أجل تحقيق أهدافها و تطبيق قوانينها في الحياة، و قد صرّحت آيات الذكر الحكيم بهذه المهمّة مستخدمة عنواني التزكية و التعليم، قال تعالى: يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ [الجمعة (62): 2] و التزكية هي التربية باتجاه الكمال اللائق بالإنسان. و تتطلّب التربية القدوة الصالحة التي تتمتّع بكلّ عناصر الكمال، كما قال تعالى: لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ [الاحزاب: (33): 21].

4- صيانة الرسالة من الزيغ و التحريف و الضياع في الفترة المقرّرة لها، و هذه المهمة أيضا تتطلّب الكفاءة العلمية و النفسية. و التي تسمى العصمة.

5- العمل لتحقيق أهداف الرسالة المعنوية و تثبيت القيم الأخلاقية في نفوس الأفراد و أركان المجتمعات البشرية و ذلك بتنفيذ الاطروحة الربّانية، و تطبيق قوانين الدين الحنيف على المجتمع البشري من خلال تأسيس كيان سياسيّ يتولّى إدارة شؤون الامة على أساس الرسالة الربّانية للبشرية، و يتطلّب التنفيذ قيادة حكيمة، و شجاعة فائقة، و صمودا كبيرا، و معرفة تامة بالنفوس و بطبقات المجتمع و التيارات الفكرية و السياسية و الاجتماعية و قوانين الإدارة و التربية و سنن الحياة، و نلخّصها في الكفاءة العلمية لإدارة دولة عالمية دينية، هذا فضلا عن العصمة التي تعبّر عن الكفاءة النفسية التي تصون القيادة

ص:11

الدينية من كلّ سلوك منحرف أو عمل خاطئ بإمكانه أن يؤثّر تأثيرا سلبيّا على مسيرة القيادة و انقياد الامة لها بحيث يتنافى مع أهداف الرسالة و أغراضها.

و قد سلك الأنبياء السابقون و أوصياؤهم المصطفون طريق الهداية الدامي، و اقتحموا سبيل التربية الشاقّ، و تحمّلوا في سبيل أداء المهامّ الرسالية كلّ صعب، و قدّموا في سبيل تحقيق أهداف الرسالات الإلهية كلّ ما يمكن أن يقدّمه الإنسان المتفاني في مبدئه و عقيدته، و لم يتراجعوا لحظة، و لم يتلكّأوا طرفة عين.

و قد توّج اللّه جهودهم و جهادهم المستمرّ على مدى العصور برسالة خاتم الأنبياء محمد بن عبد اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) و حمّله الأمانة الكبرى و مسؤولية الهداية بجميع مراتبها، طالبا منه تحقيق أهدافها. و قد خطا الرسول الأعظم (صلّى اللّه عليه و اله) في هذا الطريق الوعر خطوات مدهشة، و حقّق في أقصر فترة زمنية أكبر نتاج ممكن في حساب الدعوات التغييرية و الرسالات الثورية، و كانت حصيلة جهاده و كدحه ليل نهار خلال عقدين من الزمن ما يلي:

1- تقديم رسالة كاملة للبشرية تحتوي على عناصر الديمومة و البقاء.

2- تزويدها بعناصر تصونها من الزيغ و الانحراف.

3- تكوين امة مسلمة تؤمن بالإسلام مبدأ، و بالرسول قائدا، و بالشريعة قانونا للحياة.

4- تأسيس دولة إسلامية و كيان سياسيّ يحمل لواء الإسلام و يطبّق شريعة السماء.

5- تقديم الوجه المشرق للقيادة الربّانية الحكيمة المتمثّلة في قيادته (صلّى اللّه عليه و اله).

ص:12

و لتحقيق أهداف الرسالة بشكل كامل كان من الضروري:

أ- أن تستمرّ القيادة الكفوءة في تطبيق الرسالة و صيانتها من أيدي العابثين الذين يتربّصون بها الدوائر.

ب- أن تستمرّ عملية التربية الصحيحة باستمرار الأجيال؛ على يد مربّ كفوء علميا و نفسيا حيث يكون قدوة حسنة في الخلق و السلوك كالرسول (صلّى اللّه عليه و اله)، يستوعب الرسالة و يجسّدها في كل حركاته و سكناته.

و من هنا كان التخطيط الإلهيّ يحتّم على الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) إعداد الصفوة من أهل بيته، و التصريح بأسمائهم و أدوارهم؛ لتسلّم مقاليد الحركة النبويّة العظيمة و الهداية الربّانية الخالدة بأمر من اللّه سبحانه و صيانة للرسالة الإلهية التي كتب اللّه لها الخلود من تحريف الجاهلين و كيد الخائنين، و تربية للأجيال على قيم و مفاهيم الشريعة المباركة التي تولّوا تبيين معالمها و كشف أسرارها و ذخائرها على مرّ العصور، و حتى يرث اللّه الأرض و من عليها.

و تجلّى هذا التخطيط الربّاني في ما نصّ عليه الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) بقوله: «إنّي تارك فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا، كتاب اللّه و عترتي، و إنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض».

و كان أئمة أهل البيت صلوات اللّه عليهم خير من عرّفهم النبي الأكرم (صلّى اللّه عليه و اله) بأمر من اللّه تعالى لقيادة الامّة من بعده.

إنّ سيرة الأئمّة الاثني عشر من أهل البيت (عليهم السّلام) تمثّل المسيرة الواقعية للاسلام بعد عصر الرسول (صلّى اللّه عليه و اله)، و دراسة حياتهم بشكل مستوعب تكشف لنا عن صورة مستوعبة لحركة الاسلام الأصيل الذي أخذ يشقّ طريقه إلى أعماق الامة بعد أن أخذت طاقتها الحرارية تتضاءل بعد وفاة الرسول (صلّى اللّه عليه و اله)،

ص:13

فأخذ الأئمة المعصومون (عليهم السّلام) يعملون على توعية الامة و تحريك طاقتها باتجاه إيجاد و تصعيد الوعي الرساليّ للشريعة و لحركة الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) و ثورته المباركة، غير خارجين عن مسار السنن الكونية التي تتحكّم في سلوك القيادة و الامة جمعاء.

و تبلورت حياة الأئمّة الراشدين في استمرارهم على نهج الرسول العظيم و انفتاح الامة عليهم و التفاعل معهم كأعلام للهداية و مصابيح لإنارة الدرب للسالكين المؤمنين بقيادتهم، فكانوا هم الأدلّاء على اللّه و على مرضاته، و المستقرّين في أمر اللّه، و التامّين في محبّته، و الذائبين في الشوق اليه، و السابقين إلى تسلّق قمم الكمال الإنسانيّ المنشود.

و قد حفلت حياتهم بأنواع الجهاد و الصبر على طاعة اللّه و تحمّل جفاء أهل الجفاء حتّى ضربوا أعلى أمثلة الصمود لتنفيذ أحكام اللّه تعالى، ثم اختاروا الشهادة مع العزّ على الحياة مع الذلّ، حتى فازوا بلقاء اللّه سبحانه بعد كفاح عظيم و جهاد كبير.

و لا يستطيع المؤرّخون و الكتّاب أن يلمّوا بجميع زوايا حياتهم العطرة و يدّعوا دراستها بشكل كامل، و من هنا فإنّ محاولتنا هذه إنّما هي إعطاء قبسات من حياتهم، و لقطات من سيرتهم و سلوكهم و مواقفهم التي دوّنها المؤرّخون و استطعنا اكتشافها من خلال مصادر الدراسة و التحقيق، عسى اللّه أن ينفع بها إنّه وليّ التوفيق.

إنّ دراستنا لحركة أهل البيت (عليهم السّلام) الرسالية تبدء برسول الإسلام و خاتم الأنبياء محمد بن عبد اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) و تنتهي بخاتم الأوصياء، محمد بن الحسن العسكري المهدي المنتظر عجّل اللّه تعالى فرجه و أنار الأرض بعدله.

ص:14

و يختص هذا الكتاب بدراسة حياة الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين (عليه السّلام) و هو المعصوم السادس من أعلام الهداية و الرابع من الأئمة الأثني عشر بعد رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) و الذي جسّد الاسلام المحمّدي بكل أبعاده في حياته الفردية و الاجتماعية في ظروف اجتماعية و سياسية عصيبة فحقق القيّم الاسلامية المثلى في الفكر و العقيدة و الخلق و السلوك و كان نبراسا يشعّ ايمانا و طهرا و بهاء للعالمين.

و لا بدّ لنا من تقديم الشكر الى كلّ الاخوة الأعزّاء الذين بذلوا جهدا وافرا و شاركوا في إنجاز هذا المشروع المبارك و إخراجه إلى عالم النور، لا سيما أعضاء لجنة التأليف بإشراف سماحة السيد منذر الحكيم حفظه اللّه تعالى.

و لا يسعنا إلّا أن نبتهل الى اللّه تعالى بالدعاء و الشكر لتوفيقه على إنجاز هذه الموسوعة المباركة فإنه حسبنا و نعم النصير.

المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السّلام قم المقدسة

ص:15

الباب الأوّل فيه فصول:

الفصل الأول:

الإمام زين العابدين (عليه السّلام) في سطور الفصل الثاني:

انطباعات عن شخصية الإمام (عليه السّلام) الفصل الثالث:

مظاهر من شخصيّة الإمام زين العابدين (عليه السّلام)

ص:17

الفصل الأوّل الإمام زين العابدين (عليه السّلام) في سطور

\* هو الإمام عليّ بن الحسين (عليه السّلام) رابع أئمة أهل البيت (عليهم السّلام)، و جدّه الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وصيّ رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله)، و أوّل من أسلم و آمن برسالته، و كان منه بمنزلة هارون من موسى، كما صحّ في الحديث عنه‏[[1]](#footnote-1).

و جدّته فاطمة الزهراء بنت رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) و بضعته، و فلذة كبده، و سيّدة نساء العالمين كما كان أبوها يصفها.

\* و أبوه الإمام الحسين (عليه السّلام) أحد سيّدي شباب أهل الجنّة، سبط الرسول و ريحانته و من قال فيه جدّه (صلّى اللّه عليه و اله): «حسين منّي و أنا من حسين»، و هو الذي استشهد في كربلاء يوم عاشوراء دفاعا عن الإسلام و المسلمين.

\* و هو أحد الأئمّة الاثني عشر (عليهم السّلام) الذين نصّ عليهم النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) كما جاء في صحيحي البخاري و مسلم و غيرهما، إذ قال: «الخلفاء بعدي اثنا عشر كلّهم من قريش»[[2]](#footnote-2).

\* و قد ولد الإمام عليّ بن الحسين (عليهما السّلام) في سنة ثمان و ثلاثين للهجرة،

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) صحيح مسلم: 7/ 121.

(2) إثبات الهداة: 2/ 320 حديث 116.

ص:18

و قيل قبل ذلك بسنة أو سنتين.

\* و عاش سبعة و خمسين سنة تقريبا، قضى ما يقارب سنتين أو أربع منها في كنف جدّه الإمام عليّ (عليه السّلام)، ثمّ ترعرع في مدرسة عمّه الحسن و أبيه الحسين (عليهما السّلام) سبطي الرسول الأعظم (صلّى اللّه عليه و اله)، و ارتوى من نمير العلوم النبوية، و استقى من ينبوع أهل البيت الطاهرين.

\* برز على الصعيد العلمي إماما في الدين و منارا في العلم، و مرجعا لأحكام الشريعة و علومها، و مثلا أعلى في الورع و العبادة و التقوى، و اعترف المسلمون جميعا بعلمه و استقامته و أفضليّته، و انقاد الواعون منهم إلى زعامته و فقهه و مرجعيّته.

\* كان للمسلمين عموما تعلّق عاطفي شديد بهذا الإمام، و ولاء روحي عميق له، و كانت قواعده الشعبية ممتدّة في كلّ مكان من العالم الإسلامي، كما يشير إلى ذلك موقف الحجيج الأعظم منه، حينما حجّ هشام بن عبد الملك‏[[3]](#footnote-3).

\* لم تكن ثقة الامّة بالإمام زين العابدين (عليه السّلام)- على اختلاف اتجاهاتها و مذاهبها- مقتصرة على الجانب الفقهي و الروحي فحسب، بل كانت تؤمن به مرجعا و قائدا، و مفزعا في كلّ مشاكل الحياة و قضاياها، بوصفه امتدادا لآبائه الطاهرين.

و من هنا نجد أنّ عبد الملك بن مروان قد استنجد بالإمام زين العابدين (عليه السّلام) لحلّ مشكلة التعامل بالنقود الرومية إبّان تهديد الملك الروماني‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) اختيار معرفة الرجال: 129- 132 ح 207، و الجاحظ في البيان و التبيين: 1/ 286، الأغاني: 14/ 75 و 19/ 40، و ابن خلكان في وفيات الأعيان: 2/ 338 ط ايران.

ص:19

له بإذلال المسلمين‏[[4]](#footnote-4).

\* و قد قدّر للإمام زين العابدين أن يتسلّم مسؤولياته القيادية و الروحية بعد استشهاد أبيه (عليه السّلام) فمارسها خلال النصف الثاني من القرن الأول، في مرحلة من أدقّ المراحل التي مرّت بها الامة وقتئذ، و هي المرحلة التي أعقبت موجة الفتوح الاولى، فقد امتدّت هذه الموجة بزخمها الروحي و حماسها العسكري و العقائدي، فزلزلت عروش الأكاسرة و القياصرة، و ضمّت شعوبا مختلفة و بلادا واسعة إلى الدعوة الجديدة، و أصبح المسلمون قادة الجزء الأعظم من العالم المتمدّن وقتئذ خلال نصف قرن.

\* تعرضت الامة الإسلامية في عصر هذا الإمام (عليه السّلام) لخطرين كبيرين:

الخطر الأول: هو خطر الانفتاح على الثقافات المتنوعة، و الذي قد ينتهي بالامة إلى التميّع و الذوبان و فقدان أصالتها، فكان لا بدّ من عمل علمي يؤكّد للمسلمين أصالتهم الفكرية و شخصيّتهم التشريعية المتميّزة المستمدة من الكتاب و السنّة. و كان لا بدّ من تأصيل للشخصية الاسلامية، و ذلك من خلال زرع بذور الاجتهاد.

و هذا ما قام به الإمام علي بن الحسين (عليه السّلام) فقد بدأ حلقة من البحث و الدرس في مسجد الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) و أخذ يحدّث الناس بصنوف المعرفة الإسلامية، من تفسير و حديث و فقه و تربية و عرفان، وراح يفيض عليهم من علوم آبائه الطاهرين.

و هكذا تخرّج من هذه الحلقة الدراسيّة عدد مهمّ من فقهاء المسلمين،

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) انظر: دراسات و بحوث للعاملي: 1/ 127- 137.

ص:20

و كانت هذه الحلقة المباركة هي المنطلق لما نشأ بعد ذلك من مدارس الفقه الإسلامي و كانت الأساس لحركة الفقه الناشطة.

\* الخطر الثاني: هو الخطر الناجم عن موجة الرخاء و الانسياق مع ملذّات الحياة الدنيا و الإسراف في زينة هذه الحياة المحدودة، و بالتالي ضمور الشعور بالقيم الخلقية.

و قد اتّخذ الإمام زين العابدين (عليه السّلام) من الدعاء أساسا هذا الخطر الكبير الذي ينخر في الشخصية الإسلامية و يهزّها من داخلها هزّا عنيفا و يحول بينها و بين الاستمرار في أداء رسالتها. و من هنا كانت «الصحيفة السجادية» تعبيرا صادقا عن عمل اجتماعي عظيم كانت ضرورة المرحلة تفرضه على الإمام (عليه السّلام)، إضافة إلى كونها تراثا ربّانيا فريدا يظلّ على مرّ الدهور مصدر عطاء و مشعل هداية و مدرسة أخلاق و تهذيب، و تظلّ الإنسانية بحاجة إلى هذا التراث المحمّدي العلوي، و تزداد إليه حاجة كلّما ازداد الشيطان للإنسانية إغراء و الدنيا فتنة له‏[[5]](#footnote-5).

\*\*\*\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) السيد الشهيد محمد باقر الصدر (قدّس سرّه) في مقدمته للصحيفة السجادية.

ص:21

الفصل الثّاني انطباعات عن شخصيّة الإمام زين العابدين (عليه السّلام)

اتّفق المسلمون على تعظيم الإمام زين العابدين (عليه السّلام) و أجمعوا على الاعتراف له بالفضل، و أنّه علم شاهق في هذه الدنيا، لا يدانيه أحد في فضائله و علمه و تقواه، و كان من مظاهر تبجيلهم له: أنّهم كانوا يتبركون بتقبيل يده و وضعها على عيونهم‏[[6]](#footnote-6)، و لم يقتصر تعظيمه على الذين صحبوه أو التقوا به، و إنّما شمل المؤرخين على اختلاف ميولهم و اتّجاهاتهم، فقد رسموا بإعجاب و إكبار سيرته، و أضفوا عليه جميع الألقاب الكريمة و النعوت الشريفة.

أقوال و آراء معاصريه فيه (عليه السّلام):

عبّر المعاصرون للإمام (عليه السّلام) من العلماء و الفقهاء و المؤرّخين بانطباعاتهم عن شخصيّته، و كلها إكبار و تعظيم له، سواء في ذلك من أخلص له في الودّ أو أضمر له العداوة و البغضاء، و فيما يلي نبذة من كلماتهم:

1- قال الصحابيّ الجليل جابر بن عبد اللّه الأنصاري: ما رؤي في أولاد الأنبياء مثل عليّ بن الحسين (عليه السّلام) ...[[7]](#footnote-7).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) العقد الفريد: 2/ 251.

(2) حياة الإمام زين العابدين، دراسة و تحليل: 1/ 126.

ص:22

2- كان عبد اللّه بن عباس على تقدّمه في السنّ يجلّ الإمام (عليه السّلام) و ينحني خضوعا له و تكريما، فإذا رآه قام تعظيما و رفع صوته قائلا: مرحبا بالحبيب ابن الحبيب‏[[8]](#footnote-8).

3- وصف محمّد بن مسلم القرشي الزهري بالفقيه، و أحد الأئمّة الأعلام و عالم الحجاز و الشام‏[[9]](#footnote-9) و قد كان على خطّ غير أهل البيت (عليهم السّلام) و لكنّه أدلى بمجموعة من الكلمات القيّمة أعرب فيها عمّا يتصف به الإمام (عليه السّلام) من القيم الكريمة و المثل العظيمة، و هذه بعض كلماته:

أ- ما رأيت هاشميا مثل عليّ بن الحسين ...[[10]](#footnote-10).

ب- لم أدرك في أهل البيت رجلا كان أفضل من علي بن الحسين‏[[11]](#footnote-11).

ج- ... ما رأيت أحدا أفقه منه‏[[12]](#footnote-12).

4- سعيد بن المسيّب: و هو من الفقهاء البارزين في يثرب، و قال عنه الرواة: إنّه ليس من التابعين من هو أوسع منه علما[[13]](#footnote-13)، و قد صحب الإمام (عليه السّلام) و وقف على ورعه، و شدّة تحرّجه في الدين، و قد سجّل ما رآه بهذه الكلمات:

أ- ما رأيت قطّ أفضل من عليّ بن الحسين (عليه السّلام)، و ما رأيته قطّ إلّا مقتّ نفسي ...[[14]](#footnote-14).

ب- ما رأيت أورع منه ...[[15]](#footnote-15).

ج- كان سعيد جالسا و إلى جانبه فتى من قريش، فطلع الإمام (عليه السّلام) فسأل‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) تأريخ دمشق: 36/ 147، و تذكرة الخواص: 324.

(2) تهذيب التهذيب: 9/ 445.

(3) الأغاني: 15/ 325.

(4 و 5) شذرات الذهب: 1/ 105.

(6) تهذيب التهذيب: 4/ 85.

(7) تأريخ اليعقوبي: 3/ 46.

(8) العبر في خبر من غبر: 1/ 111.

ص:23

القريشيّ سعيدا عنه، فأجابه سعيد: هذا سيّد العابدين‏[[16]](#footnote-16).

5- زيد بن أسلم: و كان في طليعة فقهاء المدينة، و من مفسّري القرآن‏[[17]](#footnote-17)، و قد أدلى بعدّة كلمات بشأن الإمام (عليه السّلام) منها:

أ- ما جالست في أهل القبلة مثله‏[[18]](#footnote-18).

ب- ما رأيت مثل عليّ بن الحسين فيهم (أي: في أهل البيت)[[19]](#footnote-19).

ج- ما رأيت مثل عليّ بن الحسين فهما حافظا[[20]](#footnote-20).

6- حماد بن زيد: و هو من أبرز فقهاء البصرة، اعتبر من أئمّة المسلمين‏[[21]](#footnote-21)، قال فيه: كان عليّ بن الحسين أفضل هاشميّ أدركته‏[[22]](#footnote-22).

7- يحيى بن سعيد: و هو من كبار التابعين، و من أفاضل الفقهاء و العلماء[[23]](#footnote-23)،

و قد قال: سمعت عليّ بن الحسين و كان أفضل هاشمي رأيته‏[[24]](#footnote-24).

8- لقد تعدّى الاعتراف بالفضل للإمام (عليه السّلام) إلى أعدائه و مبغضيه، فهذا يزيد بن معاوية و بعد أن ألحّ عليه أهل الشام في أن يخطب الإمام (عليه السّلام) أبدى مخاوفه منه قائلا: إنّه من أهل بيت زقّوا العلم زقّا، إنّه لا ينزل إلّا بفضيحتي و فضيحة آل أبي سفيان ...[[25]](#footnote-25)

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) الفصول المهمة: 189.

(2) تهذيب التهذيب: 3/ 395.

(3 و 4) حياة الإمام زين العابدين: 1/ 129 عن تأريخ دمشق: 12/ ق 1/ الورقة 19.

(5) طبقات الفقهاء: 2/ 34.

(6) تهذيب التهذيب: 3/ 9.

(7) تهذيب اللغات و الأسماء، القسم الأول: 343.

(8) حياة الإمام زين العابدين (دراسة و تحليل): 1/ 130 عن تهذيب التهذيب.

(9) المصدر السابق عن تهذيب الكمال م 7/ ق 2/ الورقة 336.

(10) نفس المهموم: 448- 452 ط قم عن مناقب آل أبي طالب: 4/ 181 عن كتاب الأحمر عن الأوزاعي:

الخطبة بدون المقدمة، و المقدمة عن الكامل للبهائي: 2/ 299- 302 و انظر حياة الإمام زين العابدين للقرشي: 1/ 175.

ص:24

9- عبد الملك بن مروان: و هذا عدوّ آخر يقول للإمام (عليه السّلام): ... إنّك لذو فضل عظيم على أهل بيتك و عصرك، و لقد اوتيت من الفضل و العلم و الدين و الورع ما لم يؤته أحد مثلك و لا قبلك إلّا من مضى من سلفك ...[[26]](#footnote-26).

10- منصور الدوانيقي: و هذا عدوّ آخر أيضا لأهل البيت (عليهم السّلام) قد أشاد بفضل الإمام (عليه السّلام) في رسالته إلى ذي النفس الزكية بقوله: و لم يولد فيكم (أي في العلويّين) بعد وفاة رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) مولود مثله (أي مثل زين العابدين)[[27]](#footnote-27).

آراء العلماء و المؤرخين فيه (عليه السّلام):

1- قال اليعقوبي: كان أفضل الناس و أشدّهم عبادة، و كان يسمّى: زين العابدين، و كان يسمّى أيضا: ذا الثفنات، لما كان في وجهه من أثر السجود ...[[28]](#footnote-28).

2- قال الحافظ أبو القاسم عليّ بن الحسن الشافعي المعروف بابن عساكر: في ترجمة الإمام (عليه السّلام): كان عليّ بن الحسين ثقة مأمونا، كثير الحديث، عاليا رفيعا ...[[29]](#footnote-29).

3- قال الذهبي: كانت له جلالة عجيبة، و حقّ له و اللّه ذلك، فقد كان أهلا للإمامة العظمى؛ لشرفه و سؤدده و علمه و تألّهه و كمال عقله ...[[30]](#footnote-30)

4- قال الحافظ أبو نعيم: قال: عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب (عليهم السّلام)

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) بحار الأنوار: 46/ 75.

(2) الكامل للمبرد: 2/ 467، العقد الفريد: 5/ 310.

(3) تاريخ اليعقوبي: 3/ 46.

(4) تأريخ دمشق: 36/ 142.

(5) سير أعلام النبلاء: 4/ 240.

ص:25

زين العابدين و منار القانتين، كان عابدا وفيّا و جوادا صفيّا ...[[31]](#footnote-31).

5- قال صفيّ الدين: كان زين العابدين عظيم الهدى و السمت الصالح ...[[32]](#footnote-32).

6- قال النووي: و أجمعوا على جلالته في كلّ شي‏ء ...[[33]](#footnote-33)

7- قال عماد الدين إدريس القرشي: كان الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين أفضل أهل بيت رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) و أشرفهم بعد الحسن و الحسين عليهم جميعا الصلاة و السلام، و أكثرهم ورعا و زهدا و عبادة[[34]](#footnote-34).

8- قال النسّابة الشهير ابن عنبة: و فضائله (عليه السّلام) أكثر من أن تحصى أو يحيط بها الوصف‏[[35]](#footnote-35).

9- قال الشيخ المفيد: كان عليّ بن الحسين أفضل خلق اللّه بعد أبيه علما و عملا، و قال: قد روى عنه فقهاء العامّة من العلوم ما لا يحصى كثرة، و حفظ عنه من المواعظ و الأدعية و فضائل القرآن و الحلال و الحرام و المغازي و الأيام ما هو مشهور بين العلماء ...[[36]](#footnote-36).

10- و قال ابن تيمية: أمّا عليّ بن الحسين فمن كبار التابعين و ساداتهم علما و دينا ... و له من الخشوع و صدقة السرّ و غير ذلك من الفضائل ما هو معروف‏[[37]](#footnote-37).

11- قال الشيخاني القادري: سيّدنا زين العابدين عليّ بن الحسين بن أبي طالب اشتهرت أياديه و مكارمه، و طارت بالجوّ في الجود محاسنه، عظيم القدر، رحب الساحة و الصدر، و له الكرامات الظاهرة ما شوهد بالأعين الناظرة

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) حلية الأولياء: 3/ 133.

(2) وسيلة المآل في عدّ مناقب الآل: 280.

(3) عن تهذيب اللغات و الأسماء: ق 1/ 343.

(4) عيون الأخبار و فنون الآثار: 144.

(5) عمدة الطالب: 193.

(6) الإرشاد: 2/ 138 و 153.

(7) منهاج السنّة: 2/ 123.

ص:26

و ثبت بالآثار المتواترة ...[[38]](#footnote-38).

12- قال محمّد بن طلحة القرشي الشافعي: هذا زين العابدين، قدوة الزاهدين، و سيّد المتقين، و إمام المؤمنين، شيمته تشهد له أنّه من سلالة رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) و سمته يثبت مقام قربه من اللّه زلفا، و ثفناته تسجّل له كثرة صلاته و تهجّده، و إعراضه عن متاع الدنيا ينطق بزهده فيها، درّت له أخلاق التقوى فتفوّقها، و أشرقت له أنوار التأييد فاهتدى بها، و آلفته أوراد العبادة فآنس بصحبتها، و حالفته وظايف الطاعة فتحلّى بحليتها، طالما اتّخذ الليل مطيّة ركبها لقطع طريق الآخرة، و ظمأ الهواجر دليلا استرشد به في مسافة المسافرة، و له من الخوارق و الكرامات ما شوهد بالأعين الباصرة و ثبت بالآثار المتواترة و شهد له أنّه من ملوك الآخرة ...[[39]](#footnote-39).

13- قال الإمام الشافعي: إنّ عليّ بن الحسين أفقه أهل المدينة[[40]](#footnote-40).

14- قال الجاحظ: و أمّا عليّ بن الحسين فلم أر الخارجي في أمره إلّا كالشيعي، و لم أر الشيعي إلّا كالمعتزلي، و لم أر المعتزلي إلّا كالعامي، و لم أر العامي إلّا كالخاصي، و لم أجد أحدا يتمارى في تفضيله و يشك في تقديمه ...[[41]](#footnote-41).

15- قال سبط ابن الجوزي: و هو أبو الأئمّة و كنيته أبو الحسن و يلقب بزين العابدين و سمّاه رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) سيد العابدين ... و السجاد؛ و ذي الثفنات، و الزكي و الأمين، و الثفنات: ما يقع على الأرض من أعضاء البعير إذا استناخ و غلظ كالركبتين فكان طول السجود قد أثّر في ثفناته‏[[42]](#footnote-42).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) الصراط السوي الورقة 19.

(2) مطالب السؤول: 2/ 41.

(3) رسائل الجاحظ: 106.

(4) عمدة الطالب: 193- 194.

(5) تذكرة الخواص: 324.

ص:27

الفصل الثّالث مظاهر من شخصيّة الإمام زين العابدين (عليه السّلام)

الحلم:

كان الإمام من أعظم الناس حلما، و أكظمهم للغيظ، فمن صور حلمه التي رواها المؤرّخون:

1- كانت له جارية تسكب على يديه الماء إذا أراد الوضوء للصلاة، فسقط الإبريق من يدها على وجهه الشريف فشجّه، فبادرت الجارية قائلة: إنّ اللّه عزّ و جلّ يقول: وَ الْكاظِمِينَ الْغَيْظَ و أسرع الإمام قائلا: «كظمت غيظي»، و طمعت الجارية في حلم الإمام و نبله، فراحت تطلب منه المزيد قائلة:

وَ الْعافِينَ عَنِ النَّاسِ‏ فقال الإمام (عليه السّلام): «عَفَا اللَّهُ عَنْكَ»، ثمّ قالت: وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ‏ فقال (عليه السّلام) لها: «إذهبي فأنت حرّة»[[43]](#footnote-43).

2- سبّه لئيم فأشاح (عليه السّلام) بوجهه عنه، فقال له اللئيم: إيّاك أعني ... و أسرع الإمام قائلا: «و عنك اغضي ...» و تركه الإمام و لم يقابله بالمثل‏[[44]](#footnote-44).

3- و من عظيم حلمه (عليه السّلام): أنّ رجلا افترى عليه و بالغ في سبّه،

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) أمالي الصدوق: 168 ح 12 و الارشاد: 2/ 146، و مناقب آل أبي طالب: 4/ 157، تاريخ دمشق: 36/ 155 و ابن منظور في مختصره: 17/ 240، و سير أعلام النبلاء: 4/ 397، و نهاية الارب: 21/ 326.

(2) مناقب آل أبي طالب: 4/ 171، و البداية و النهاية: 9/ 105.

ص:28

فقال (عليه السّلام) له: «إن كنّا كما قلت فنستغفر اللّه، و إن لم نكن كما قلت فغفر اللّه لك ...»[[45]](#footnote-45).

السخاء:

أجمع المؤرّخون على أنّه كان من أسخى الناس و أنداهم كفّا، و أبرّهم بالفقراء و الضعفاء، و قد نقلوا نوادر كثيرة من فيض جوده، منها:

1- مرض محمّد بن اسامة فعاده الإمام (عليه السّلام)، و لمّا استقرّ به المجلس أجهش محمّد بالبكاء، فقال له الإمام (عليه السّلام): ما يبكيك؟ فقال: عليّ دين، فقال له الإمام: كم هو؟ فأجاب: خمسة عشر ألف دينار، فقال له الإمام (عليه السّلام): هي عليّ، و لم يقم الإمام من مجلسه حتى دفعها له‏[[46]](#footnote-46).

2- و من كرمه و سخائه أنّه كان يطعم الناس إطعاما عامّا في كلّ يوم، و ذلك في وقت الظهر في داره‏[[47]](#footnote-47).

3- و كان يعول مائة بيت في السرّ، و كان في كلّ بيت جماعة من الناس‏[[48]](#footnote-48).

تعامله مع الفقراء:

أ- تكريمه للفقراء: كان (عليه السّلام) يحتفي بالفقراء و يرعى عواطفهم و مشاعرهم، فكان إذا أعطى سائلا قبّله، حتى لا يرى عليه أثر الذلّ‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) الإرشاد: 1/ 146 عن نسب آل أبي طالب للعبيدلي النسّابة م 270 ه.

(2) الإرشاد: 2/ 149، و مناقب آل أبي طالب: 4/ 163 و راجع: البداية و النهاية: 9/ 105، و سير أعلام النبلاء:

4/ 239.

(3) تأريخ اليعقوبي: 2/ 259 ط بيروت.

(4) مناقب آل أبي طالب: 4/ 166 عن الباقر (عليه السّلام) و عن أحمد بن حنبل، و كشف الغمة: 2/ 289 عن مطالب السؤول عن حلية الأولياء، و في الكشف: 2/ 312، عن الجنابذي، و لكن فيه: 2/ 304 عنه أيضا عن الصادق (عليه السّلام) قال: كان يعول سبعين بيتا.

ص:29

و الحاجة[[49]](#footnote-49)، و كان إذا قصده سائل رحّب به و قال له: «مرحبا بمن يحمل زادي إلى دار الآخرة»[[50]](#footnote-50).

ب- عطفه على الفقراء: كان (عليه السّلام) كثير العطف و الحنان على الفقراء و المساكين، و كان يعجبه أن يحضر على مائدة طعامه اليتامى و الأضراء و الزمنى و المساكين الذين لا حيلة لهم، و كان يناولهم بيده، كما كان يحمل لهم الطعام أو الحطب على ظهره حتى يأتي بابا من أبوابهم فيناولهم إيّاه‏[[51]](#footnote-51). و بلغ من مراعاته لجانب الفقراء و العطف عليهم أنّه كره اجتذاذ النخل في الليل؛ و ذلك لعدم حضور الفقراء في هذا الوقت فيحرمون من العطاء، فقد قال (عليه السّلام) لقهرمانه و قد جذّ نخلا له من آخر الليل: «لا تفعل، ألا تعلم أنّ رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) نهى عن الحصاد و الجذاذ بالليل؟!». و كان يقول: «الضغث تعطيه من يسأل فذلك حقه يوم حصاده»[[52]](#footnote-52).

ج- نهيه عن ردّ السائل: و نهى الإمام (عليه السّلام) عن ردّ السائل؛ و ذلك لما له من المضاعفات السيّئة التي منها زوال النعمة و فجأة النقمة.

و أكد الإمام (عليه السّلام) على ضرورة ذلك في كثير من أحاديثه، فقد روى أبو حمزة الثمالي، قال: صلّيت مع عليّ بن الحسين الفجر بالمدينة يوم جمعة، فلمّا فرغ من صلاته نهض إلى منزله و أنا معه، فدعا مولاة له تسمّى سكينة، فقال لها: «لا يعبر على بابي سائل إلّا أطعمتموه فإنّ اليوم جمعة»، فقال له أبو حمزة: ليس من يسأل مستحقا، فقال (عليه السّلام): «أخاف أن يكون بعض من يسألنا مستحقا فلا نطعمه،

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) حلية الأولياء: 3/ 137، و عنه في مناقب آل أبي طالب: 4/ 167.

(2) كشف الغمة: 3/ 288 عن مطالب السؤول للشافعي عن حلية الأولياء للاصفهاني.

(3) مناقب آل أبي طالب: 4/ 166 و 167 عن الباقر (عليه السّلام).

(4) بحار الأنوار: 46/ 62.

ص:30

و نردّه فينزل بنا أهل البيت ما نزل بيعقوب و آله، أطعموهم، أطعموهم، إنّ يعقوب كان يذبح كلّ يوم كبشا فيتصدّق منه، و يأكل منه هو و عياله، و إنّ سائلا مؤمنا صوّاما مستحقّا، له عند اللّه منزلة اجتاز على باب يعقوب يوم جمعة عند أوان إفطاره، فجعل يهتف على بابه:

أطعموا السائل الغريب الجائع من فضل طعامكم، و هم يسمعونه، قد جهلوا حقّه، و لم يصدّقوا قوله، فلمّا يئس منهم و غشيه الليل مضى على وجهه، و بات طاويا يشكو جوعه إلى اللّه، و بات يعقوب و آل يعقوب شباعا بطانا و عندهم فضلة من طعامهم، فأوحى اللّه إلى يعقوب في صبيحة تلك الليلة: لقد أذللت عبدي ذلة استجررت بها غضبي، و استوجبت بها أدبي و نزول عقوبتي، و بلواي عليك و على ولدك، يا يعقوب أحبّ أنبيائي إليّ و أكرمهم عليّ من رحم مساكين عبادي و قرّبهم إليه و أطعمهم و كان لهم مأوى و ملجأ، أما رحمت عبدي المجتهد في عبادته، القانع باليسير من ظاهر الدنيا؟! أما و عزّتي لأنزلنّ بك بلواي، و لأجعلنّك و ولدك غرضا للمصائب. فقال أبو حمزة: جعلت فداك متى رأى يوسف الرؤيا؟ قال (عليه السّلام): في تلك الليلة التي بات فيها يعقوب و آله شباعا و بات السائل الفقير طاويا جائعا»[[53]](#footnote-53).

صدقاته:

و كان من أعظم ما يصبو إليه الامام زين العابدين (عليه السّلام) في حياته الصدقة على الفقراء لإنعاشهم و رفع البؤس عنهم، و كان (عليه السّلام) يحثّ على الصدقة؛ و ذلك لما يترتّب عليها من الأجر الجزيل، فقد قال: «ما من رجل تصدّق على مسكين مستضعف فدعا له المسكين بشي‏ء في تلك الساعة إلّا استجيب له»[[54]](#footnote-54).

و نشير إلى بعض ألوان صدقاته و جميل خصاله:

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) علل الشرائع: 1/ 61 ب 42 ح 1 ط بيروت.

(2) وسائل الشيعة: 6/ 296.

ص:31

أ- التصدّق بثيابه: كان (عليه السّلام) يلبس في الشتاء الخزّ، فإذا جاء الصيف تصدّق به أو باعه و تصدّق بثمنه، و كان يلبس في الصيف ثوبين من متاع مصر و يتصدّق بهما إذا جاء الشتاء[[55]](#footnote-55)، و كان يقول: «إني لأستحي من ربّي أن آكل ثمن ثوب قد عبدت اللّه فيه»[[56]](#footnote-56).

ب- التصدّق بما يحبّ: كان يتصدّق باللوز و السكّر، فسئل عن ذلك فتلا قوله تعالى: لَنْ تَنالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ‏[[57]](#footnote-57).

و روي أنّه كان يعجبه العنب، و كان صائما فقدّمت له جاريته عنقودا من العنب وقت الإفطار، فجاء سائل فأمر بدفعه إليه، فبعثت الجارية من اشتراه منه، و قدّمته إلى الامام، فطرق سائل آخر الباب، فأمر (عليه السّلام) بدفع العنقود إليه، فبعثت الجارية من اشتراه منه و قدّمته للإمام، فطرق سائل ثالث الباب فدفعه الإمام إليه‏[[58]](#footnote-58).

ج- مقاسمة أمواله: و قاسم الإمام أمواله مرّتين فأخذ قسما له، و تصدّق بالقسم الآخر على الفقراء و المساكين‏[[59]](#footnote-59).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) تأريخ دمشق: 36/ 161.

(2) مناقب آل أبي طالب: 4/ 167 عن حلية الأولياء: 3/ 136- 140.

(3) مناقب آل أبي طالب: 4/ 167.

(4) المحاسن: 2/ 361 طبعة المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السّلام)، و فروع الكافي: 6/ 350.

(5) مناقب آل أبي طالب: 4/ 167 عن حلية الأولياء: 3/ 140، و جمهرة الأولياء: 2/ 71، و خلاصة تهذيب الكمال: 231

ص:32

د- صدقاته في السرّ: و كان أحبّ شي‏ء عند الإمام (عليه السّلام) الصدقة في السر، لئلّا يعرفه أحد، و قد أراد أن يربط نفسه و من يعطيهم من الفقراء برباط الحبّ في اللّه تعالى، و توثيقا لصلته بإخوانه الفقراء بالإسلام، و كان يحثّ على صدقة السرّ و يقول: «إنّها تطفئ غضب الربّ»[[60]](#footnote-60).

و قد اعتاد الفقراء على صلة لهم في الليل، فكانوا يقفون على أبوابهم ينتظرونه، فإذا رأوه تباشروا و قالوا: جاء صاحب الجراب‏[[61]](#footnote-61).

و كان له ابن عم يأتيه بالليل فيناوله شيئا من الدنانير فيقول له العلوي: إنّ عليّ بن الحسين لا يوصلني، و يدعو عليه، فيسمع الإمام ذلك و يغضي عنه، و لا يعرّفه بنفسه، و لمّا توفّي (عليه السّلام) فقد الصلة، فعلم أنّ الذي كان يوصله هو الإمام عليّ بن الحسين (عليه السّلام) فكان يأتي قبره باكيا و معتذرا منه‏[[62]](#footnote-62).

و قال ابن عائشة: سمعت أهل المدينة يقولون: ما فقدنا صدقة السرّ حتى مات عليّ بن الحسين‏[[63]](#footnote-63).

و كان (عليه السّلام) شديد التكتّم في صلاته و هباته، فكان إذا ناول أحدا شيئا غطّى وجهه لئلّا يعرفه‏[[64]](#footnote-64).

و قال الذهبي: إنّه كان كثير الصدقة في السرّ[[65]](#footnote-65).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) مناقب آل أبي طالب: 4/ 165 عن الثمالي و الثوري، و في تذكرة الحفاظ: 1/ 75 و اخبار الدول: 110 و نهاية الإرب: 21/ 326، و كشف الغمة: 2/ 289 عن مطالب السؤول عن حلية الأولياء. و في الكشف:

2/ 312 عن الجنابذي عن الثوري عنه (عليه السّلام) كان يقول: إنّ الصدقة تطفئ غضب الرب. بدون قيد السّر.

(2) مناقب آل أبي طالب: 4/ 166.

(3) كشف الغمة: 2/ 319 عن نثر الدرر للآبي.

(4) حلية الأولياء و عنه في مناقب آل أبي طالب: 4/ 166 و كشف الغمة: 2/ 290 عن مطالب السؤول عن الحلية: 4/ 136 و في البداية و النهاية لابن كثير: 9/ 114، و صفة الصفوة: 2/ 54، الإتحاف بحب الأشراف:

49 و الأغاني: 15/ 326.

(5) مناقب آل أبي طالب: 4/ 166 عن الباقر (عليه السّلام).

(6) تذكرة الحفّاظ: 1/ 75.

ص:33

و كان (عليه السّلام) يجعل الطعام الذي يوزّعه على الفقراء في جراب و يحمله على ظهره، و قد ترك أثرا عليه‏[[66]](#footnote-66).

ه- ابتغاؤه مرضاة اللّه: و لم يكن الإمام (عليه السّلام) يبتغي في برّه و إحسانه إلى الفقراء إلّا وجه اللّه عزّ و جلّ و الدار الآخرة، و لم تكن عطاياه و صدقاته (عليه السّلام) مشوبة بأيّ غرض من أغراض الدنيا.

قال الزهري: رأيت عليّ بن الحسين في ليلة باردة و هو يحمل على ظهره دقيقا، فقلت له: يابن رسول اللّه! ما هذا؟ فأجابه (عليه السّلام): «اريد سفرا، اعدّ له زادا أحمله إلى موضع حريز» فقال: هذا غلامي يحمله عنك، فامتنع الإمام من إجابته، و تضرّع الزهري إليه أن يحمله هو بنفسه عنه، إلّا ان الإمام أصرّ على ما ذهب إليه، و قال له: «و لكنّي لا أرفع نفسي عمّا ينجيني في سفري، و يحسّن ورودي على ما أرد عليه، أسألك بحق اللّه لمّا مضيت لحاجتك».

و انصرف الزهري عن الإمام، و بعد أيام التقى به، و قد ظنّ أنّه كان على جناح سفر و لم يع مراده فقال له: يابن رسول اللّه، لست أرى لذلك السفر الذي تركته أثرا.

فأجابه الإمام (عليه السّلام): «يا زهري، ليس ما ظننت، و لكنّه الموت و له أستعدّ، إنّما الاستعداد للموت تجنّب الحرام و بذل الندى في الخير»[[67]](#footnote-67).

العزّة و الإباء:

و من صفات الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين (عليه السّلام) العزّة و الإباء،

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) تأريخ اليعقوبي: 2/ 303 ط بيروت.

(2) علل الشرائع: 1/ 27 و عنه في بحار الأنوار: 46/ 65- 66.

ص:34

فقد ورثها من أبيه الحسين سيّد الشهداء (عليه السّلام) الذي تحدّى طغاة عصره قائلا:

«و اللّه لا اعطيكم بيدي إعطاء الذليل، و لا أقرّ لكم إقرار العبيد»[[68]](#footnote-68).

و قد تمثّلت هذه الظاهرة الكريمة في شخصيّة الإمام زين العابدين (عليه السّلام) في قوله: «ما أحبّ أنّ لي بذلّ نفسي حمر النعم»[[69]](#footnote-69).

و قال في عزة النفس: «من كرمت عليه نفسه هانت عليه الدنيا»[[70]](#footnote-70).

و يقول المؤرخون: إنّ أحدهم أخذ منه بعض حقوقه بغير حق، و كان الإمام (عليه السّلام) بمكّة، و كان الوليد بن عبد الملك حينئذ متربّعا على كرسي الخلافة و قد حضر موسم الحج، فقيل له: لو سألت الوليد أن يردّ عليك حقّك؟ فقال لهم كلمته الخالدة في دنيا العزّ و الإباء: «ويحك أفي حرم اللّه عزّ و جلّ أسأل غير اللّه عزّ و جلّ؟! إنّي آنف أن أسأل الدنيا من خالقها، فكيف أسألها مخلوقا مثلي؟!»[[71]](#footnote-71).

و من عزّته: أنّه ما أكل بقرابته من رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله) درهما قطّ[[72]](#footnote-72).

الزهد:

لقد اشتهر في عصره (عليه السّلام) أنّه من أزهد الناس حتى أنّ الزهري حينما سئل عن أزهد الناس قال: عليّ بن الحسين‏[[73]](#footnote-73).

و رأى (عليه السّلام) سائلا يبكي فتألّم له وراح يقول: «لو أنّ الدنيا كانت في كفّ هذا

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) وقعة الطف: 209.

(2) الكافي: 2/ 109 و 111 و الخصال: 1/ 23 و عن الكافي في بحار الأنوار: 71/ 406 و معه بيان المؤلف في صفحة كاملة.

(3) بحار الأنوار: 78/ 135.

(4) بحار الأنوار: 46/ 64 عن علل الشرائع: 1/ 270 ط بيروت.

(5) مجالس ثعلب 2: 462، و عنه في حياة الإمام زين العابدين للقرشي: 1/ 81. و في مناقب آل أبي طالب:

4/ 175 عن نافع: شيئا، بدل: درهما.

(6) بحار الأنوار: 46/ 62 عن علل الشرائع: 1/ 270 ط بيروت.

ص:35

ثمّ سقطت منه لما كان ينبغي له أن يبكي عليها»[[74]](#footnote-74).

و قال سعيد بن المسيب: كان عليّ بن الحسين (عليه السّلام) يعظ الناس و يزهّدهم في الدنيا و يرغبهم في أعمال الآخرة بهذا الكلام في كلّ جمعة في مسجد رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله) و حفظ عنه و كتب، و كان يقول:

«أيّها الناس، اتّقوا اللّه و اعلموا أنّكم اليه ترجعون ... يابن آدم، إنّ أجلك أسرع شي‏ء إليك، قد أقبل نحوك حثيثا يطلبك و يوشك أن يدركك، و كأن قد اوفيت أجلك و قبض الملك روحك و صرت إلى قبرك وحيدا، فردّ اليك فيه روحك، و اقتحم عليك فيه ملكان ناكر و نكير لمساءلتك و شديد امتحانك ... فاتّقوا اللّه عباد اللّه، و اعلموا أنّ اللّه عزّ و جلّ لم يحبّ زهرة الدنيا و عاجلها لأحد من أوليائه، و لم يرغّبهم فيها و في عاجل زهرتها و ظاهر بهجتها، و إنّما خلق الدنيا و أهلها ليبلوهم فيها أيّهم أحسن عملا لآخرته، و أيم اللّه لقد ضرب لكم فيه الأمثال، و عرّف الآيات لقوم يعقلون، و لا قوة إلّا باللّه، فازهدوا فيما زهّدكم اللّه عزّ و جلّ فيه من عاجل الحياة الدنيا ... و لا تركنوا إلى زهرة الدنيا و ما فيها ركون من اتّخذها دار قرار و منزل استيطان، فإنّها دار بلغة، و منزل قلعة، و دار عمل، فتزوّدوا الأعمال الصالحة فيها قبل تفرّق أيّامها، و قبل الإذن من اللّه في خرابها ... جعلنا اللّه و إيّاكم من الزاهدين في عاجل زهرة الحياة الدنيا، الراغبين لآجل ثواب الآخرة، فإنّما نحن به و له ...»[[75]](#footnote-75).

الإنابة إلى اللّه تعالى:

إنّ اشتهار الإمام بلقب زين العابدين و سيّد الساجدين ممّا يشير إلى وضوح عنصر الإنابة إلى اللّه و الانقطاع اليه في حياة الإمام و سيرته‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) كشف الغمة: 2/ 318 عن نثر الدرر للآبي، و الفصول المهمّة: 192.

(2) الكافي: 8/ 72- 76، و تحف العقول: 249- 252.

ص:36

و شخصيّته.

على أنّ أدعية الصحيفة السجّادية هي الدليل الآخر على هذه الحقيقة، فإنّ إلقاء نظرة سريعة و خاطفة على عناوين الأدعية يكشف لنا مدى التجاء الإمام إلى اللّه في شؤون حياته، فما من موقف إلّا و للإمام فيه دعاء و ابتهال و تضرّع، هذا فضلا عن مضامين الأدعية التي يكاد ينفرد بها هو (عليه السّلام) في هذه الصحيفة المعروفة و غيرها، لقد ذاب الإمام في محبّة اللّه و أخلص له أعظم الإخلاص، و قد انعكس ذلك على جميع حركاته و سكناته.

و ممّا رواه المؤرخون: أنّه اجتاز على رجل جالس على باب رجل ثريّ فبادره الإمام قائلا: «ما يقعدك على باب هذا المترف الجبار؟ فقال الرجل: البؤس (أي: الفقر)، فقال له (عليه السّلام): قم فارشدك إلى باب خير من بابه و إلى ربّ خير لك منه ...»

و نهض معه الرجل إلى مسجد رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله) و علّمه ما يعمله من الصلاة و الدعاء و تلاوة القرآن و طلب الحاجة من اللّه و الالتجاء إلى حصنه الحريز[[76]](#footnote-76).

سيرته في بيته:

كان الإمام زين العابدين (عليه السّلام) من أرأف الناس و أبرّهم و أرحمهم بأهل بيته، و كان لا يتميّز عليهم، و قد اثر عنه أنّه قال: «لئن أدخل إلى السوق و معي دراهم ابتاع بها لعيالي لحما و قد قرموا[[77]](#footnote-77) أحبّ اليّ من أن أعتق نسمة»[[78]](#footnote-78).

و كان يبكر في خروجه مصبحا لطلب الرزق لعياله، فقيل له: إلى أين‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) حياة الإمام زين العابدين (عليه السّلام) دراسة و تحليل: 1/ 93.

(2) قرموا: اشتدّ شوقهم إلى اللحم.

(3) بحار الأنوار: 46/ 67 عن الكافي: 2/ 12.

ص:37

تذهب؟ فقال: أتصدّق لعيالي قبل أن أتصدّق. ثم قال: من طلب الحلال، فإنّه من اللّه عزّ و جلّ صدقة عليهم‏[[79]](#footnote-79).

و كان (عليه السّلام) يعين أهله في حوائجهم البيتية، و لا يأمر أحدا منهم فيما يخصّ شأنا من شؤونه الخاصة، كما كان يتولّى بنفسه خدمة نفسه خصوصا فيما يخصّ إلى شؤون عبادته، فإنّه لم يك يستعين بها أو يعهد إلى أحد في قضائها.

مع أبويه:

و قابل الإمام المعروف الذي أسدته إليه مربّيته بكلّ ما تمكّن عليه من أنواع الإحسان، و قد بلغ من جميل برّه بها أنّه امتنع أن يؤاكلها فلامه الناس، و أخذوا يسألونه بإلحاح قائلين: أنت أبرّ الناس و أوصلهم رحما، فلما ذا لا تؤاكل امّك؟ فأجابهم جواب من لم تشهد الدنيا مثل أدبه و كماله قائلا: «أخشى أن تسبق يدي إلى ما سبقت إليه عينها فأكون عاقّا لها»[[80]](#footnote-80).

و من برّه لأبويه دعاؤه لهما، و هو من أسمى القواعد في التربية الإسلامية الهادفة، و هذه مقاطع من هذه اللوحة الخالدة من دعائه (عليه السّلام):

«... و اخصص اللهمّ والديّ بالكرامة لديك و الصلاة منك يا أرحم الراحمين ...

و ألهمني علم ما يجب لهما عليّ إلهاما، و اجمع لي علم ذلك كلّه تماما، ثم استعملني بما تلهمني منه، و وفّقني للنفوذ فيما تبصرني من علمه ... اللهم اجعلني أهابهما هيبة السلطان العسوف، و أبرّهما برّ الام الرؤوف، و اجعل طاعتي لوالديّ و برّي بهما أقرّ لعيني من رقدة

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) بحار الأنوار: 46/ 67 عن الكافي: 2/ 12.

(2) الكامل للمبرد: 1/ 302، و شذرات الذهب: 1/ 105، و مناقب آل أبي طالب: 4/ 176 عن أمالي النيشابوري.

ص:38

الوسنان، و أثلج لصدري من شربة الظمآن، حتى اوثر على هواي هواهما، و اقدّم على رضاي رضاهما، و استكثر برّهما بي و إن قلّ، و استقلّ برّي بهما و إن كثر، اللهمّ خفّض لهما صوتي، و أطب لهما كلامي، و ألن لهما عريكتي، و اعطف عليهما قلبي، و صيرني بهما رفيقا و عليهما شفيقا ... اللهمّ اشكر لهما تربيتي، و أثبهما على تكرمتي، و احفظ لهما ما حفظاه منّي في صغري ... اللهمّ لا تنسني ذكرهما في أدبار صلواتي، و في إنا من آناء ليلي، و في كل ساعة من ساعات نهاري ... اللهمّ صلّ على محمد و آله، و اغفر لي بدعائي لهما، و اغفر لهما ببرّهما بي ...»[[81]](#footnote-81).

مع أبنائه:

أمّا سلوك الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين (عليه السّلام) مع أبنائه فقد تميّز بالتربية الإسلامية الرفيعة لهم، فغرس في نفوسهم نزعاته الخيّرة و اتّجاهاته الإصلاحية العظيمة، و قد صاروا بحكم تربيته لهم من ألمع رجال الفكر و العلم و الجهاد في الإسلام.

فكان ولده الإمام محمد الباقر (عليه السّلام) أشهر أئمّة المسلمين، و أكثرهم عطاء للعلم.

و أمّا ولده عبد اللّه الباهر فقد كان من أبرز علماء المسلمين في فضله و سمّو منزلته العلمية.

أمّا ولده زيد فقد كان من أجلّ علماء المسلمين، و قد برع في علوم كثيرة كعلم الفقه و الحديث و التفسير و علم الكلام و غيرها، و هو الذي تبنّى حقوق المظلومين المضطهدين، و قاد مسيرتهم الدامية في ثورته التي نشرت الوعي السياسي في المجتمع الاسلامي، و ساهمت مساهمة إيجابية و فعّالة

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) الصحيفة السجادية، دعاؤه لأبويه.

ص:39

في الاطاحة بالحكم الاموي‏[[82]](#footnote-82).

و زوّد الإمام (عليه السّلام) أبناءه ببعض الوصايا التربوية لتكون منهجا يسيرون عليه، قال (عليه السّلام):

1- «يا بنيّ، انظر خمسة فلا تصاحبهم و لا تحادثهم و لا ترافقهم في طريق» فقال له ولده: من هم؟ قال (عليه السّلام): «إيّاك و مصاحبة الكذّاب، فإنّه بمنزلة السراب، يقرّب لك البعيد و يبعّد لك القريب. و إيّاك و مصاحبة الفاسق، فإنّه بايعك بأكلة أو أقلّ من ذلك. و إيّاك و مصاحبة البخيل، فإنّه يخذلك في ماله، و أنت أحوج ما تكون إليه. و إيّاك و مصاحبة الأحمق، فإنّه يريد أن ينفعك فيضرّك. و إيّاك و مصاحبة القاطع لرحمه، فإنّي وجدته ملعونا في كتاب اللّه ...»[[83]](#footnote-83).

2- قال (عليه السّلام): «يا بنيّ، اصبر على النائبة، و لا تتعرّض للحقوق، و لا تجب أخاك إلى شي‏ء مضرّته عليك أعظم من منفعته لك ...»[[84]](#footnote-84).

3- و قال (عليه السّلام): «يا بنيّ، إنّ اللّه لم يرضك لي فأوصاك بي، و رضيني لك فحذّرني منك، و اعلم أنّ خير الآباء للأبناء من لم تدعه المودّة إلى التفريط فيه، و خير الأبناء للآباء من لم يدعه التقصير إلى العقوق له»[[85]](#footnote-85).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) حياة الإمام زين العابدين، دراسة و تحليل: 55- 56.

(2) اصول الكافي: 2/ 376، و الاختصاص: 239، و تحف العقول: 279، و البداية و النهاية: 9/ 105.

(3) البيان و التبيين: 2/ 76، العقد الفريد: 3/ 88.

(4) العقد الفريد: 3/ 89.

ص:40

مع مماليكه:

و سار الإمام (عليه السّلام) مع مماليكه سيرة تتّسم بالرفق و العطف و الحنان، فكان يعاملهم كأبنائه، و قد وجدوا في كنفه من الرفق ما لم يجدوا في ظلّ آبائهم، حتّى أنّه لم يعاقب أمة و لا عبدا فيما إذا اقترفا ذنبا[[86]](#footnote-86).

و قد كان له مملوك فدعاه مرّتين فلم يجبه، و في الثالثة قال له الإمام برفق و لطف: «يا بنيّ، أما سمعت صوتي؟» قال: بلى ...، فقال له (عليه السّلام): «لم لم تجبني؟» فقال: أمنت منك، فخرج الإمام وراح يحمد اللّه و يقول: «الحمد للّه الذي جعل مملوكي يأمنني ...»[[87]](#footnote-87).

\*\*\*\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) اقبال الأعمال: 1/ 443- 445 باسناده عن التلعكبرى عن ابن عجلان عن الصادق (عليه السّلام) و عنه في بحار الأنوار: 46/ 103- 105. و 98/ 186- 187.

(2) الإرشاد: 2/ 147، و مناقب آل أبي طالب: 4/ 171 و في تأريخ دمشق: 36/ 155.

ص:41

الباب الثّاني فيه فصول:

الفصل الأول:

نشأة الإمام زين العابدين (عليه السّلام)

الفصل الثاني:

مراحل حياة الإمام زين العابدين (عليه السّلام) الفصل الثالث:

حياة الإمام زين العابدين (عليه السّلام) من الولادة الى الإمامة

ص:43

الفصل الأوّل نشأة الإمام زين العابدين (عليه السّلام)

لقد توفّرت للإمام زين العابدين (عليه السّلام) جميع المكوّنات التربوية الرفيعة التي لم يظفر بها أحد سواه، و قد عملت على تكوينه و بناء شخصيّته بصورة متميّزة، جعلته في الرعيل الأول من أئمّة المسلمين الذين منحهم الرسول (صلّى اللّه عليه و آله) ثقته، و جعلهم قادة لامّته و امناء على أداء رسالته.

نشأ الامام في أرفع بيت و أسماه ألا و هو بيت النبوّة و الإمامة الذي أذن اللّه أن يرفع و يذكر فيه اسمه‏[[88]](#footnote-88)، و منذ الأيام الاولى من حياته كان جده الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السّلام) يتعاهده بالرعاية و يشعّ عليه من أنوار روحه التي طبّق شذاها العالم بأسره، فكان الحفيد- بحقّ- صورة صادقة عن جدّه، يحاكيه و يضاهيه في شخصيّته و مكوّناته النفسية.

كما عاش الإمام (عليه السّلام) في كنف عمّه الزكي الإمام الحسن المجتبى (عليه السّلام) سيّد شباب أهل الجنّة و ريحانة رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله) و سبطه الأول، إذ كان يغدق عليه من عطفه و حنانه، و يغرس في نفسه مثله العظيمة و خصاله السامية، و كان الإمام (عليه السّلام) طوال هذه السنين تحت ظلّ والده العظيم أبي الأحرار و سيّد

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) إشارة لقوله تعالى: فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيها بِالْغُدُوِّ وَ الْآصالِ\* رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَ لا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَ إِقامِ الصَّلاةِ وَ إِيتاءِ الزَّكاةِ يَخافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَ الْأَبْصارُ. النور (24): 36- 37.

ص:44

الشهداء الإمام الحسين بن عليّ (عليهما السّلام) الذي رأى في ولده علي زين العابدين (عليه السّلام) امتدادا ذاتيّا و مشرقا لروحانيّة النبوّة و مثل الإمامة، فأولاه المزيد من رعايته و عنايته، و قدّمه على بقية أبنائه، و صاحبه في أكثر أوقاته.

لقد ولد الإمام زين العابدين (عليه السّلام) في المدينة في اليوم الخامس من شعبان سنة (36 ه)[[89]](#footnote-89) يوم فتح البصرة، حيث إنّ الإمام علي (عليه السّلام) لم ينتقل بعد بعاصمته من المدينة الى الكوفة. و توفّي بالمدينة سنة (94 أو 95 ه).

و هناك من المؤرخين ذكر أنّه ولد في سنة (38 ه) و في مدينة الكوفة حيث كان جدّه الإمام أمير المؤمنين (عليه السّلام) قد اتّخذها عاصمة لدولته بعد حرب الجمل، فمن الطبيعي أن يكون الحسين السبط (عليه السّلام) مع أهله عن أبيه (عليه السّلام) في هذه الفترة بشكل خاص‏[[90]](#footnote-90)

امّه:

اسمها «شهربانو» أو «شهربانويه» أو «شاه زنان» بنت يزدجرد آخر ملوك الفرس‏[[91]](#footnote-91)، و ذكر البعض أنّ امه قد أجابت نداء ربّها أيّام نفاسها فلم تلد سواه‏[[92]](#footnote-92).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) الإرشاد: 2/ 137، و مناقب آل أبي طالب: 4/ 189، و الإقبال: 621، و مصباح الكفعمي: 511، و الأنوار البهية: 107 قال: سنة 36 يوم فتح البصرة.

(2) تاريخ أهل البيت، لابن أبي الثلج البغدادي م 325: 77.

(3) رغم أنّ أغلب المؤرخين متفقون على أنّ ام الإمام السجاد (عليه السّلام) هي ابنة الملك يزدجرد إلّا أن هناك من يعتبر ذلك مجرد اسطورة، راجع زندگانى علي بن الحسين (عليه السّلام) للسيد جعفر الشهيدي. و الإسلام و ايران للشهيد مطهري: 100- 109 و حول السيدة شهربانو للشيخ اليوسفي الغروي في مجلة رسالة الحسين (عليه السّلام):

24/ 14- 39، و الثابت أن امّ الإمام السجاد (عليه السّلام) سبيّة من سبايا الفرس، و لا يثبت أكثر من هذا.

(4) سيرة رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله) و أهل بيته (عليهم السّلام): 2/ 189، المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السّلام) الطبعة الاولى 1414 ه.

ص:45

كناه:

أبو الحسن، أبو محمّد، أبو الحسين، أبو عبد اللّه‏[[93]](#footnote-93).

ألقابه:

«زين العابدين» و «ذو الثفنات» و «سيّد العابدين» و «قدوة الزاهدين» و «سيّد المتّقين» و «إمام المؤمنين» و «الأمين» و «السجّاد» و «الزكي» و «زين الصالحين» و «منار القانتين» و «العدل» و «إمام الامّة» و «البكّاء»، و قد اشتهر بلقبي «السجاد» و «زين العابدين» أكثر من غيرهما.

إنّ هذه الألقاب قد منحها الناس للإمام عند ما وجدوه التجسيد الحيّ لها، و المصداق الكامل ل: وَ عِبادُ الرَّحْمنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَ إِذا خاطَبَهُمُ الْجاهِلُونَ قالُوا سَلاماً[[94]](#footnote-94)، و بعض الذين منحوه هذه الألقاب لم يكونوا من شيعته، و لم يكونوا يعتبرونه إماما من قبل اللّه تعالى، لكنّهم ما استطاعوا أن يتجاهلوا الحقائق التي رأوها فيه.

لقد ذكر المؤرّخون ما يبيّن لنا بعض العلل التأريخية لجملة من هذه الألقاب المباركة:

1- روي عن الصحابي الجليل جابر بن عبد اللّه الانصاري أنّه قال: كنت جالسا عند رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) و الحسين في حجره و هو يلاعبه فقال (صلّى اللّه عليه و اله):

«يا جابر، يولد له مولود اسمه عليّ، إذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقم (سيّد العابدين)

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) حياة الإمام زين العابدين، دراسة و تحليل: 390.

(2) الفرقان (25): 63.

ص:46

فيقوم ولده، ثم يولد له ولد اسمه محمّد، فإن أنت أدركته يا جابر فاقرأه منّي السلام»[[95]](#footnote-95).

2- كان الزهري إذا حدّث عن عليّ بن الحسين (عليه السّلام) قال: حدّثني «زين العابدين» عليّ بن الحسين، فقال له سفيان بن عيينة: و لم تقول له زين العابدين؟ قال: لأنّي سمعت سعيد بن المسيب يحدّث عن ابن عباس أنّ رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) قال: «إذا كان يوم القيامة ينادي مناد أين زين العابدين؟ فكأنّي أنظر إلى ولدي عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب يخطر (يخطو) بين الصفوف»[[96]](#footnote-96)؟

3- و جاء عن الإمام أبي جعفر الباقر (عليه السّلام) أنّه قال: «كان لأبي في مواضع سجوده آثار ناتئة، و كان يقطعها في السنة مرتّين، في كلّ مرة خمس ثفنات، فسمّي ذا الثفنات لذلك»[[97]](#footnote-97).

4- كما جاء عنه عن كثرة سجود أبيه: ما ذكر للّه عزّ و جلّ نعمة عليه إلّا و سجد، و لا دفع اللّه عنه سوء إلّا و سجد، و لا فرغ من صلاة مفروضة إلّا و سجد، و كان أثر السجود في جميع مواضع سجوده فسمّي بالسجّاد[[98]](#footnote-98).

\*\*\*\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) إحقاق الحق: 12/ 13- 16، و البداية و النهاية لابن كثير: 9/ 106.

(2) علل الشرائع: 1/ 269، و الأمالي: 331 و عنهما في بحار الأنوار: 46/ 2 الحديث 1 و 2.

(3) علل الشرائع: 1/ 273 و معاني الأخبار: 65 و عنهما في بحار الأنوار: 46/ 6.

(4) علل الشرائع: 1/ 272 و عنه في بحار الأنوار: 46/ 6 ح 10.

ص:47

الفصل الثّاني مراحل حياة الإمام زين العابدين (عليه السّلام)

تنقسم حياة الإمام زين العابدين (عليه السّلام)- كما تنقسم حياة سائر الأئمة (عليهم السّلام)- الى مرحلتين متميّزتين:

1- مرحلة ما قبل التصدّي للإمامة و الزعامة.

2- مرحلة التصدّي و ممارسة القيادة حتى الشهادة.

لقد عاش الإمام زين العابدين (عليه السّلام) في المرحلة الاولى من حياته في ظلال جدّه الإمام أمير المؤمنين، و عمّه الإمام الحسن المجتبى و أبيه الإمام الحسين سيد الشهداء (عليهم السّلام) مدة تناهز العقدين و نصف العقد، حيث قضى في كنف جدّه الإمام علي (عليه السّلام) ما يزيد قليلا عن أربع سنوات، و ما لا يقل عن سنتين لو كانت ولادته سنة (38 ه).

بينما قضى عقدا آخر من حياته في كنف عمّه و أبيه (عليهما السّلام) حيث استشهد عمّه الإمام الحسن السبط (عليه السّلام) سنة 50 هجرية.

كما قضى عقدا ثانيا في ظلّ قيادة أبيه الحسين السبط (عليه السّلام) و هي الفترة الواقعة بين مطلع سنة (50 ه) و بداية سنة (60 ه).

لقد عاش الإمام زين العابدين (عليه السّلام) فترة المخاض الصعب خلال المرحلة الاولى من حياته و قضاها مع كل من جدّه و عمّه و أبيه (عليهم السّلام)، و استعدّ

ص:48

بعدها لتحمّل أعباء الإمامة و القيادة بعد استشهاد أبيه و الصفوة من أهل بيته و أصحابه في ملحمة عاشوراء الخالدة التي مهّد لها معاوية بن أبي سفيان و تحمّل وزرها ابنه يزيد المعلن بفسقه و المستأثر بحكم اللّه في أرض الإسلام المباركة.

و أمّا المرحلة الثانية من حياته الكريمة قد ناهزت ثلاثة عقود و نصف عقد من عمره الشريف، و عاصر خلالها كلّا من حكم يزيد بن معاوية و معاوية بن يزيد و مروان بن الحكم و عبد الملك بن مروان، ثم اغتالته الأيدي الاموية الأثيمة بأمر من الحاكم وليد بن عبد الملك بن مروان و استشهد في (25) من المحرّم أو ما يقرب منه سنة (94) أو (95) هجرية عن عمر يناهز (57) سنة أو دونها قليلا[[99]](#footnote-99) فكانت مدّة إمامته و زعامته حوالي (34) سنة.

و في هذه الدراسة نقسّم المرحلة الثانية من حياة هذا الإمام الحافلة بأنواع الجهاد الى قسمين متميزين من الكفاح و الجهاد:

الأوّل: جهاده بعد ملحمة عاشوراء و قبل استقراره في المدينة.

الثاني: جهاده بعد استقراره في المدينة.

و على هذا التقسيم سوف ندرس حياته ضمن مراحل ثلاث:

المرحلة الاولى: حياته قبل استشهاد أبيه (عليه السّلام).

المرحلة الثانية: حياته بعد استشهاد أبيه و قبل استقراره في المدينة.

المرحلة الثالثة: حياته بعد استقراره في المدينة.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) المناقب لابن شهر آشوب: 3/ 310، بحار الأنوار: 46/ 8- 15.

ص:49

الفصل الثّالث الإمام زين العابدين (عليه السّلام) من الولادة الى الإمامة

و تتضمّن استعراض عصر الإمام (عليه السّلام) و حياته قبل كربلاء، أي من الولادة حتى استشهاد أبيه (عليه السّلام)، من سنة (38 أو 36 ه) إلى سنة (61 ه).

لقد عاصر الإمام زين العابدين (عليه السّلام) في مرحلتي الطفولة و الفتوّة حكم معاوية بن أبي سفيان الذي تميّز بالاضطراب أولا، ثمّ تلاه القمع في العراق، و التأزّم في الحجاز، و إقصاء السنّة و ظهور البدعة.

و لقد استشهد الإمام أمير المؤمنين عليّ (عليه السّلام) في الكوفة في شهر رمضان من سنة أربعين للهجرة، فيما كان يعبّئ الناس لحرب جديدة مع معاوية، و إثر استشهاده (عليه السّلام) بايع أهل العراق ولده الإمام الحسن المجتبى (عليه السّلام) خليفة عليهم، إلّا أنّ قلوب أغلب المبايعين لم تكن تصدّق ألسنتهم، فلا ينتظر من المتظاهرين بالتشيّع في الكوفة و في جيش الإمام عليّ (عليه السّلام)- الذين آذوه إلى الدرجة التي تمنّى فيها غير مرّة الموت- أن يكون سلوكهم مع ولده الحسن (عليه السّلام) أفضل ممّا كان معه.

و كانت الكوفة في السنوات الأخيرة من عمر الإمام عليّ (عليه السّلام) تضمّ مختلف الاتجاهات و الجماعات، فكان هنالك اللاهثون وراء السلطة،

ص:50

الطامعون في أن يوليهم الخليفة الجديد منصبا ما و المسلمون الجدد الذين دفعتهم الآمال الكبيرة إلى الإعراض عن مدنهم و التوجّه إلى عاصمة الخلافة على أمل الحصول على عمل يحقّق رغباتهم، و الانتهازيون من الموالي الذين تحالفوا مع هذه القبيلة العربية أو تلك لتغطّي على تآمرهم؛ إذ لا يجرؤون على التحرّك دون غطاء عروبي.

لقد تقوّم المجتمع الكوفي و قتذاك بهذه الجماعات التي وجّهت قدرتها لإيجاد العراقيل و العقبات أمام حركة الإمام الحسن السبط (عليه السّلام) عند ما اشترط قيس بن سعد بن عبادة بيعته للإمام الحسن (عليه السّلام) بمحاربة أهل الشام، لكنّ الإمام اضطرّ إلى الصلح مع معاوية بعد أن كشفت أكثر قوات الإمام ما كانت تضمر من أهداف تآمرية على شخص الإمام، و المخلصين من أصحابه بإنضواء بعضهم تحت لواء معاوية، و بثّهم الإشاعات التي أسفرت عن التخاذل المقيت، حتى كتب من كتب منهم إلى معاوية بتسليمهم إمامهم و قائدهم إلى معاوية.

لقد امتازت الفترة الواقعة بين سنة (41 ه) و سنة (60 ه) بتشديد القهر و القمع على أتباع أهل البيت (عليهم السّلام) في العراق، و يتبيّن من خلال تعامل معاوية مع زعماء هذه المنطقة- الذين كانوا يلتقونه بين الحين و الآخر- الدرجة التي بلغها سخطه على أهل العراق. و قد انكفأ السياسيون العراقيون- الذين خدعوا في حرب صفّين و سلّطوا أهل الشام على مقدراتهم- في بيوتهم إبّان حكم معاوية، لكنّهم كانوا ينتظرون أن تسنح لهم فرصة جديدة للتحرك.

و من جهة اخرى لحق بالمسلمين المخلصين- الذين نشأوا على التربية الإسلامية النقية و ارتفعوا عن المنظار القومي و القبلي أو نظروا من خلاله‏

ص:51

بالشكل الذي لم يضرّ بدينهم- أذى أكبر ممّا لحق بالطائفة الاولى، إذ كانوا يرون في عهد معاوية- الذي امتدّ نحو عشرين عاما- اندراس سنّة النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله).

لقد ظهرت البدعة و ساد النظام الملكي عوضا عن الخلافة، و استلم مقاليد امور المسلمين أفراد اسرة قامت بكلّ ما بوسعها من أجل القضاء على الإسلام و المسلمين، حتى أنّ ولدا غير شرعيّ من آل ثقيف يصبح- و بشهادة بائع خمر- أخا لمعاوية[[100]](#footnote-100).

و خلافا لصريح القرآن الكريم لقد بثّ معاوية الجواسيس بين الناس ليحصوا عليهم أنفاسهم، و نسخ الوفاء بالعهد و الإيمان، فقتلوا حجر بن عديّ بعد كلّ الضمانات التي أعطوها له، و بمؤامرة نسج خيوطها معاوية دسّت جعدة بنت الأشعث بن قيس السمّ لزوجها الإمام الحسن المجتبى سبط رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله).

إلى عشرات الممارسات الاخرى المخالفة لصريح القرآن و سنّة النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) التي كان يتّسم بها ذلك العهد.

فكانت النتيجة أنّه لم يبق أيّ مظهر اسلاميّ للحكومة الإسلامية في الشام و العراق اللّذين كانا يمثّلان أخطر مركزين في الدولة آنذاك، كما اقتصر فقه المسلمين على الصلاة و الصوم و الحجّ و الزكاة و ما يسمّى بالجهاد، و كان المتديّنون المخلصون يتألّمون بشدّة لتفشّي البدع، فكانوا يتربّصون الفرص التي تتيح لهم إقصاء ما ابتدعه معاوية في عصره باسم الإسلام.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) راجع: ترجمة سمّية أم زياد في هامش وقعة الطف: 211 و 212.

ص:52

الوضع السياسي في العراق عند موت معاوية:

و عندما مات معاوية اعتبر الفريقان المتنفّذان في العراق أنّ الفرصة باتت مؤاتية:

أ- فريق أهل الدين الذين عاشوا آلام المسلمين و أحزنهم غياب سنة النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله)، و كانوا يستهدفون القضاء على النظام الملكي و إعادة الحكومة الإسلامية كما كانت في عصر الخلفاء السابقين على الأقل.

ب- السياسيون المحترفون اللاهثون وراء السلطة الذين كانوا يرومون وضع حدّ لتحكّم الشام بالعراق.

و في الأيام التي كان العراق فيها يغصّ بالأحداث الخطيرة كان للأجواء في الشام طابع آخر.

كان يزيد في قرية حوارين‏[[101]](#footnote-101) عندما هلك والده معاوية، فعاد بمساعي والي الشام «الضحّاك بن قيس» إلى دمشق ليعلن نفسه خليفة للمسلمين، و أسرع إلى محاولة تبديد مخاوفه من الأشخاص الذين سيعارضونه، فكتب في الأيام الاولى من خلافته رسالة إلى حاكم المدينة طلب منه فيها أن يأخذ البيعة له من الحسين بن عليّ (عليه السّلام) و عبد اللّه بن عمر و عبد اللّه بن الزبير، و كان واضحا من البداية أنّ الحسين (عليه السّلام) لن يبايع يزيد، و اعتبر ابن الزبير نفسه خليفة، إلّا أنّ الناس تجاهلوه، و لم يكن لابن عمر أيّ دور في الأوضاع، فلن تحقّق بيعته أو عدمها أيّ ضرر بخلافة يزيد، من هنا فإنّ يزيد لا يخشى إلّا

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) قرية تقع بين تدمر و دمشق.

ص:53

الحسين بن عليّ (عليه السّلام) و يتعجّل أن يتبيّن موقفه.

و في تلك الفترة كان من الطبيعي أن يختار العراق- الذي كان يتحيّن الفرص- ابن بنت النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) قائدا له ليحقّق أهداف المؤمنين المخلصين و السياسيين المحترفين في آن واحد، باعتباره الشخص الوحيد الذي يمكنه إحياء سنّة النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) و القضاء على البدع، و أنّه الوحيد القادر على استقطاب قلوب الناس بشرافة نسبه و جلالة قدره و كرامة نفسه و تقواه، و هو الأشدّ رفضا للظلم، و لهذا السبب رفض مبايعة يزيد.

و من هنا تشكّلت المجالس و انعقدت الجماعات في الكوفة فكانت النتيجة أن وجّهت الدعوة إلى الحسين بن عليّ ابن بنت النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) في الحجاز لينتقل إلى العراق، و تضمّنت الدعوة المؤكدة بأنّ أهل الكوفة على اهبة الاستعداد لقتال الأمويّين الذين غصبوا الحكم تحت راية الحسين (عليه السّلام).

و قد بعث الحسين (عليه السّلام) ابن عمّه مسلم بن عقيل إلى الكوفة و معه إجابات الإمام الحسين (عليه السّلام) على رسائل الكوفيين. و قد التف الكوفيّون حول ابن عقيل و رحّبوا به و أكّدوا له مرّة اخرى استعدادهم لخوض الحرب ضدّ طغاة الشام تحت قيادة الحسين، فأرسل إلى الحسين (عليه السّلام) رسالة أوضح فيها أنّ في الكوفة مئة ألف رجل يتعهّدون بمناصرة الإمام مشدّدا على ضرورة إسراع الإمام في التحرّك إلى العراق.

و المدهش أنّ رسائل بعثت في تلك الأيام من الكوفة إلى الشام تؤكّد ليزيد أنّه إذا أراد الكوفة فإنّ عليه أن يبعث عليها حاكما مقتدرا، لأنّ حاكمها النعمان بن بشير أظهر ضعفا في تعاطيه مع الأحداث.

ص:54

و قد تباحث يزيد في هذا الأمر مع مستشاره الرومي السيرجون، الذي أشار عليه بتعيين عبيد اللّه بن زياد حاكما على الكوفة، و بوصول ابن زياد الى الكوفة تخلّى أهلها عن مسلم، و أتاحوا لابن زياد قتله مع مضيّفه هانئ بن عروة، و من جهة اخرى كان الإمام الحسين و أهل بيته (عليهم السّلام) و عدد من أنصاره في الطريق إلى العراق، و الإمام زين العابدين (عليه السّلام) يرافق والده في كل هذه الظروف العصيبة حتى وصلوا العراق‏[[102]](#footnote-102).

النصّ على إمامة زين العابدين (عليه السّلام)

لقد نصّ رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) على إمامة اثني عشر إماما من أهل بيته الأطهار، و عيّنهم بذكر أسمائهم و أوصافهم، كما هو المعروف من حديث الصحابي جابر بن عبد اللّه الأنصاري و غيره عند العامّة و الخاصّة[[103]](#footnote-103).

كما نصّ كلّ إمام معصوم على الإمام الذي يليه قبل استشهاده في مواطن عديدة بما يتناسب مع ظروف عصره، و قد كان النصّ يكتب و يودع عند أحد سرّا، و يجعل طلبه دليلا على الاستحقاق، و نلاحظ تكرّر هذه الظاهرة في حياة أبي عبد اللّه الحسين (عليه السّلام) بالنسبة لابنه زين العابدين (عليه السّلام) تارة في المدينة و اخرى في كربلاء قبيل استشهاده.

و ممّا روي من النصّ على إمامة ولده (عليه السّلام) ما رواه الطوسي، عن أبي جعفر الباقر (عليه السّلام): أنّ الحسين لمّا خرج الى العراق دفع الى امّ سلمة زوجة

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) اقرأ أخبار هذه الأحداث مسندة موثقة في: وقعة الطف لأبي مخنف: 70- 141، تحقيق محمد هادي اليوسفي الغروي.

(2) راجع: منتخب الأثر: 97، الباب الثامن، و الإرشاد و إعلام الورى بأعلام الهدى: 2/ 181، 182، النصوص على الأئمة الاثنا عشر، قادتنا: 5/ 14، و إثبات الهداة بالنصوص و المعجزات: 2/ 285، النصوص العامة على الأئمة، و إحقاق الحقّ و ملحقاته ج 1- 25.

ص:55

النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) الوصيّة و الكتب و غير ذلك و قال لها: «إذا أتاك أكبر ولدي فادفعي إليه ما قد دفعت إليك». فلما قتل الحسين (عليه السّلام) أتى عليّ بن الحسين (عليه السّلام) أمّ سلمة فدفعت إليه كلّ شي‏ء أعطاها الحسين (عليه السّلام).

و في نصّ آخر: أنّه (عليه السّلام) جعل طلبها منها علامة على إمامة الطالب لها من الأنام فطلبها زين العابدين (عليه السّلام)[[104]](#footnote-104).

و روى الكليني عن أبي الجارود عن الإمام الباقر (عليه السّلام): أنّ الحسين (عليه السّلام) لمّا حضره الذي حضره دعا ابنته فاطمة الكبرى فدفع إليها كتابا ملفوفا و وصيّة ظاهرة، و كان عليّ بن الحسين (عليه السّلام) مريضا لا يرون أنّه يبقى بعده، فلمّا قتل الحسين (عليه السّلام) و رجع أهل بيته الى المدينة دفعت فاطمة الكتاب الى عليّ بن الحسين (عليه السّلام)[[105]](#footnote-105).

و سوف نلاحظ في احتجاج الإمام (عليه السّلام) مع عمّه محمد بن الحنفيّة أنّه قال له: «إنّ أبي صلوات اللّه عليه أوصى إليّ قبل أن يتوجّه الى العراق و عهد إليّ في ذلك قبل أن يستشهد بساعة»[[106]](#footnote-106).

الإمام زين العابدين (عليه السّلام) يوم عاشوراء:

إنّ أشدّ ما كان يحزّ في نفوس أهل بيت الرسالة و محبّيهم ما رواه حميد ابن مسلم، و هو شاهد عيان بعد ظهر اليوم العاشر من المحرّم إثر استشهاد

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) الكافي: 1/ 242/ 3، و الغيبة للطوسي: 118 الحديث 148، و اثبات الهداة: 5/ 214- 216.

(2) الكافي: 1/ 241/ 1، و اثبات الوصيّة: 142، و إعلام الورى: 1/ 482- 483.

(3) الاحتجاج: 2/ 147، احتجاجات الإمام زين العابدين (عليه السّلام).

ص:56

الإمام الحسين (عليه السّلام) إذ قال:

لقد كنت أرى المرأة من نسائه و بناته و أهله تنازع ثوبها من ظهرها حتى تغلب عليه فيذهب به منها.

ثمّ انتهينا إلى عليّ بن الحسين (عليه السّلام) و هو منبسط على فراش و هو شديد المرض، و مع شمر جماعة من الرجّالة، فقالوا له: ألا تقتل هذا العليل؟ فقلت:

سبحان اللّه أيقتل الصبيان؟! إنّما هذا صبي و إنّه لما به، فلم أزل حتى دفعتهم عنه.

و جاء عمر بن سعد فصاحت النساء في وجهه و بكين، فقال لأصحابه: لا يدخل أحد منكم بيوت هؤلاء النسوة و لا تتعرّضوا لهذا الغلام المريض ... من أخذ من متاعهنّ شيئا فليردّه عليهن، فو اللّه ما ردّ أحد منهم شيئا[[107]](#footnote-107).

و هكذا شارك الإمام زين العابدين (عليه السّلام) أباه الحسين السبط (عليه السّلام) في جهاده ضد الطغاة و لكنه لم يرزق الشهادة مع أبيه و الأبرار من أهل بيته و أصحابه، فإنّ اللّه سبحانه كان قد حفظه ليتولّى قيادة الامّة بعد أبيه (عليه السّلام) و يقوم بالدور المعدّ له لصيانة رسالة جده (صلّى اللّه عليه و اله) من أيدي العتاة العابثين و انتحال الضالّين المبطلين و من التيارات الوافدة على حضيرة الإسلام التي أخذت رقعتها بالاتّساع و الانتشار السريع.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) الإرشاد: 2/ 112، و انظر وقعة الطف لأبي مخنف: 256، 257.

ص:57

الباب الثالث فيه فصول:

الفصل الأول:

الإمام زين العابدين (عليه السّلام) من كربلاء إلى المدينة

الفصل الثاني:

الإمام زين العابدين (عليه السّلام) في المدينة الفصل الثالث:

استشهاد الإمام زين العابدين (عليه السّلام)

ص:59

الفصل الأوّل الإمام زين العابدين (عليه السّلام) من كربلاء الى المدينة

الإمام زين العابدين (عليه السّلام) بعد ملحمة عاشوراء:

ذكر المؤرّخون عن شاهد عيان أنّه قال: قدمت الكوفة في المحرّم من سنة احدى و ستّين، منصرف عليّ بن الحسين (عليه السّلام) بالنسوة من كربلاء و معه الأجناد يحيطون بهم، و قد خرج الناس للنظر اليهم، فلمّا اقبل بهم على الجمال بغير وطاء جعل نساء الكوفة يبكين، و يلتدمن‏[[108]](#footnote-108)، فسمعت عليّ بن الحسين و هو يقول بصوت ضئيل و قد نهكته العلّة و في عنقه الجامعة و يده مغلولة إلى عنقه: «إنّ هؤلاء النسوة يبكين فمن قتلنا؟!»[[109]](#footnote-109).

و عندما أدخلوا الإمام السجاد (عليه السّلام) على ابن زياد سأله من أنت؟ فقال:

«أنا عليّ بن الحسين»، فقال له: أليس قد قتل اللّه عليّ بن الحسين؟ فقال عليّ (عليه السّلام): «قد كان لي أخ يسمّى عليّا قتله الناس، فقال ابن زياد: بل اللّه قتله، فقال عليّ بن الحسين (عليه السّلام): اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِها، فغضب ابن زياد و قال:

و بك جرأة لجوابي و فيك بقية للردّ عليّ؟! اذهبوا به فاضربوا عنقه‏[[110]](#footnote-110).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) التدمت المرأة: ضربت صدرها في النياحة، و قيل: ضربت وجهها في المآتم.

(2) الأمالي للطوسي: 91.

(3) الإرشاد للمفيد: 244، و وقعة الطف: 262، 263.

ص:60

فتعلّقت به عمّته زينب و قالت: يا ابن زياد، حسبك من دمائنا، و اعتنقته و قالت: لا و اللّه لا افارقه فإن قتلته فاقتلني معه، فقال لها عليّ (عليه السّلام): اسكتي يا عمّة حتى اكلّمه، ثمّ أقبل عليه فقال: أ بالقتل تهدّدني يا ابن زياد؟ أما علمت أن القتل لنا عادة و كرامتنا من اللّه الشهادة؟ ثمّ أمر ابن زياد بعلي بن الحسين (عليه السّلام) و أهل بيته فحملوا إلى دار بجنب المسجد الأعظم، و لمّا أصبح ابن زياد أمر برأس الحسين (عليه السّلام) فطيف به في سكك الكوفة كلّها و قبائلها، و لمّا فرغ القوم من الطواف به في الكوفة ردّوه إلى باب القصر[[111]](#footnote-111).

ثمّ إنّ ابن زياد نصب الرؤوس كلّها بالكوفة على الخشب، كما أنّه كان قد نصب رأس مسلم بن عقيل من قبل بالكوفة.

و كتب ابن زياد إلى يزيد يخبره بقتل الحسين (عليه السّلام) و خبر أهل بيته‏[[112]](#footnote-112).

كما بعث إلى عمرو بن سعيد بن العاص أمير المدينة- و هو من بني امية- يخبره بقتل الحسين (عليه السّلام).

و لمّا وصل كتاب ابن زياد إلى الشام أمره يزيد بحمل رأس الحسين (عليه السّلام) و رؤوس من قتل معه إليه، فأمر ابن زياد بنساء الحسين (عليه السّلام) و صبيانه فجهّزوا، و أمر بعليّ بن الحسين (عليهما السّلام) فغلّ بغلّ إلى عنقه، ثمّ سرّح بهم في أثر الرؤوس مع مجفر بن ثعلبة العائذي و شمر بن ذي الجوشن، و حملهم على الأقتاب، و ساروا بهم كما يسار بسبايا الكفار، فانطلقوا بهم حتى لحقوا بالقوم الذين معهم الرؤوس، فلم يكلّم عليّ بن الحسين (عليه السّلام) أحدا منهم في الطريق بكلمة حتى بلغوا الشام‏[[113]](#footnote-113).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) مقتل الخوارزمي: 2/ 43 مرسلا، و اللهوف على قتلى الطفوف: 145.

(2) الكامل في التاريخ للجزري: 4/ 83، و إنّ أوّل رأس حمل في الإسلام هو رأس عمر بن الحمق الخزاعي الى معاوية.

(3) عن طبقات ابن سعد في ذيل تاريخ دمشق ترجمة الإمام الحسين (عليه السّلام): 131، و أنساب الأشراف: 214، و الطبري: 5/ 460 و 463، و الإرشاد: 2/ 119 و اللفظ للأخير.

ص:61

سبايا آل البيت (عليهم السّلام) في دمشق:

خضعت الشام منذ فتحها بأيدي المسلمين لحكّام مثل خالد بن الوليد و معاوية بن أبي سفيان، فلم يشاهد الشاميّون النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) و لم يسمعوا حديثه الشريف منه مباشرة، و لم يطّلعوا على سيرة أصحابه عن كثب، أمّا النفر القليل من صحابة رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) الذين انتقلوا إلى الشام و أقاموا فيها فلم يكن لهم أثر في الناس، فكانت النتيجة أنّ أهل الشام اعتبروا سلوك معاوية بن أبي سفيان و أصحابه سنّة للمسلمين، و لمّا كانت الشام خاضعة للإمبراطورية الرومية قرونا طويلة، فقد كانت حكومات العصر الإسلاميّ أفضل من سابقاتها بالنسبة للشاميّين.

و من هنا ليس أمرا عجيبا أن نقرأ في كتب التأريخ أنّ شيخا شاميا دنا من الإمام السجاد (عليه السّلام) عند دخول سبايا آل محمّد (صلّى اللّه عليه و اله) الشام و قال له: الحمد للّه الذي أهلككم و أمكن الأمير منكم.

فقال له الإمام (عليه السّلام): يا شيخ أقرأت القرآن؟

فقال الشيخ: بلى.

فقال له الإمام (عليه السّلام): أقرأت‏ قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى‏؟

فقال الشيخ: بلى.

فقال له الإمام (عليه السّلام): فنحن القربى، يا شيخ!

ثمّ قال له: فهل قرأت‏ وَ آتِ ذَا الْقُرْبى‏ حَقَّهُ‏؟

قال: قد قرأت ذلك.

قال (عليه السّلام): فنحن القربى يا شيخ، فهل قرأت هذه الآية: وَ اعْلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْ‏ءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِي الْقُرْبى‏؟

ص:62

قال: نعم.

قال الإمام (عليه السّلام): نحن القربى.

يا شيخ! هل قرأت‏ إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً؟

قال الشيخ: بلى.

قال له الإمام (عليه السّلام): نحن أهل البيت الذين اختصّنا اللّه بآية الطهارة.

قال الشيخ: باللّه إنّكم هم؟!

قال الإمام (عليه السّلام): تاللّه إنّا لنحن هم من غير شكّ و حقّ جدّنا رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) إنّا لنحن هم.

فبكى الشيخ و رمى عمامته، ثمّ رفع رأسه إلى السماء و قال: اللهمّ إنّي أبرأ اليك من عدوّ آل محمّد[[114]](#footnote-114).

و ذكر المؤرّخون أنّه لمّا قدم عليّ بن الحسين (عليه السّلام) و قد قتل الحسين بن عليّ (عليه السّلام) استقبله ابراهيم بن طلحة بن عبيد اللّه و قال: يا عليّ بن الحسين، من غلب؟ و هو مغطّ رأسه و هو في المحمل، فقال له عليّ بن الحسين: إذا أردت أن تعلم من غلب و دخل وقت الصلاة فأذّن ثمّ أقم‏[[115]](#footnote-115).

لقد كان جواب عليّ بن الحسين (عليه السّلام) أنّ الصراع إنّما هو على الأذان و تكبير اللّه تعالى و الإقرار بوحدانيّته و ليس على رئاسة بني هاشم، و أنّ استشهاد الحسين و الصفوة من أهل بيته و أصحابه هو سبب بقاء الإسلام المحمّدي و ثباته أمام جاهلية بني أميّة و من حذا حذوهم ممّن لم يذوقوا حلاوة الإيمان و الإسلام.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) مقتل الخوارزمي 2: 61، و اللهوف على قتلى الطفوف: 100، و مقتل المقرم: 449 عن تفسير ابن كثير و الآلوسي.

(2) أمالي الطوسي: 677.

ص:63

الإمام (عليه السّلام) في مجلس يزيد:

ادخل رأس الحسين (عليه السّلام) و نساؤه و من تخلّف من أهله على يزيد و هم مقرّنون في الحبال و زين العابدين (عليه السّلام) مغلول، فلمّا وقفوا بين يديه على تلك الحال تمثّل يزيد بشعر حصين بن حمام المرّي قائلا:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| نفلّق هاما من رجال أعزّة |  | علينا و هم كانوا أعقّ و أظلما[[116]](#footnote-116) |
|  |  |  |

فردّ عليه الإمام عليّ بن الحسين (عليه السّلام) بقوله تعالى: ما أَصابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَ لا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَها إِنَّ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ\* لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلى‏ ما فاتَكُمْ وَ لا تَفْرَحُوا بِما آتاكُمْ وَ اللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتالٍ فَخُورٍ[[117]](#footnote-117).

و تميّز يزيد غضبا، فتلا قوله تعالى: ما أَصابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِما كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَ يَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ[[118]](#footnote-118).

و ينقل المؤرّخون عن فاطمة بنت الحسين (عليه السّلام) قولها: فلمّا جلسنا بين يدي يزيد رقّ لنا فقام إليه رجل من أهل الشام أحمر، فقال: يا أمير المؤمنين، هب لي هذه الجارية- يعنيني- فأرعدت و ظننت أنّ ذلك جائز لهم فأخذت بثياب عمّتي زينب و كانت تعلم أنّ ذلك لا يكون.

فقالت عمّتي للشامي: كذبت و اللّه و لؤمت و اللّه، ما ذاك لك و لا له!

فغضب يزيد و قال: كذبت إنّ ذلك لي و لو شئت أن أفعل لفعلت!

قالت: كلّا و اللّه ما جعل اللّه لك ذلك إلّا أن تخرج من ملتنا و تدين بغيرها، فاستطار يزيد غضبا، و قال: إيّاي تستقبلين بهذا؟ إنّما خرج من الدين‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) الارشاد: 2/ 119 و 120، و وقعة الطف لأبي مخنف: 168 و 271، و العقد الفريد: 5/ 124.

(2) الحديد (57): 22- 23.

(3) الشورى (42): 30.

ص:64

[[119]](#footnote-119)

أبوك و أخوك!

قالت: بدين اللّه و دين أبي و دين أخي اهتديت أنت و جدّك و أبوك إن كنت مسلما، قال: كذبت يا عدوّة اللّه!

قالت: أنت أمير تشتم ظالما و تقهر بسلطانك، فكأنّه استحيى و سكت.

فعاد الشاميّ فقال: هب لي هذه الجارية، فقال يزيد: اعزب، وهب اللّه لك حتفا قاضيا[[120]](#footnote-120).

و يبدو أنّ اعتماد يزيد لهجة أقلّ قسوة و شراسة من لهجة ابن زياد في الكوفة يعود إلى أنّ الأخير كان يريد أن يدلّل على إخلاصه لسيّده، بينما لا يحتاج يزيد ذلك، و لعلّ يزيد أدرك أنّه قد ارتكب خطأ كبيرا في قتله الحسين (عليه السّلام) و سبيه أهل بيت النبوّة، من هنا فإنّه أراد تخفيف مشاعر السخط تجاهه.

و في تلك الأيام أو عز يزيد إلى خطيب دمشق أن يصعد المنبر و يبالغ في ذمّ الحسين و أبيه (عليهما السّلام) فانبرى اليه الإمام زين العابدين (عليه السّلام) فصاح به:

«و يلك أيّها الخاطب، إشتريت رضاء المخلوق بسخط الخالق فتبوّأ مقعدك من النار».

و اتّجه الإمام نحو يزيد فقال له: «أتأذن لي أن أصعد هذه الأعواد فأتكلّم بكلمات فيهنّ للّه رضى، و لهؤلاء الجالسين أجر و ثواب ...».

و بهت الحاضرون و عجبوا من هذا الفتى العليل الذي ردّ على الخطيب و الأمير و هو أسير، فرفض يزيد إجابته، و ألحّ عليه الجالسون بالسماح له فلم يجد بدّا من إجابتهم فسمح له، و اعتلى الإمام أعواد المنبر، و كان من جملة ما

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) الإرشاد: 2/ 121، و وقعة الطف لأبي مخنف: 271، 272.

ص:65

قاله:

«أيّها الناس، اعطينا ستا، و فضّلنا بسبع: اعطينا العلم و الحلم و السماحة و الفصاحة و الشجاعة و المحبّة في قلوب المؤمنين، و فضّلنا بأن منّا النبيّ المختار محمّدا (صلّى اللّه عليه و اله) و منّا الصّدّيق و منّا الطيّار و منّا أسد اللّه و أسد الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) و منّا سيّدة نساء العالمين فاطمة البتول، و منّا سبطا هذه الأمّة و سيّدا شباب أهل الجنّة».

و بعد هذه المقدّمة التعريفية لاسرته أخذ (عليه السّلام) في بيان فضائلهم، قائلا:

«فمن عرفني فقد عرفني، و من لم يعرفني أنبأته بحسبي و نسبي.

أنا ابن مكّة و منى، أنا ابن زمزم و الصفا، أنا ابن من حمل الزكاة بأطراف الرداء، أنا ابن خير من ائتزر و ارتدى، أنا ابن خير من انتعل و احتفى، أنا ابن خير من طاف و سعى، أنا ابن خير من حجّ و لبّى، أنا ابن من حمل على البراق في الهواء، أنا ابن من اسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، فسبحان من أسرى، أنا ابن من بلغ به جبرئيل إلى سدرة المنتهى، أنا ابن من دنا فتدلّى فكان قاب قوسين أو أدنى، أنا ابن من صلّى بملائكة السماء، أنا ابن من أوحى اليه الجليل ما أوحى، أنا ابن محمّد المصطفى، أنا ابن عليّ المرتضى، أنا ابن من ضرب خراطيم الخلق حتى قالوا: لا إله إلّا اللّه.

أنا ابن من ضرب بين يدي رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) بسيفين، و طعن برمحين، و هاجر الهجرتين، و بايع البيعتين، و قاتل ببدر و حنين، و لم يكفر باللّه طرفة عين.

أنا ابن صالح المؤمنين، و وارث النبيّين، و قاطع الملحدين، و يعسوب المسلمين، و نور المجاهدين، و زين العابدين، و تاج البكّائين، و أصبر الصابرين، و أفضل القائمين من آل ياسين و رسول ربّ العالمين.

أنا ابن المؤيّد بجبرئيل، المنصور بميكائيل، أنا ابن المحامي عن حرم المسلمين و قاتل الناكثين و القاسطين و المارقين، و المجاهد أعداءه الناصبين، و أفخر من مشى من قريش أجمعين، و أوّل من أجاب و استجاب للّه من المؤمنين، و أقدم السابقين، و قاصم‏

ص:66

المعتدين، و مبير المشركين، و سهم من مرامي اللّه، و بستان حكمة اللّه، ... ذاك جدّي عليّ بن أبي طالب.

أنا ابن فاطمة الزهراء، أنا ابن سيّدة النساء، أنا ابن الطهر البتول، أنا ابن بضعة الرسول (صلّى اللّه عليه و اله)، أنا ابن المرمّل بالدماء، أنا ابن ذبيح كربلاء، أنا ابن من بكى عليه الجنّ في الظلماء، و ناحت عليه الطير في الهواء».

و لم يزل الإمام يقول: أنا أنا حتى ضجّ الناس بالبكاء، و خشي يزيد من وقوع الفتنة و حدوث ما لا تحمد عقباه، فقد أوجد خطاب الإمام انقلابا فكريا إذ عرّف الإمام نفسه لأهل الشام و أحاطهم علما بما كانوا يجهلون.

فأوعز يزيد إلى المؤذّن أن يؤذّن ليقطع على الإمام كلامه، فصاح المؤذن «اللّه أكبر» فالتفت إليه الامام فقال له: «كبّرت كبيرا لا يقاس، و لا يدرك بالحواس، لا شي‏ء أكبر من اللّه»، فلمّا قال المؤذّن: أشهد أن لا إله إلّا اللّه قال الإمام (عليه السّلام): «شهد بها شعري و بشري و لحمي و دمي و مخي و عظمي»، و لمّا قال المؤذّن: أشهد أنّ محمدا رسول اللّه التفت الإمام إلى يزيد فقال له:

«يا يزيد! محمّد هذا جدّي أم جدّك؟ فإن زعمت أنّه جدّك فقد كذبت، و إن قلت: أنّه جدّي فلم قتلت عترته‏[[121]](#footnote-121)»؟!

و وجم يزيد و لم يجر جوابا، فإنّ الرسول العظيم (صلّى اللّه عليه و اله) هو جدّ سيّد العابدين، و أمّا جدّ يزيد فهو أبو سفيان العدوّ الأوّل للنبيّ (صلّى اللّه عليه و اله)، و تبيّن لأهل الشام أنّهم غارقون في الإثم، و أنّ الحكم الامويّ قد جهد في إغوائهم و إضلالهم، و تبيّن بوضوح أنّ الحقد الشخصيّ و غياب النضج السياسيّ هما السببان لعدم‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) نفس المهموم: 448- 452 ط قم عن مناقب آل أبي طالب: 4/ 181 عن كتاب الأحمر عن الأوزاعي:

الخطبة بدون المقدمة. و المقدمة عن الكامل للبهائي: 2/ 299- 302، و انظر حياة الإمام زين العابدين للقرشي: 175- 177.

ص:67

إدراك يزيد عمق ثورة الإمام الحسين (عليه السّلام) ممّا أدّى إلى توهّمه بأنّها لن تؤدّي إلى نتائج خطيرة على حكمه.

و لعلّ أكبر شاهد على هذا التوهّم هو رسالة يزيد في بدايات تسلّمه الحكم لواليه على المدينة و التي أمره فيها بأخذ البيعة من الحسين (عليه السّلام) أو قتله و بعث رأسه إلى دمشق إن رفض البيعة.

و في سياق الحديث عن حسابات يزيد الخاطئة نشير أيضا إلى عملية نقل أسرى أهل البيت (عليهم السّلام) إلى الكوفة، و من ثمّ إلى الشام، و ما تخلّل ذلك من ممارسات إرهابية عكست نزعته الإجرامية، و لم يلتفت يزيد إلى خطورة الجريمة التي ارتكبها إلّا بعد أن تدفّقت عليه التقارير التي تتحدّث عن ردود الفعل و الاحتجاجات على قتله ريحانة رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله)، و لذلك حاول أن يلقي مسؤولية الجريمة البشعة على ابن مرجانة، قائلا للإمام السجاد (عليه السّلام): لعن اللّه ابن مرجانة، أما و اللّه لو أنّي صاحب أبيك ما سألني خصلة أبدا إلّا أعطيته إيّاها، و لدفعت الحتف عنه بكلّ ما استطعت، و لكن اللّه قضى اللّه ما رأيت، كاتبني من المدينة و أنه كلّ حاجة تكون لك‏[[122]](#footnote-122).

و التقى الإمام السجاد (عليه السّلام) خلال وجوده في الشام بالمنهال بن عمرو، فبادره قائلا: كيف أمسيت يا ابن رسول اللّه؟ فرمقه الإمام بطرفه و قال له:

«أمسينا كمثل بني إسرائيل في آل فرعون، يذبّحون أبناءهم، و يستحيون نساءهم، أمست العرب تفتخر على العجم بأنّ محمّدا منها، و أمست قريش تفتخر على سائر العرب بأنّ محمّدا منها، و أمسينا أهل بيته مقتولين مشرّدين، فإنّا للّه و إنّا إليه راجعون»[[123]](#footnote-123).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) تاريخ الطبري: 5/ 462، و الارشاد: 2/ 122.

(2) اللهوف في قتلى الطفوف: 85 مرسلا و رواه ابن سعد في الطبقات مسندا عن المنهال بن عمرو الكوفي في الكوفة و ليس الشام، و الخبر أكثر من هذا و إنّما هذا مختصر الخبر.

ص:68

و عهد يزيد إلى النعمان بن بشير أن يصاحب ودائع رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) و عقائل الرسالة فيردّهنّ إلى يثرب‏[[124]](#footnote-124) و أمر بإخراجهنّ ليلا خوفا من الفتنة و اضطراب الأوضاع‏[[125]](#footnote-125).

\*\*\*\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) الطبري: 5/ 462، و الارشاد: 2/ 122 و عنهما في وقعة الطف لأبي مخنف: 272.

(2) عن تفسير المطالب في أمالي أبي طالب: 93، و الحدائق الوردية: 1/ 133.

ص:69

الفصل الثّاني الإمام زين العابدين (عليه السّلام) في المدينة

بدأت ردود الفعل على مقتل الإمام الحسين (عليه السّلام) بالظهور مع دخول سبايا أهل البيت (عليهم السّلام) إلى الكوفة. فبالرغم من القمع و الإرهاب اللذين مارسهما ابن زياد مع كلّ من كان يبدي أدنى معارضة ليزيد، فإنّ أصواتا بدأت ترتفع محتجّة على الظلم السائد.

فعندما صعد ابن زياد المنبر و أثنى على يزيد و حزبه و أساء إلى الحسين (عليه السّلام) و أهل بيت الرسالة «قام إليه عبد اللّه بن عفيف الأزدي و قال له: يا عدوّ اللّه إنّ الكذّاب أنت و أبوك و الذي ولّاك و أبوه يابن مرجانة، تقتل أولاد النبيّين و تقوم على المنبر مقام الصدّيقين؟!

فقال ابن زياد: عليّ به، فأخذته الجلاوزة فنادى بشعار الأزد، فاجتمع منهم سبعمائة فانتزعوه من الجلاوزة، فلمّا كان الليل أرسل إليه ابن زياد من أخرجه من بيته فضرب عنقه و صلبه»[[126]](#footnote-126)، و مع أنّ هذه المواجهة انتهت لصالح ابن زياد لكنّها كانت مقدّمة لاعتراضات اخرى.

و ظهرت في الشام أيضا بوادر السخط و الاستياء، الأمر الذي جعل يزيد ينحو باللائمة في قتل الحسين (عليه السّلام) على ابن زياد، إلّا أنّ أشدّ ردود الفعل كانت تلك التي برزت في الحجاز، فقد انتقل عبد اللّه بن الزبير إلى مكة في الأيّام الاولى من حكومة يزيد، و اتّخذها قاعدة لمعارضته للشام، و قام بتوظيف‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) الإرشاد: 2/ 117 و عنه في وقعة الطف لأبي مخنف: 265، 266.

ص:70

فاجعة كربلاء للتنديد بنظام يزيد، و ألقى خطابا وصف فيه العراقيّين بعدم الوفاء، و أثنى على الحسين بن عليّ (عليه السّلام) و وصفه بالتقوى و العبادة.

و في المدينة ألقى الإمام زين العابدين (عليه السّلام) خطابا في أهلها لدى عودته من الشام و العراق، يقول المؤرّخون: إنّ الإمام (عليه السّلام) جمع الناس خارج المدينة قبل دخوله اليها، و خطب فيهم قائلا:

«الحمد للّه ربّ العالمين مالك يوم الدين بارئ الخلائق أجمعين، الذي بعد فارتفع في السماوات العلى، و قرب فشهد النجوى، نحمده على عظائم الامور، و فجائع الدهور، و مضاضة اللواذع، و جليل الرزء، و عظيم المصائب الفاظعة الكاظّة الفادحة الجائحة.

أيّها القوم، إنّ اللّه- و له الحمد- ابتلانا بمصائب جليلة، و ثلمة في الإسلام عظيمة، قتل أبو عبد اللّه الحسين (عليه السّلام) و سبي نساؤه و صبيته، و داروا برأسه في البلدان من فوق عامل السنان، و هذه الرزيّة التي لا مثلها رزيّة.

أيّها الناس، فأيّ رجالات منكم يسرّون بعد قتله؟! أم أيّ فؤاد لا يحزن من أجله؟! أم أيّة عين منكم تحبس دمعها و تضنّ عن انهمالها؟! فلقد بكت السبع الشداد لقتله، و بكت البحار بأمواجها، و السماوات بأركانها، و الأرض بأرجائها، و الأشجار بأغصانها، و الحيتان و لجج البحار و الملائكة المقرّبون و أهل السماوات أجمعون.

يا أيّها الناس، أيّ قلب لا ينصدع لقتله؟! أم أيّ فؤاد لا يحنّ إليه؟! أم أيّ سمع يسمع هذه الثلمة التي ثلمت في الإسلام و لا يصمّ؟!

أيّها الناس، أصبحنا مطرودين مشرّدين مذودين و شاسعين عن الأمصار، كأنّا أولاد ترك و كابل، من غير جرم اجترمناه، و لا مكروه ارتكبناه، و لا ثلمة في الإسلام ثلمناها، ما سمعنا بهذا في آبائنا الأوّلين، إن هذا إلّا اختلاق.

و اللّه، لو أنّ النبيّ تقدّم اليهم في قتالنا كما تقدم اليهم في الوصاية بنا لما زادوا على ما فعلوا بنا، فإنّا للّه و إنّا إليه راجعون، من مصيبة ما أعظمها و أوجعها و أفجعها و أكظّها

ص:71

و أفظعها و أمرّها و أفدحها! فعند اللّه نحتسب فيما أصابنا و أبلغ بنا، فإنّه عزيز ذو انتقام»[[127]](#footnote-127).

لقد جسّد هذا الخطاب- على قصره- واقعة كربلاء على حقيقتها مركّزا على المظلومية التي لحقت بأهل البيت (عليهم السّلام) في قتل الحسين بن عليّ (عليه السّلام) من جانب، و أسر أهل بيته من جانب آخر، بالإضافة إلى المظلومية التي لحقتهم بعد واقعة الطفّ، إذ حملت رؤوس الشهداء بما فيهم سيّدهم الحسين (عليه السّلام) فوق الأسنّة من بلد إلى بلد.

و عقّب الإمام زين العابدين (عليه السّلام)- بلمحة سريعة و معبّرة و مؤثّرة- واصفا ما لقيه آل البيت من السبي و التشريد و التعامل السيّ‏ء و المهين، و هم أهل بيت الوحي و معدن الرسالة، و هم قادة أهل الإيمان و أبواب الخير و الرحمة و الهداية.

و أنهى الإمام خطابه بوصف في منتهى الدقّة عن عظمة الجرائم التي ارتكبها جيش السلطة الاموية في حقّ أهل البيت (عليهم السّلام)، فإن الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) لو كان يأمر هؤلاء بالتمثيل بأهل البيت و تعذيبهم؛ لما كانوا يزيدون على ما فعلوا، فكيف بهم و قد نهاهم عن التمثيل حتى بالكلب العقور؟! و كيف يمكن توجيه كلّ ما فعلوه و قد أوصاهم النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) بحفظه في عترته، و لم يطالبهم بأجر للرسالة سوى المودّة في قرباه؟!

فالإمام زين العابدين (عليه السّلام) حاول في خطابه هذا تكريس مظلومية أهل البيت لاستنهاض الروح الثورية في أهل المدينة، و تحريك الوعي النهضوي ضدّ الظلم و الجبروت الاموي و الطغيان السفياني.

و لم تكن الأوضاع هادئة في المدينة في هذه السنة التي كانت تحت‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) اللهوف: 116، بحار الأنوار: 45/ 148- 149.

ص:72

إدارة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، و أوضح شاهد على اضطراب الأوضاع في المدينة هو استبدال ثلاثة ولاة خلال عامين، و استبدل يزيد الوليد بن عتبة بعثمان بن محمد بن أبي سفيان‏[[128]](#footnote-128).

و أراد عثمان أن يدلّل على كفاءته في إدارة المدينة و يكسب رضا وجوهها عن يزيد و عنه فأرسل و فدا من أبناء المهاجرين و الأنصار إلى دمشق، ليشاهدوا الخليفة الشابّ عن كثب و ينالوا نصيبهم من هداياه، إلّا أن الوفد رأى في سلوك يزيد ما يشين و يقبح.

و لما رجعوا إلى المدينة أظهروا شتم يزيد و عيبه، و قالوا: قدمنا من عند رجل ليس له دين، يشرب الخمر، و يضرب بالطنابير، و تعزف عنده القيان، و يلعب بالكلاب، و يسمر عنده الحراب- و هم اللصوص- و إنّا نشهدكم أنّا قد خلعناه.

و قال عبد اللّه بن حنظلة: لو لم أجد إلّا بنيّ هؤلاء لجاهدته بهم، و قد أعطاني و أكرمني و ما قبلت عطاءه إلّا لأتقوّى به.

فخلعه الناس و بايعوا عبد اللّه بن حنظلة الغسيل على خلع يزيد و ولّوه عليهم‏[[129]](#footnote-129).

ثورة أهل المدينة:

إنّ نقد الوفد المدني ليزيد لم يكن هو الدليل الوحيد عند أهل المدينة على انحراف يزيد و تنكّره للإسلام و جوره و طغيانه، بل إنّهم كانوا قد لمسوا جور يزيد و عمّاله على البلدان الإسلامية و فسقهم و شدّة بطشهم و استهتارهم‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) تأريخ الطبري: 5/ 479، 480.

(2) الطبري: 5/ 480 و عنه في الكامل في التأريخ: 4/ 103.

ص:73

بالحرمات الإلهية التي لا مجال لتأويلها، إذ كيف يمكن تأويل ما ارتكبه من القتل الفظيع في حقّ الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السّلام) ريحانة الرسول و سيّد شباب أهل الجنة و ما اقترفه من السبي لأهله و حرمه؟ و كيف يمكن تأويل ما أظهره من شربه للخمور التي حرّمها اللّه بالنصّ الصريح؟!

هذا، فضلا عن حقد الامويين على الأنصار، و الذي لم يتردّد الامويّون في إظهاره لهم، و من هنا لم يتلكّأ أهل المدينة في اخراج عامل يزيد عليها، فحاصروا بني امية و أتباعهم، و كلّم مروان بن الحكم- و هو العدوّ اللدود لآل الرسول (صلّى اللّه عليه و اله)- الإمام زين العابدين (عليه السّلام) في منح الأمان له، فاستجاب الإمام (عليه السّلام) لهذا الطلب تكرّما[[130]](#footnote-130) و إغضاء عن كلّ ما ارتكبه هذا العدوّ في حقّ أهل البيت (عليهم السّلام)، في دفن الإمام الحسن (عليه السّلام) و في الضغط على الإمام الحسين (عليه السّلام) من أجل أخذ البيعة ليزيد.

و لمّا بلغ أمر الثورة إلى مسامع يزيد أرسل مسلم بن عقبة ليقضي على ثورة أهل المدينة- و هي مدينة رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) و مهبط وحي اللّه- و زوّده بتعليمات خاصّة تجاههم قائلا له:

ادع القوم ثلاثا فإن أجابوك و إلّا فقاتلهم، فإذا ظهرت عليهم فأبحها- أي المدينة- ثلاثا، فما فيها من مال أو دابّة أو سلاح أو طعام فهو للجند[[131]](#footnote-131).

و أمره أن يجهز على جريحهم و يقتل مدبرهم‏[[132]](#footnote-132).

وصل جيش يزيد إلى المدينة، و بعد قتال عنيف مع أهلها استبسل فيه الثائرون دفاعا عن دينهم، و استشهد أغلب المدافعين بمن فيهم عبد اللّه بن‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) تأريخ الطبري: 4/ 485، و الكامل في التأريخ: 4/ 113.

(2) الطبري: 5/ 484 و عنه في الكامل.

(3) التنبيه و الاشراف: 263 ط. القاهرة.

ص:74

حنظلة و مجموعة من صحابة رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) و نفّذ قائد الجيش أوامر سيّده يزيد، و أوعز إلى جنوده باستباحة المدينة، فهجم الجند على البيوت و قتلوا الأطفال و النساء و الشيوخ، كما أسروا آخرين.

قال المؤرّخ ابن كثير: أباح مسلم بن عقبة- الذي يقول فيه السلف (مسرف بن عقبة) قبّحه اللّه من شيخ سوء ما أجهله- المدينة ثلاثة أيام كما أمره يزيد- لا جزاه اللّه خيرا- و قتل خلقا من أشرافها و قرّائها، و انتهب أموالا كثيرة منها ... و جاءته امرأة فقالت: أنا مولاتك و ابني في الاسارى، فقال:

عجّلوه لها، فضرب عنقه، و قال: اعطوها رأسه، و وقعوا على النساء حتى قيل:

إنّه حبلت ألف أمرأة في تلك الأيام من غير زوج.

قال المدائني، عن هشام بن حسان: ولدت ألف امرأة من أهل المدينة بعد وقعة الحرّة من غير زوج. و روي عن الزهري أنّه قال: كان القتلى يوم الحرّة سبعمائة من وجوه الناس من المهاجرين و الأنصار، و وجوه الموالي ممّن لا أعرف من حرّ و عبد و غيرهم عشرة آلاف‏[[133]](#footnote-133).

و حدث مرة أن دخلت الجيوش الشامية أحد البيوت، فلمّا لم يجدوا فيه إلّا امرأة و طفلا سألوها إن كان في البيت شي‏ء ينهبونه، فقالت: إنّه ليس لديها مال، فأخذوا طفلها و ضربوا رأسه بالحائط فقتلوه بعد أن انتثر دماغه من أثر الضرب بالحائط[[134]](#footnote-134).

ثمّ نصب كرسيّ لمسلم بن عقبة، وجي‏ء بالاسارى من أهل المدينة فكان يطلب من كلّ واحد منهم أن يبايع و يقول: إنّني عبد مملوك ليزيد بن‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) البداية و النهاية: 8/ 220، و تأريخ الخلفاء: 233. أمّا الطبري فلم يذكر إلّا إباحة القتال و الأموال ثلاثة أيام:

5/ 491 و ترك ذكر الفروج و تبعه الجزري في الكامل.

(2) تاريخ ابن عساكر: 10/ 13، المحاسن و المساوئ: 1/ 104.

ص:75

معاوية يتحكّم فيّ و في دمي و في مالي و في أهلي ما يشاء[[135]](#footnote-135).

و كلّ من كان يمتنع و لم يبايع بالعبودية ليزيد و كان يصرّ على القول بأنّه عبد للّه- سبحانه و تعالى- كان مصيره القتل‏[[136]](#footnote-136).

و جي‏ء له بيزيد بن عبد اللّه- و جدّته امّ سلمة زوج رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله)- مع محمد بن حذيفة العدوي، فطلب اليهما أن يبايعا، فقالا: نحن نبايع على كتاب اللّه و سنّة نبيّه، فقال مسلم: لا و اللّه لا اقيلكم هذا أبدا، فقدّمهما فضرب أعناقهما.

فقال مروان بن الحكم- و كان حاضرا-: سبحان اللّه! أتقتل رجلين من قريش أتيا ليؤمنا فضربت أعناقهما؟! فنخس مسلم مروان بالقضيب في خاصرته، ثمّ قال له: و أنت و اللّه لو قلت بمقالتهما ما رأيت السماء إلّا برقة.

(أي لقتلت)[[137]](#footnote-137).

ثمّ جي‏ء بآخر فقال: إنّي ابايع على سنّة عمر، فقال: اقتلوه، فقتل‏[[138]](#footnote-138).

و اتي بزين العابدين (عليه السّلام) إلى مسلم بن عقبة، و هو مغتاظ عليه فتبرّأ منه و من آبائه. فلمّا رآه و قد أشرف عليه ارتعد و قام له، و أقعده إلى جانبه، و قال له: سلني حوائجك، فلم يسأله في أحد ممّن قدّم إلى السيف إلّا شفّعه فيه، ثمّ انصرف عنه.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) تاريخ الطبري 5/ 493 و 495 و عنه في الكامل في التاريخ: 4/ 118 و في مروج الذهب 3: 70، الكامل في التاريخ 4: 118، و البداية و النهاية 8: 222.

و قد جاء في تاريخ اليعقوبي 2: 251: كان الرجل من قريش يؤتى به فيقال: بايع على أنّك عبد قنّ ليزيد، فيقول:

لا. فيضرب عنقه.

(2) الكامل في التأريخ: 4/ 118، مروج الذهب: 3/ 70.

(3) تأريخ الطبري: 5/ 492 و عنه في الكامل في التاريخ: 4/ 118.

(4) تأريخ الطبري: 5/ 493، الاخبار الطوال: 265.

ص:76

فقيل لعليّ بن الحسين (عليه السّلام): رأيناك تحرّك شفتيك، فما الذي قلت؟

قال: «قلت: اللهمّ ربّ السماوات السبع و ما أظللن، و الأرضين السبع و ما أقللن، ربّ العرش العظيم، ربّ محمّد و آله الطاهرين، أعوذ بك من شرّه، و أدرأ بك في نحره، أسألك أن تؤتيني خيره، و تكفيني شرّه».

قيل لمسلم: رأيناك تسبّ هذا الغلام و سلفه، فلمّا اتي به إليك رفعت منزلته؟ فقال: ما كان ذلك لرأي منّي، لقد ملئ قلبي منه رعبا، و لم يبايع الإمام (عليه السّلام) ليزيد كما لم يبايع عليّ بن عبد اللّه بن العباس، حيث امتنع بأخواله من كندة، فالحصين بن نمير نائب مسلم بن عقبة قال: لا يبايع ابن اختنا إلّا كبيعة علي بن الحسين‏[[139]](#footnote-139).

و ذكر المؤرّخون: أنّ الإمام زين العابدين (عليه السّلام) كفل في واقعة الحرّة أربعمئة امرأة من عبد مناف، و ظلّ ينفق عليهنّ حتى خروج جيش مسلم من المدينة[[140]](#footnote-140).

و جاء الحديث من غير وجه: أنّ مسرف بن عقبة لمّا قدم المدينة أرسل إلى عليّ بن الحسين (عليهما السّلام) فأتاه، فلما صار إليه قرّبه و أكرمه و قال له: أوصاني أمير المؤمنين ببرّك و تمييزك من غيرك ...[[141]](#footnote-141).

و واضح أنّ البيعة إذا ما عرضت بشرطها الاستعبادي على الإمام (عليه السّلام) فإنّه سيستمرّ على نهجه الرافض، و أنّ معنى الرفض هنا إنّه يتضرّج بدمائه الزكية، و هذا يعني دخول صورة من صور النقمة العارمة ضد الممارسات‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) النظرية السياسية لدى الإمام زين العابدين، محمود البغدادي: 273. المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السّلام)- الطبعة الاولى سنة 1415 ه.

(2) كشف الغمة: 2/ 319 عن نثر الدرر للآبي (ق 4 ه) عن ابن الأعرابي.

(3) الإرشاد: 2/ 152.

ص:77

الاموية القمعية التي سوف تزلزل أعمدة الكيان الحاكم.

و بعد انتهاء الأيام الدامية على مدينة الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) قال مسلم بن عقبة:

اللّهمّ إنّي لم أعمل عملا قط بعد شهادة لا إله إلّا اللّه، و أنّ محمدا عبده و رسوله أحبّ إليّ من قتل أهل المدينة، و لا أرجى عندي في الآخرة[[142]](#footnote-142).

كان مسلم في تلك الأيام قد تجاوز التسعين من عمره، أي انّه كان قريبا جدا من حتفه و قد هلك بعيد وقعة الحرّة و قبل أن يصل إلى مكة، و كان من الذين لم يحملوا من الإسلام إلّا اسمه، و وظّفوا ظاهر القرآن و الحديث لتسويغ جرائمهم، فقد كان من المخلصين لمعاوية بن أبي سفيان، و في صفّين كان يقود معسكر معاوية بن أبي سفيان ضد الخليفة الشرعي للمسلمين، ألا و هو الإمام عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين (عليه السّلام)[[143]](#footnote-143).

و لعلّه لم يسمع حديث الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) الذي جاء فيه: «من أخاف أهل المدينة أخافه اللّه، و عليه لعنة اللّه و الملائكة و الناس أجمعين»[[144]](#footnote-144).

و لعلّه قد سمع هذا الحديث، لكنّه لمّا وجد من يعتبر نفسه خليفة للنبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) قد تجرّأ على قتل ابن بنت النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) و سبي بناته من مدينة إلى اخرى، دون أن يعترض عليه أحد، فممّ يخشى هو إن اعتدى على مدينة النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله)؟!

و بعد أن قمع بوحشيّة ثورة أهل المدينة و أجهض انتفاضتهم؛ توجّه مسلم إلى مكة التي أعلن فيها عبد اللّه بن الزبير ثورته على الحكم الاموي،

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) تأريخ الطبري: 5/ 497 و عنه في الكامل في التاريخ: 4/ 123.

(2) وقعة صفين: 206 و 213 و في الإصابة: 3/ 493- 494.

(3) البداية و النهاية: 8/ 223، رواه عن النسائي، و روى مثله عن أحمد بن حنبل. انظر أحاديث اخرى عن هذا الموضوع في كنز العمال، كتاب الفضائل الحديث 34886، و وفاء الوفاء: 90، و سفينة البحار: 8/ 38، 39 عن دعائم الإسلام.

ص:78

لكنّه لقي حتفه في الطريق، فتسلّم الحصين بن نمير قيادة الجيش الاموي بناء على أوامر يزيد، و عند ما وصل أطراف مكة فرض حصارا عليها و ضرب الكعبة بالمنجنيق و أحرقها[[145]](#footnote-145).

و في الوقت الذي كانت فيه مكّة تحت حصار الجيش الاموي لقي يزيد حتفه، فعقد قائد الجيش الاموي- الذي لم يكن و قتذاك يعرف زعيمه الذي يقاتل معه- ماوضات مع ابن الزبير أعرب له فيها عن استعداده لقبول بيعته شريطة أن يرافقه إلى الشام، إلّا أنّ ابن الزبير رفض الشرط، فعاد الحصين و جيشه إلى الشام.

انشقاق البيت الاموي:

مات يزيد في ربيع الأول من سنة (64 ه) و هو في سنّ الثامنة و الثلاثين من عمره في حوّارين، و كانت صحيفة أعماله في مدّة حكمه- الذي استمر ثلاث سنوات و بضعة أشهر- مسودّة بقتل ابن بنت النبيّ و أسر أهل بيت الوحي و حرائر الرسالة إلى جانب القتل الجماعي لأهل المدينة و هدم الكعبة المشرّفة.

و بعد موت يزيد بايع أهل الشام ولده معاوية، إلّا أنّ حكمه لم يستمر أكثر من أربعين يوما، إذ أعلن تنازله عن العرش، و مات بعدها في ظروف غامضة، فانشقّت القيادات المؤيّدة لبني امية على نفسها إلى كتلتين: كتلة أيّدت زعامة مروان بن الحكم، و قد مثّل هذا الاتجاه القبائل اليمانية بقيادة حسّان الكلبي، بينما أيّدت قوى القيسيّين بقيادة الضحّاك بن قيس الفهري،

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) تأريخ الطبري: 5/ 498 و عنه في الكامل في التأريخ: 4/ 24 عن الكلبي عن عوانة بن الحكم، ثم روى أخبارا عن ابن عمر تحاول نسبة الحرق إلى أصحاب ابن الزبير خطأ، في محاولة لتبرير يزيد الشّرير.

ص:79

عبد اللّه بن الزبير.

و إبّان خلافة يزيد القصيرة امتدّت؛ أيدي الكلبييّن تدريجيا إلى مراكز السلطة، فمارسوا ضغوطا شديدة على القيسييّن، الأمر الذي أزعج الضحّاك كثيرا فانتهز الفرصة بعد موت يزيد ليبايع ابن الزبير- و هو من العرب العدنانية- و اشتبك الكلبيّون و القيسيّون في «مرج راهط»[[146]](#footnote-146) في معركة أسفرت عن انتصار الكلبيّين، فأصبح مروان بن الحكم خليفة، و استقرّت الأوضاع المضطربة في الشام نسبيّا.

تزايد المعارضة للحكم الاموي:

صعّد عبد اللّه بن الزبير معارضته للشام التي بدأها بعد موت معاوية، حيث كان قد دعا الحجازييّن لمبايعته كخليفة للمسلمين، فاستجابت له الأكثرية الساحقة منهم، و شهد العراق من جديد تحرّكات ضد الحكم الاموي.

و يبدو أنّ الذين دعو الإمام الحسين (عليه السّلام) إلى العراق عبر الرسائل المتوالية و رحّبوا بممثّله اليهم ثمّ تخلّوا عنه و عن الحسين (عليه السّلام) بتلك الصورة المخزية ندموا على موقفهم المذلّ ذاك، لكن هل الذين تحرّكوا ضدّ الشام كانوا نادمين جميعا؟

الجواب: كلّا، فليس جميع الذين تحركوا بعد موت يزيد كانوا يحملون همّ الإسلام، فقد كان هناك من يريد إخضاع الشام للعراق و إعادة عاصمة الخلافة إلى العراق.

و على أيّ حال، فقد أعلن المتديّنون و السياسيّون معارضتهم ضد حكم‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) منطقة في شرق دمشق.

ص:80

الشام، لكنّهم لم يحققوا شيئا يذكر[[147]](#footnote-147) على صعيد إسقاط الحكم على المدى القريب، فقتل سليمان بن صرد قائد التوّابين، و رجع من بقي من جيشه إلى الكوفة، و في تلك الغضون أظهر المختار بن أبي عبيدة الثقفي دعوته حاملا شعار يا لثارات الحسين (عليه السّلام).

بدأ المختار بإعداد الشيعة للثورة بعد فشل ثورة التوّابين، و كان يعرف جيدا أنّ أيّ تحرّك شيعي يقتضي زعامة من أهل بيت الرسالة (عليهما السّلام)، و أنّ الانطلاق ينبغي أن يتمّ باسمهم و من أفضل من عليّ بن الحسين (عليه السّلام)؟ و إن رفض الإمام الاستجابة لذلك فليس أمامه غير محمد بن علي بن أبي طالب و هو عمّ الإمام السجاد (عليه السّلام).

من هنا كاتب المختار الإمام زين العابدين (عليه السّلام) و عمّه معا، أمّا الإمام (عليه السّلام)- فلم يعلن عن تأييده الصريح له، لكنّه (عليه السّلام) أمضى عمله عند ما ثأر من قتلة أبيه الحسين (عليه السّلام). أمّا عمه محمد بن الحنفيّة فقد أجاب على سؤال الوفد الذي جاء من الكوفة ليستفسر عن مدى شرعية الانضواء تحت راية المختار قائلا: أما ما ذكرتم من دعاء من دعاكم الى الطلب بدمائنا فواللّه لوددت أنّ اللّه انتصر لنا من عدوّنا بمن شاء من خلقه‏[[148]](#footnote-148).

و فهم الوفد تأييد ابن الحنفية لحركة المختار و هكذا استطاع المختار أن يستقطب كبار الشيعة مثل ابراهيم بن مالك الأشتر و غيره.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) زندگاني عليّ بن الحسين: 92- حياة الإمام علي بن الحسين (عليه السّلام).

(2) تاريخ الطبري: 6/ 12- 14 برواية أبي مخنف. و ابن نما الحلّي في كتابه: شرح الثأر روى عن والده: أنّه قال لهم: قوموا بنا إلى إمامي و إمامكم علي بن الحسين، فلمّا دخلوا عليه و أخبروه خبرهم الذي جاؤوا لأجله قال لعمّه محمّد: يا عمّ، لو أنّ عبدا زنجيّا تعصّب لنا أهل البيت لوجب على الناس مؤازرته، و قد وليّتك هذا الأمر فاصنع ما شئت. فخرجوا و هم يقولون: قد أذن لنا زين العابدين و محمّد بن الحنفية، كما روى عنه في بحار الأنوار: 45/ 365.

ص:81

و أرسل المختار رأسي عبيد اللّه بن زياد و عمر بن سعد إلى الإمام فسجد (عليه السّلام) شكرا للّه تعالى و قال:

«الحمد للّه الذي أدرك لي ثأري من أعدائي و جزى اللّه المختار خيرا»[[149]](#footnote-149).

و قال اليعقوبي: و وجّه المختار بالرأس الخبيث (أي: رأس ابن زياد) إلى الإمام عليّ بن الحسين، و عهد إلى رسوله بأن يضع الرأس بين يدي الإمام وقت ما يوضع الطعام على الخوان بعد الفراغ من صلاة الظهر، و جاء الرسول إلى باب الإمام، و قد دخل الناس لتناول الطعام، فرفع الرجل عقيرته و نادى:

يا أهل بيت النبوّة! و معدن الرسالة، و مهبط الملائكة، و منزل الوحي! أنا رسول المختار بن أبي عبيدة الثقفي و معي رأس عبيد اللّه بن زياد ... و لم تبق علوية في دور بني هاشم إلّا صرخت‏[[150]](#footnote-150)، و يقول المؤرّخون: إنّ الامام زين العابدين (عليه السّلام) لم ير ضاحكا منذ أن استشهد أبوه إلّا في اليوم الذي رأى فيه رأس ابن مرجانة[[151]](#footnote-151).

و عن بعض المؤرّخين: أنّه لمّا رأى الإمام رأس الطاغية قال:

«سبحان اللّه، ما اغتّر بالدنيا إلّا من ليس للّه في عنقه نعمة، لقد ادخل رأس أبي عبد اللّه على ابن زياد و هو يتغدّى»[[152]](#footnote-152).

سنوات المحن و الاضطرابات:

كانت الفترة الممتدّة بين عامي (66 و 75 ه) بالنسبة للشام و الحجاز

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) رجال الكشي: 127 ح 203 و عنه في. المختار الثقفي: 124.

(2) تأريخ اليعقوبي: 2/ 259 ط بيروت.

(3) المصدر السابق.

(4) العقد الفريد: 5/ 143.

ص:82

و العراق فترة محن و اضطرابات، فلم يتحقّق في هذه المناطق الهدوء و الأمن.

و شهد الحجاز هجوم قوات عبد الملك على مكة و مقتل عبد اللّه بن الزبير، إلّا أنّ نصيب العراق من الاضطرابات كان أكبر من المنطقتين السابقتين. و يمكن القول بجرأة أنّ ما لحق بأهل العراق كان هو النتيجة الطبيعية لدعاء سبط الرسول الأعظم (صلّى اللّه عليه و اله) عليهم، إذ رفع الإمام الحسين (عليه السّلام) يده بالدّعاء في كربلاء و قال:

«اللهم احبس عنهم قطر السماء و ابعث عليهم سنين كسنيّ يوسف و سلّط عليهم غلام ثقيف فيسومهم كأسا مصبّرة فإنّهم كذّبونا و خذلونا ...»[[153]](#footnote-153).

و انتقم اللّه تعالى من أهل العراق الذين كذّبوا الحسين بن عليّ (عليه السّلام) و خذلوه بواسطة رجل ارهابي مستبد هو الحجاج بن يوسف الثقفي الذي كان «لا يصبر عن سفك الدماء، و ارتكاب امور لا يقدر عليها غيره»[[154]](#footnote-154).

و اتّخذ الحجّاج سجونا لا تقي من حرّ و لا برد، و كان يعذّب المساجين بأقسى ألوان العذاب و أشدّه، فكان يشدّ على يد السجين القصب الفارسي المشقوق، و يجر عليه حتى يسيل دمه.

يقول المؤرّخون: إنّه مات في حبسه خمسون ألف رجل، و ثلاثون ألف امرأة منهنّ ستّ عشرة ألف مجرّدات، و كان يحبس الرجال و النساء في موضع واحد[[155]](#footnote-155) و احصي في سجنه ثلاثة و ثلاثون ألف سجين لم يحبسوا في دين و لا تبعة[[156]](#footnote-156)، و كان يمرّ على أهل السجن فيقول لهم: إخسأوا فيها و لا

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) تاريخ الطبري: 5/ 451 و عنه في وقعة الطف: 254 و قريبا منه في الإرشاد: 2/ 110، 111. و ليس فيه:

سنين كسنيّ يوسف، و لا غلام ثقيف.

(2) حياة الحيوان: 167.

(3) حياة الحيوان: 1/ 170.

(4) معجم البلدان: 5/ 349.

ص:83

تكلّمون‏[[157]](#footnote-157).

و قد كان يسخر من المسلمين الذين يزورون قبر النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) و يقول: تبا لهم، إنّما يطوفون بأعواد و رمّة بالية، هلّا طافوا بقصر أمير المؤمنين عبد الملك! ألا يعلمون أنّ خليفة المرء خير من رسوله‏[[158]](#footnote-158)؟!

و عهد عبد الملك بن مروان بالملك من بعده إلى ولده الوليد، و أوصاه بالإرهابي الحجّاج خيرا، و قال له: و انظر الحجاج فأكرمه، فإنّه هو الذي وطّأ لكم المنابر و هو سيفك يا وليد و يدك على من ناواك، فلا تسمعنّ فيه قول أحد و أنت إليه أحوج منه إليك، و ادع الناس إذا متّ إلى البيعة، فمن قال برأسه هكذا فقل بسيفك هكذا ...[[159]](#footnote-159).

و مثّلت هذه الوصية اندفاعاته نحو الشرّ حتى الساعات الأخيرة من حياته، إذ لم يبق بعدها إلّا لحظات حتى وافته المنيّة، و كانت وفاته في شوال سنة (86 ه)[[160]](#footnote-160) و قد سئل عنه الحسن البصري فقال: ما أقول في رجل كان الحجاج سيئة من سيئاته‏[[161]](#footnote-161).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) تهذيب التهذيب: 2/ 212.

(2) شرح النهج: 15/ 242 عن كتاب: افتراق هاشم و عبد شمس للدبّاس. و قد ورد الخبر قبله في الكامل للمبرّد: 1/ 222. و في سنن أبي داود: 4/ 209 و البداية و النهاية: 9/ 131 و النصائح الكافية لابن عقيل: 11 عن الجاحظ، و في رسائل الجاحظ: 2/ 16.

(3) تاريخ الخلفاء: 220.

(4) البداية و النهاية: 9/ 68.

(5) مروج الذهب: 3/ 96.

ص:85

الفصل الثّالث استشهاد الإمام زين العابدين (عليه السّلام)

و تقلّد الوليد أزمّة الملك بعد أبيه عبد الملك بن مروان، و قد وصفه المسعودي بأنّه كان جبّارا عنيدا ظلوما غشوما[[162]](#footnote-162)، حتّى طعن عمر بن عبد العزيز الأموي في حكومته، فقال فيه: إنّه ممن امتلأت الأرض به جورا[[163]](#footnote-163).

و في عهد هذا الطاغية الجبّار استشهد العالم الإسلامي الكبير سعيد بن جبير على يد الحجّاج بن يوسف الثقفي أعتى عامل اموي.

و قد كان الوليد من أحقد الناس على الإمام زين العابدين (عليه السّلام) لأنّه كان يرى أنّه لا يتمّ له الملك و السلطان مع وجود الإمام زين العابدين (عليه السّلام).

فقد كان الإمام (عليه السّلام) يتمتّع بشعبية كبيرة، حتّى تحدّث الناس بإعجاب و إكبار عن علمه و فقهه و عبادته، و عجّت الأندية بالتحدّث عن صبره و سائر ملكاته، و احتلّ مكانا كبيرا في قلوب الناس و عواطفهم، فكان السعيد من يحظى برؤيته، و يتشرّف بمقابلته و الاستماع إلى حديثه، و قد شقّ على الامويين عامّة هذا الموقع المتميّز للإمام (عليه السّلام)، و أقضّ مضاجعهم، و كان من‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) مروج الذهب: 3/ 96.

(2) تأريخ الخلفاء: 223.

ص:86

أعظم الحاقدين عليه الوليد بن عبد الملك‏[[164]](#footnote-164) الذي كان يحلم بحكومة المسلمين و خلافة الرسول (صلّى اللّه عليه و اله).

و روى الزهري: عن الوليد أنّه قال: لا راحة لي و عليّ بن الحسين موجود في دار الدنيا[[165]](#footnote-165).

فأجمع رأيه على اغتيال الإمام زين العابدين (عليه السّلام) حينما آل اليه الملك، فبعث سمّا قاتلا إلى عامله على يثرب، و أمره أن يدسّه للإمام (عليه السّلام)[[166]](#footnote-166) و نفّذ عامله ذلك، فسمت روح الإمام العظيمة إلى خالقها بعد أن أضاءت آفاق هذه الدنيا بعلومها و عباداتها و جهادها و تجرّدها من الهوى.

و قام الإمام أبو جعفر محمد الباقر (عليه السّلام) بتجهيز جثمان أبيه، و بعد تشييع حافل لم تشهد يثرب نظيرا له؛ و جي‏ء بجثمانه الطاهر إلى بقيع الفرقد، فحفروا قبرا بجوار قبر عمّه الزكيّ الإمام الحسن المجتبى (عليه السّلام) سيّد شباب أهل الجنة و ريحانة رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله)- و أنزل الإمام الباقر (عليه السّلام) جثمان أبيه زين العابدين و سيّد الساجدين (عليه السّلام) فواراه في مقرّه الأخير.

فسلام عليه يوم ولد و يوم استشهد و يوم يبعث حيّا

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) هناك من المؤرّخين من يرى أنّ هشام بن عبد الملك هو الذي دسّ السمّ للإمام (عليه السّلام)، راجع بحار الأنوار: 46/ 153، و يمكن الجمع بين الرأيين فيكون أحدهما آمرا و الآخر منفّذا للجريمة.

(2) راجع: حياة الإمام زين العابدين: 678.

(3) بحار الأنوار: 46/ 153 عن الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي: 194.

ص:87

الباب الرّابع فيه فصول:

الفصل الأول:

نظرة عامّة في مسيرة أهل البيت (عليهم السّلام) الرسالية

الفصل الثاني:

ملامح عصر الإمام زين العابدين (عليه السّلام)

الفصل الثالث:

تخطيط الإمام زين العابدين و جهاده (عليه السّلام)

الفصل الرابع:

ظواهر فذّة في حياة الإمام زين العابدين (عليه السّلام)

ص:89

الفصل الأوّل نظرة عامة في مسيرة أهل البيت (عليهم السّلام) الرسالية

للوصول إلى التصور الصحيح عن المسيرة الرساليّة لأهل البيت (عليهم السّلام) الرسالية لابدّ أن نجيب على الأسئلة التالية:

1- ما هي الرسالة الإسلامية؟

2- و ما هي الأخطار التي كانت تواجهها؟

3- و ما هي التحصينات التي كان ينبغي اتّخاذها ضد تلك الأخطار.

و قبل الإجابة نقول: هناك نظرتان أساسيتان للكون و لموقف الإنسان منه.

النظرة الاولى: أن الكون مملكة لمليك قدير يراقب من وراء الستار مراقبة غير منظورة. و الإنسان في الكون هو الأمين و الخليفة لا الأصيل و المتحكم؛ لأن هذه مملكة غيره بكل ما فيها من وجود بما فيها نفس الإنسان. و الإنسان إنّما يقوم بأعباء الخلافة و الأمانة. و هذه الخلافة و الأمانة تستبطن ضرورة استيحاء الأمر و النهي و التدبير و التقدير و التقديم من قبل ذلك المليك القدير. و الأمين لابد له أن يطبّق على الأمانة التي استؤمن عليها قرارات المالك. فلابد للإنسان إذن أن يكون رهن أوامر ذلك المليك القدير.

ص:90

و الجزء الآخر لهذه النظرية الأساسية: أن المسؤولية تستبطن الحساب و الثواب و العقاب. و هما يستبطنان وجود عالم آخر وراء هذا العالم لتحقيق نتائج هذه المراقبة المستورة. و حينئذ لا يكون الإنسان قيد هذا الشوط القصير في الدنيا، بل يكون رهن خط طويل، و على مستوى أهداف كبيرة لا يستطيع هو أن يستنزفها؛ إذ تكون أوسع من عمر الإنسان في هذه الدنيا.

و إذا أصبحت البشرية على مستوى الأهداف الكبيرة- لأنها انطلقت في غاياتها و في ثباتها إلى أكثر من حدود هذه الدنيا الفانية- حينئذ تستطيع أن تقوم بأعباء تلك الأهداف الكبيرة.

و الحضارة الإسلامية عبارة عن هذه النظرة الأساسية بكلّ شعبها و فروعها التي ترجع بالنهاية إلى تجسيد كامل للعلاقة مع اللّه سبحانه و تعالى في تفاعل الإنسان في كلّ مجالاته الحيوية و الكونية.

و النظرة الثانية: هي أن يرى الإنسان نفسه أصيلا في هذا الكون، و أن هذا الكون غير خاضع لمليك و مراقبة من وراء الستار. و حينما تتركز في نظره هذه الأصالة و هذا الاستقلال بهذا الكون تنعدم المسؤولية، و إذا انعدمت المسؤولية بقي عليه هو أن يتحمل المسؤولية بنفسه.

فهو بدلا من أن يشعر بأنه مسؤول و مراقب امام جهة عليا تضعه أمام أهداف كبرى في سبيل الثواب الكبير و العقاب الكبير، هو يصنع لنفسه المسؤولية. و حينما يحتمّل هو وضع المسؤولية تكون هذه المسؤولية نتاج نفسه فينعكس فيما وضعه تمام ما في نفسه، أي تمام المحتوى الداخلي و الروحي و الحسي بكل ما فيه من نقص و انحراف.

و حينما يريد الإنسان أن يحدد لنفسه مسؤولياته؛ فإنّما يحددّها على ضوء أهدافه التي سوف يحددها على ضوء ما يراه من الطريق الذي يريد سلوكه.

ص:91

و حيث ان طريقه محدود في نطاق المادة فسوف تكون الأهداف على مستوى الطريق المحدود ... و حينئذ سوف يخسر القيم الأخلاقية و يتولد عن ذلك- طبعا- ألوان من الصراع و النزاع بين البشرية.

و جاء الإسلام ليربي الإنسان على النظرية الاولى بحيث تصبح جزء من وجوده و تجري مع دمه و عروقه و فكره و عواطفه و تنعكس على كل مجالات تصرفه و سلوكه مع اللّه سبحانه و تعالى و مع نفسه و مع الآخرين.

و لا بدّ للإسلام حينئذ أن يهيمن على هذا الإنسان، و على كل طاقاته و علاقاته ليستطيع أن يربيه؛ و كلما كانت الهيمنة أوسع نطاقا كانت التربية أكثر نجاحا. فإنّ الأب قد لا ينجح في تربية ابنه لأن وجود ابنه ليس كله تحت هيمنته؛ لأن هذا الابن هو ابنه و ابن المجتمع أيضا مادام يتفاعل معه و يتأثر به و يؤثر فيه و يتبادل معه العواطف و المشاعر و الأفكار و الانفعالات، و قد يقيم معه علاقات في الحقول الأخلاقية و الاجتماعية و السياسية و الاقتصادية و غير ذلك من مجالات حياته، فهو ليس ابنه وحده بل ابن المجتمع أيضا.

و من الطبيعي أن يعجز كثير من الآباء عن تربية أبنائهم في المجتمع الفاسد.

اذن فالتربية الكاملة لا تتحقق إلّا إذا هيمن المربي على الإنسان هيمنة كاملة، على كل علاقاته الاجتماعية مع غيره بحيث يصبح تمام هذا الوجود تحت سيطرة هذا المربي، فيصير شخص واحد هو الأب و هو المجتمع.

و حينئذ يصبح هذا مربّيا كاملا.

و هذا ما صنعه رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) حين هيمن على العلاقات الاجتماعية لأنه تزعّم المجتمع بنفسه، فأنشأ مجتمعا و قاده بنفسه و وقف يخطط لهذا المجتمع و يبني كل العلاقات داخل الاطار الاجتماعي: علاقة الإنسان مع نفسه و علاقته مع ربّه و علاقته مع عائلته و علاقته مع بقية أبناء مجتمعه. و لهذا

ص:92

صارت كل هذه الأمور تحت هيمنته و بهذا استكمل الشرط الأساسي للتربية الناجحة[[167]](#footnote-167).

و بالرغم من أن النبي (صلّى اللّه عليه و اله) قد مارس عملية التغيير الشاملة للمجتمع و أعرافه و أنظمته و مفاهيمه، لكن الطريق لم يكن قصيرا أمام عملية التغيير الشاملة هذه، بل كان طريقا ممتدا بامتداد الفواصل المعنوية الضخمة بين الجاهلية و الإسلام، فكان على النبي (صلّى اللّه عليه و اله) أن يبدأ بإنسان الجاهلية فتنشئه إنشاءا جديدا و يجعل منه الإنسان الإسلامي الذي يحمل النور الجديد و يجتثّ منه كلّ جذور الجاهلية و رواسبها.

و قد خطا الرسول الأعظم (صلّى اللّه عليه و اله) بعملية التغيير هذه خطوات مدهشة في برهة قصيرة جدّا[[168]](#footnote-168) حتّى و أنتجت التربية النبوية انتاجا عظيما و حققت تحوّلا فريدا.

و لكن الامّة الإسلامية- ككل- لم تكن قد عاشت في ظل عملية التغيير هذه إلّا عقدا واحدا من الزمن على أكثر تقدير، و هذا الزمن لا يكفي عادة في منطق الرسالات العقائدية و الدعوات التغييرية ليرتفع الجيل الذي عاش في كنف الرسالة عشر سنوات فقط إلى درجة من الوعي و الموضوعية و التّحرر من رواسب الماضي و الاستيعاب لمعطيات الرسالة الجديدة استيعابا يؤهله للقيمومة على الخط الرسالي و تحمّل مسؤوليات الدعوة الى اللّه تعالى على بصيرة تامّة و مواصلة عملية التغيير الشاملة بدون قائد رساليّ.

بل ان منطق الرسالات العقائدية يفرض أن تمرّ الامّة بوصاية عقائدية فترة أطول من الزمن تهيؤها للارتفاع إلى مستوى تلك القيمومة[[169]](#footnote-169).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) أهل البيت تنوع أدوار و وحدة هدف: 117- 122، طبعة دار التعارف.

(2) بحث حول الولاية: 15، طبعة دار التعارف.

(3) المصدر السابق: 59.

ص:93

و باعتبار أن الاسلام كان يريد تحقيق أهدافه كاملة كان ينبغي أن يستمر تطبيقه على يد الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) نفسه فيمتدّ به العمر حتى يستكمل كلّ الشروط اللازمة للتربية الشاملة في فترة زمنية كافية أو يوكل أمر تطبيق الإسلام إلى من يخلفه من القادة الأكفاء الذين بلغوا درجة العصمة في مستواهم العقائدي و الفكري و العملي ليصونوا أمر التربية من أي انحراف أو انهيار.

اذن منطق العمل التغييري على مسار التاريخ كان يفرض على النبي (صلّى اللّه عليه و اله) أن يصون تجربته من أيّ ضعف أو اندحار، و ذلك من خلال استمرار الوصاية على التجربة الانقلابية الجديدة و هكذا كان فقد تمثّلت مهمّة صيانته للتجربة الفتيّة في أهل بيته المعصومين (عليهم السّلام) الذين أعدّهم بنفسه إعدادا رساليا و قياديا خاصّا ليكونوا قادرين على مواصلة عملية التغيير الشاملة بالشكل المطلوب، و المنسجم مع أهداف الرسالة الكبرى.

الأخطار التي كان يواجهها الإسلام:

لم يكن الإسلام نظرية بشرية لكي تتحدّد فكريا من خلال الممارسة و التطبيق و تتبلور مفاهيمه عبر التجربة المخلصة، و إنما هو رسالة اللّه التي حدّدت فيها الأحكام و المفاهيم و زوّدت ربّانيا بكلّ التشريعات العامّة التي تتطلبها التجربة، فلا بدّ لزعامة هذه التجربة من استيعاب الرسالة بحدودها و تفاصيلها و وعي كامل لأحكامها و مفاهيمها، و إلّا كانت مضطرة إلى استلهام مسبّقاتها الذهنية و مرتكزاتها القبلية و ذلك يؤدّي إلى نكسة في مسيرة التجربة و بخاصة إذا لا حظنا أن الإسلام كان هو الرسالة الخاتمة من رسالات السماء التي يجب أن تمتد مع الزمن و تتعدى كل الحدود الوقتية و الاقليمية و القومية، الأمر الذي لا يسمح بأن تمارس زعامته- التي تشكل الأساس لكلّ ذلك الإمتداد- تجارب الخطأ و الصواب التي تتراكم فيها الأخطاء عبر فترة من‏

ص:94

الزمن حتى تشكل ثغرة تهدد التجربة بالسقوط و الانهيار[[170]](#footnote-170).

و قد برهنت الأحداث بعد وفاة الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) على هذه الحقيقة و تجلّت بعد نصف قرن أو أقلّ من خلال ممارسة جيل المهاجرين الذين لم يرشّحوا من قبل الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) لإمامة الدعوة و لم يكونوا مؤهلين للقيمومة عليها.

و لم يمض ربع قرن حتى بدأت الخلافة الراشدة تنهار تحت وقع الضربات الشديدة التي وجّهها أعداء الإسلام القدامى فاستطاعوا أن يتسلّلوا إلى مراكز النفوذ في التجربة بالتدريج و يشغلوا القيادة غير الواعية ثم صادروا بكل وقاحة و عنف تلك القيادة و أجبروا الامّة و جيلها الطليعي الرائد على التنازل عن شخصيّته و قيادته و تحولت الزعامة إلى ملك موروث يستهتر بالكرامات و يقتل الأبرياء و يبعثر الأموال و يعطّل الحدود و يجمّد الأحكام و يتلاعب بمقدرات الناس و أصبح الفيى‏ء و السواد بستانا لقريش، و الخلافة كرة يتلاعب بها صبيان بني أمية[[171]](#footnote-171).

مضاعفات الانحراف في القيادة الإسلامية:

و هكذا واجه الإسلام بعد النبي (صلّى اللّه عليه و اله) انحرافا خطيرا في صميم التجربة الإسلامية التي أنشأها النبي (صلّى اللّه عليه و اله) للمجتمع الإسلامي و الامّة الإسلامية. و هذا الانحراف في التجربة الاجتماعية و السياسية للأمّة في الدولة الإسلامية كان بحسب طبيعة الاشياء من المفروض أن يتسع ليتعمق بالتدريج على مرّ الزمن؛ اذ الانحراف يبدأ بذرة ثمّ تنمو هذه البذرة، و كلما تحققت مرحلة من الانحراف؛ مهّدت هذه المرحلة لمرحلة أوسع و أرحب.

فكان من المفروض أن يصل هذا الانحراف إلى خط منحن طوال‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) بحث حول الولاية: 57- 58.

(2) المصدر السابق: 60- 61.

ص:95

عملية تاريخية زمنية طويلة المدى يصل به إلى الهاوية فتمر التجربة الإسلامية للمجتمع و الدولة لتصبح مليئة بالتناقضات من كل جهة و من كل صوب، و تصبح عاجزة عن مواكبة الحدّ الأدنى من حاجات الامّة و مصالحها الإسلاميّة و الإنسانيّة.

و حينما يتسلسل الانحراف في خط تصاعدي فمن المنطقي أن تتعرض التجربة بعد مدى من الزمن لانهيار كامل. إذن الدولة الإسلامية و المجتمع الإسلامي و الحضارة الإسلامية لقيادة المجتمع كان من المفروض أن تتعرض كلّها للانهيار الكامل؛ لأن هذه التجربة حين تصبح مليئة بالتناقضات و حين تصبح عاجزة عن مواجهة وظائفها الحقيقية؛ تصبح عاجزة عن حماية نفسها؛ لأن التجربة تكون قد استنفدت إمكانية البقاء و الاستمرار على مسرح التاريخ، كما أن الامّة ليست على مستوى حمايتها؛ لأن الامّة لا تجني من هذه التجربة الخير الذي تفكّر فيه و لا تحقق عن طريق هذه التجربة الآمال التي تصبو اليها فلا ترتبط بأي ارتباط حياتي حقيقي معها، فالمفروض أن تنهار هذه التجربة في مدى من الزمن كنتيجة نهائية حتمية لبذرة الانحراف التي غرست فيها.

مضاعفات انهيار الدولة الإسلامية:

و معنى انهيار الدولة الإسلامية أن تسقط الحضارة الإسلامية و تتخلى عن قيادة المجتمع و يتفكك المجتمع الإسلامي، و يقصى الإسلام عن مركزه كقائد للمجتمع و كقائد للامّة، لكن الامّة تبقى طبعا، حين تفشل تجربة المجتمع و الدولة، لكنها سوف تنهار أمام أول غزو يغزوها، كما انهارت أمام الغزو التتري الذي واجهته الخلافة العباسية.

و هذا الانهيار يعني: أن الدولة و التجربة قد سقطت و أن الامّة بقيت،

ص:96

لكن هذه الامّة أيضا بحسب تسلسل الأحداث من المحتوم أن تنهار كامّة تدين بالإسلام و تؤمن به و تتفاعل معه؛ لأن هذه الامّة قد عاشت الإسلام الصحيح زمنا قصيرا جدا و هو الزمن الذي مارس فيه الرسول الأعظم (صلّى اللّه عليه و اله) زعامة التجربة و بعده عاشت الامّة التجربة المنحرفة التي لم تستطع أن تعمّق الإسلام و تعمّق المسؤولية تجاه عقيدتها و لم تستطع أن تثقّفها و تحصّنها و تزوّدها بالضمانات الكافية لئلّا تنهار أمام الحضارة الجديدة و الغزو الجديد و الأفكار الجديدة التي يحملها الغازي إلى بلاد الإسلام. و لم تجد هذه الامّة نفسها قادرة على تحصين نفسها بعد انهيار التجربة و الدولة و الحضارة بعدما اهينت كرامتها و حطّمت ارادتها و غلّت أياديها عن طريق الزعامات التي مارست تلك التجربة المنحرفة و بعد أن فقدت روحها الحقيقية، لأن تلك الزعامات كانت تريد اخضاعها لزعامتها القسريّة.

إن هذه الامّة من الطبيعي أن تنهار بالاندماج مع التّيار الكافر الذي غزاها و سوف تذوب الامّة و تذوب الرسالة و العقيدة أيضا و تصبح الامّة خبرا بعد أن كانت أمرا حقيقيا على مسرح التاريخ و بهذا ينتهي دور الإسلام نهائيا[[172]](#footnote-172).

لقد كان هذا هو التسلسل المنطقي لمسيرة الدولة و الامّة و الرسالة بقطع النظر عن دور الأئمّة المعصومين الذين اوكلت لهم مهمة صيانة التجربة و الدولة و الامّة و الرسالة جميعا.

و يتلخص دور الأئمّة الراشدين الذين اختارهم اللّه و نص عليهم الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) لصيانة الإسلام و تطبيقه و تربية الإنسانية على أساسه و صيانة دولة الرسول الخاتم من الانهيار و التردّي في أمرين مهمّين و خطّين أساسيين بعد أن كانت التجربة الإسلامية تشتمل على عناصر ثلاثة باعتبارها

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) راجع: أهل البيت تنوّع أدوار و وحدة هدف: 127- 129.

ص:97

عملية تربية تتكوّن من (فاعل) هو المربي و من (تنظيم) تقدّمه الشريعة و من (حقل لهذا التنظيم) و هو الامّة[[173]](#footnote-173).

و الانحراف الذي بدأ يغيّر هذه العناصر الثلاثة انطلق من افتقاد المربي الكفوء للامّة بوفاة سيد المرسلين (صلّى اللّه عليه و اله).

و كان انهدام هذا العنصر كفيلا بهدم العنصرين الآخرين إذ لم يكن من جاء بعد النبي (صلّى اللّه عليه و اله) لقيادة التجربة كفوءا لقيادتها كالنبي نفسه علما و عصمة و نزاهة و قدرة و شجاعة و كمالا، و إنّما تزعّمها من لم يكن معصوما و منصهرا في حقيقة الرسالة و لم يكن مالكا للضمانات اللازمة لصيانتها من الانحراف عن الخط الذي رسمه رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) لهذه الامّة، ذلك الانحراف الذي لم يتصور المسلمون مدى عمقه و مدى تأثيره السلبي على الدولة و الامّة و الشريعة جميعا على طول الخط؛ إذ لعلّهم كانوا قد اعتبروه تغيير شخص لا تغيير خط.

و الخطّان الرئيسان اللذان عمل الأئمّة عليهما و كان عليهم أن يوظّفوا نشاطهم لهما هما:

1- خط تحصين الامّة ضد الانهيار بعد سقوط التجربة، و اعطائها من المقومات القدر الكافي لكي تبقى واقفة على قدميها بقدم راسخة و بروح مجاهدة و بإيمان ثابت.

2- خط محاولة تسلّم زمام التجربة و زمام الدولة و محو آثار الانحراف و ارجاع القيادة إلى موضعها الطبيعي لتكتمل عناصر التربية و لتتلاحم الامّة و المجتمع مع الدولة و القيادة الرشيدة[[174]](#footnote-174).

أما الخط الثاني فكان على الأئمّة الراشدين ان يقوموا بإعداد طويل‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) أهل البيت تنوّع أدوار و وحدة هدف: 122.

(2) المصدر السابق: 59.

ص:98

المدى له، من أجل تهيئة الظروف الموضوعية اللازمة التي تتناسب و تتفق مع مجموعة القيم و الأهداف و الأحكام الأساسية التي جاءت بها الرسالة الإسلامية و أريد تحقيقها من خلال الحكم و ممارسة الزعامة باسم الإسلام القيّم و باسم اللّه المشرّع للإنسان ما يوصله إلى كماله اللائق.

و من هنا كان رأي الأئمّة في استلام زمام الحكم أن الانتصار المسلّح الآنيّ غير كاف لإقامة دعائم الحكم الإسلامي المستقر بل يتوقف ذلك على اعداد جيش عقائدي يؤمن بالإمام و بعصمته ايمانا مطلقا يعيش أهدافه الكبيرة و يدعم تخطيطه في مجال الحكم و يحرس ما يحققه للامّة من مصالح أرادها اللّه لها.

و أما الخط الأوّل فهو الخط الذي لا يتنافى مع كل الظروف القاهرة و كان يمارسه الأئمّة (عليهم السّلام) حتى في حالة الشعور بعدم توفر الظروف الموضوعية التي تهيئ الإمام لخوض معركة يتسلّم من خلالها زمام الحكم من جديد.

إن هذا الدور و هذا الخط هو تعميق الرسالة فكريا و روحيّا و سياسيا للامّة نفسها بغية إيجاد تحصين كاف في صفوفها ليؤثّر في تحقيق مناعتها و عدم انهيارها بعد تردّي التجربة و سقوطها و ذلك بايجاد قواعد واعية في الامّة و ايجاد روح رسالية فيها و ايجاد عواطف صادقة تجاه هذه الرسالة في الامّة[[175]](#footnote-175).

و استلزم عمل الأئمّة (عليهم السّلام) في هذين الخطين قيامهم بدور رسالي ايجابي و فعّال على طول الخط لحفظ الرسالة و الامّة و الدولة و حمايتها باستمرار. و كلما كان الانحراف يشتد؛ كان الائمّة يتخذون التدابير اللازمة

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) أهل البيت تنوع ادوار و وحدة هدف: 131- 132 و 147- 148.

ص:99

ضد ذلك و كلما وقعت محنة للعقيدة أو التجربة الإسلامية و عجزت الزعامات المنحرفة من علاجها- بحكم عدم كفاءتها- بادر الأئمّة إلى تقديم الحلّ و وقاية الأمة من الأخطار التي كانت تهددّها. فالأئمّة (عليهم السّلام) كانوا يحافظون على المقياس العقائدي في المجتمع الإسلامي إلى درجة لا تنتهي بالامّة إلى الخطر الماحق لها[[176]](#footnote-176).

و من هنا تنوع عمل الأئمة (عليهم السّلام) في مجالات شتى باعتبار تعدد العلاقات و تعدّد الجوانب و المهام التي تهمهم كقيادة واعية رشيدة تريد تطبيق الإسلام و حفظه و ضمان خلوده للإنسانية جمعاء.

فالأئمّة مسؤولون عن صيانة تراث الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) الأعظم و ثمار جهوده الكريمة المتمثلة في:

1- الشريعة و الرسالة التي جاء بها الرسول الأعظم من عند اللّه و المتمثلة في الكتاب و السنة الشريفين.

2- الامّة التي كوّنها و رباها الرسول الكريم بيديه الكريمتين.

3- المجتمع السياسي الإسلامي الذي أوجده النبي محمد (صلّى اللّه عليه و اله) أو الدولة التي أسسها و شيّد أركانها.

4- القيادة النموذجية التي حققها بنفسه و ربّى من يكون كفوء لتجسيدها من أهل بيته الطاهرين.

لكنّ عدم امكان الحفاظ على المركز القيادي الذي رشّح له الأئمّة المعصومون من قبل رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) و انتخبوا لاستلامه و لتربية الامّة من خلاله لا يحول دون الاهتمام بمهمة الحفاظ على المجتمع الإسلامي السياسي و صيانة الدولة الإسلامية من الانهيار بالقدر الممكن الذي يتسنّى لهم بالفعل‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) أهل البيت تنوع أدوار و وحدة هدف: 144.

ص:100

و بمقدار ما تسمح به الظروف الواقعية المحيطة بهم.

كما أن سقوط الدولة الإسلامية لا يحول دون الاهتمام بالامّة كامّة مسلمة و دون الاهتمام بالرسالة و الشريعة كرسالة الهية و صيانتها من الانهيار و الاضمحلال التام.

و على هذا الأساس تنوّعت مجالات عمل الأئمّة جميعا بالرغم من اختلاف ظروفهم من حيث نوع الحكم القائم و من حيث درجة ثقافة الامّة و مدى وعيها و ايمانها و معرفتها بالأئمّة (عليهم السّلام) و مدى انقيادها للحكام المنحرفين و من حيث نوع الظروف المحيطة بالكيان الإسلامي و الدولة الإسلامية و من حيث درجة التزام الحكّام بالإسلام و من حيث نوع الأدوات التي كان يستخدمها الحكّام لدعم حكمهم و إحكام سيطرتهم.

فللأئمّة (عليهم السّلام) نشاط مستمر تجاه الحكم القائم و الزعامات المنحرفة و قد تمثّل في إيقاف الحاكم عن المزيد من الانحراف، بالتوجيه الكلامي، أو بالثورة المسلّحة ضد الحاكم حينما كان يشكّل انحرافه خطرا ماحقا- كثورة الإمام الحسين (عليه السّلام) ضد يزيد بن معاوية- إن كلّفهم ذلك حياتهم، أو عن طريق إيجاد المعارضة المستمرة و دعمها بشكل و آخر من أجل زعزعة القيادة المنحرفة بالرغم من دعمهم للدولة الإسلامية بشكل غير مباشر حينما كانت تواجه خطرا ماحقا أمام الكيانات الكافرة.

و كان للأئمّة (عليهم السّلام) نشاط مستمر في مجال تربية الامّة عقائديا و أخلاقيا و سياسيا و ذلك من خلال تربية الأصحاب العلماء و بناء الكوادر العلمية و الشخصيات النموذجية التي تقوم بمهمة نشر الوعي و الفكر الإسلامي و تصحيح الأخطاء المستجدة في فهم الرسالة و الشريعة، و مواجهة التيارات الفكرية الوافدة المنحرفة أو التيارات السياسية المنحرفة أو الشخصيّات العلمية المنحرفة التي كان يستخدمها الحاكم المنحرف لدعم زعامته، كما

ص:101

قدّموا البديل الفكري و الأخلاقي و السياسي للزعامة المنحرفة و الذي كان يتمثل في زعامة أهل البيت الأطهار المشروعة، و تصعيد درجة معرفة الامّة لهم و الإيمان بهم و الوعي اللازم تجاه إمامتهم و زعامتهم.

هذا فضلا عن نزول الأئمّة (عليهم السّلام) إلى ساحة الحياة العامة و الارتباط بالامّة بشكل مباشر و التعاطف مع قطاع واسع من المسلمين؛ فإن الزعامة الجماهيرية الواسعة النطاق التي كان يتمتع بها ائمّة أهل البيت (عليهم السّلام) على مدى قرون لم يحصل عليها أهل البيت صدفة أو لمجرد الانتماء لرسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله)؛ و ذلك لوجود كثير ممن كان ينتسب إلى رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) و لم يكن يحظى بهذا الولاء؛ لأن الامّة لا تمنح على الأغلب الزعامة مجانا و لا يملك الفرد قيادتها و ميل قلوبها من دون عطاء سخيّ منه في مختلف مجالات اهتمام الامّة و مشاكلها و همومها.

و هكذا خرج الإسلام على مستوى النظرية سليما من الانحراف و إن تشوّهت معالم التطبيق، و تحولّت الامّة إلى امّة عقائدية تقف بوجه الغزو الفكري و السياسي الكافر و استطاعت أن تسترجع قدرتها و روحها على المدى البعيد كما لاحظناه في هذا القرن المعاصر بعد عصور الانهيار و التردي.

و قد حقق الأئمّة المعصومون (عليهم السّلام) كل هذه الانتصارات بفضل اهتمامهم البليغ بتربية الكتلة الصالحة التي تؤمن بهم و بإمامتهم فأشرفوا على تنمية و عيها و ايمانها من خلال التخطيط لسلوكها و حمايتها باستمرار و اسعافها بكل الأساليب التي كانت تساعد على صمودها في خضمّ المحن و ارتفاعها إلى مستوى جيش عقائدي رسالي يعيش هموم الرسالة و يعمل على صيانتها و نشرها و تطبيقها ليل نهار.

ص:102

مراحل حركة الأئمّة الطاهرين (عليهم السّلام):

و إذا رجعنا إلى تاريخ أهل البيت (عليهم السّلام) و الظروف المحيطة بهم و لا حظنا سلوكهم و مواقفهم العامة و الخاصة استطعنا أن نصنّف ظروفهم و مواقفهم إلى مراحل و عصور ثلاثة يتميز بعضها عن بعض بالرغم من اشتراكهم في كثير من الظروف و المواقف و لكن الأدوار تتنوع باعتبار مجموعة الظواهر العامّة التي تشكل خطّا فاصلا و مميّزا لكل عصر.

فالمرحلة الاولى من حياة الأئمّة (عليهم السّلام) و هي (مرحلة تفادي صدمة الانحراف) بعد وفاة رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) تجسّدت في سلوك و مواقف الأئمّة الأربعة: علي و الحسن و الحسين و علي بن الحسين (عليهم السّلام) فقاموا بالتحصينات اللازمة لصيانة العناصر الأساسية للرسالة و إن لم يستطيعوا القضاء على القيادة المنحرفة. لكنهم استطاعوا كشف زيفها و المحافظة على الرسالة الإسلامية نفسها. و بالطبع إنهم لم يهملوا الامّة أو الدولة الإسلامية بشكل عام من رعايتهم و اهتماماتهم فيما يرتبط بالكيان الاسلامي و الامّة المسلمة فضلا عن سعيهم البليغ في بناء و تكوين الكتلة الصالحة المؤمنة بقيادتهم.

و تبدأ المرحلة الثانية بالشطر الثاني من حياة الإمام السجاد السياسية حتى الإمام الكاظم (عليه السّلام) و تتميز بأمرين أساسيين:

1- أما فيما يرتبط بالخلافة المزيّفة فقد تصدى هؤلاء الأئمّة لتعريتها عن التحصينات التي بدأ الخلفاء يحصّنون بها أنفسهم من خلال دعم طبقة من المحدّثين و العلماء (و هم وعّاظ السلاطين) لهم و تقديم التأييد و الولاء لهم من أجل إسباغ الصبغة الشرعية على زعامتهم بعد أن استطاع الأئمّة في المرحلة الاولى أن يكشفوا زيف خط الخلافة و أن يحسّسوا الامّة بمضاعفات الانحراف الذي حصل في مركز القيادة بعد الرسول الأعظم (صلّى اللّه عليه و اله).

2- و أما فيما يرتبط ببناء الكتلة الصالحة الذي ارسيت دعائمه في المرحلة الاولى فقد تصدى الأئمّة المعصومون في هذه المرحلة إلى تحديد

ص:103

الاطار التفصيلي و إيضاح معالم الخط الرسالي الذي اؤتمن الأئمّة الأطهار (عليهم السّلام) عليه و الذي تمثّل في تبيين و نشر معالم النظرية الإسلامية الإمامية و تربية عدة أجيال من العلماء على أساس الثقافة الإسلامية الإمامية الناصعة في قبال الخط العلمائي الخلفائي (و هو خط وعاظ السلاطين).

هذا فضلا عن تصديهم لدفع الشبهات و كشف زيف الفرق المذهبية التي استحدثت من قبل خط الخلافة أو غيره.

و الأئمّة في هذه المرحلة لم يتوانوا في زعزعة الزعامات و القيادات المنحرفة من خلال دعم بعض خطوط المعارضة للسلطة و لا سيما بعض الخطوط الثورية منها التي كانت تتصدى لمواجهة من تربّع على كرسيّ خلافة الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) بعد ثورة الإمام الحسين (عليه السّلام).

و أما فيما يخص المرحلة الثالثة من حياة الأئمّة من أهل البيت (عليهم السّلام) بدء بشطر من حياة الإمام الكاظم (عليهم السّلام) و انتهاء بالإمام المهدي (عليه السّلام) فإنهم بعد وضع التحصينات اللازمة للكتلة الصالحة و رسم المعالم و الخطوط التفصيلية لها عقائديا و اخلاقيا و سياسيّا في المرحلة الثانية قد بدا للخلفاء أن قيادة أهل البيت (عليهم السّلام) أصبحت بمستوى تسلّم زمام الحكم و العودة بالمجتمع الإسلامي إلى حظيرة الإسلام الحقيقي، مما خلّف ردود فعل للخلفاء تجاه الأئمّة (عليهم السّلام)، و كانت مواقف الأئمّة تجاه الخلفاء تبعا لنوع موقف الخليفة تجاههم و تجاه قضيتهم.

و أما فيما يرتبط بالكتلة الصالحة التي أوضحوا لها معالم خطها فقد عمل الأئمّة (عليهم السّلام) على دفعها نحو الثبات و الاستقرار و الانتشار من جهة لتحصينها من الانهيار و اعطائها درجة من الاكتفاء الذاتي من جهة اخرى، و كان يقدّر الأئمّة أنهم بعد المواجهة المستمرة للخلفاء سوف لا يسمح لهم بالمكث بين ظهرانيهم و سوف لن يتركهم الخلفاء أحرارا بعد أن تبين زيفهم و دجلهم و اتضحت لهم المكانة الشعبية للأئمّة الذين كانوا يمثّلون الزعامة

ص:14

و دجلهم و اتضحت لهم المكانة الشعبية للأئمّة الذين كانوا يمثّلون الزعامة الشرعية و الواقعية للامّة الإسلامية.

و من هنا تجلّت ظاهرة تربية الفقهاء بشكل واسع ثم ارجاع الناس اليهم و تدريبهم على مراجعتهم في قضاياهم و شؤونهم العامة تمهيدا للغيبة التي لا يعلم مداها إلّا اللّه سبحانه و التي أخبر الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) عن تحققها و أملت الظروف عليهم الانصياع اليها.

و بهذا استطاع الأئمّة (عليهم السّلام)- ضمن تخطيط بعيد المدى- أن يقفوا بوجه التسلسل الطبيعي لمضاعفات انحراف القيادة الإسلامية و التي كانت تنتهي بتنازل الامّة عن الإسلام الصحيح و بالتالي ضمور الشريعة و انهيار الرسالة الالهية بشكل كامل.

فالذي جعل الامّة لا تتنازل عن الإسلام هو أن الإسلام قدّم له مثل آخر واضح المعالم، أصيل المثل و القيم، أصيل الأهداف و الغايات، و قدّمت هذه الاطروحة من قبل الواعين من المسلمين بزعامة الأئمّة من أهل البيت المعصومين الذين أذهب اللّه عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا.

إن هذه الاطروحة التي قدّمها الأئمّة الطاهرين (عليهم السّلام) للإسلام لم تكن تتفاعل مع الشيعة المؤمنين بإمامة أهل البيت (عليهم السّلام) فقط، بل كان لها صدى كبير في كل العالم الإسلامي، فالأئمّة الأطهار كانت لهم اطروحة للإسلام و كانت لهم دعوى لإمامتهم، و هذه الدعوى و ان لم يطلبوا لها إلّا عددا ضئيلا من مجموع الامّة الإسلامية و لكن الامّة بمجموعها تفاعلت مع هذه الاطروحة التي تمثّل النموذج و المخطط الواضح الصحيح الصريح للإسلام في كل المجالات العامة و الخاصة اجتماعيا و سياسيا و اقتصاديا و خلقيا و عباديا ... مما جعل المسلمين على مرّ الزمن يسهرون على الإسلام و يقيمونه و ينظرون اليه بمنظار آخر غير منظار الواقع الذي كانوا يعيشونه من خلال الحكم القائم‏[[177]](#footnote-177).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) أهل البيت تنوع أدوار و وحدة هدف: 79- 80.

ص:105

الفصل الثّاني ملامح عصر الإمام زين العابدين (عليه السّلام)

تبيّن بوضوح من خلال البحوث السابقة أنّ الإمام زين العابدين (عليه السّلام) قد عاش أقسى فترة من الفترات التي مرّت على القادة من أئمّة أهل البيت (عليهم السّلام)، لأنّه عاصر قمّة الإنحراف الذي بدأ بعد وفاة الرسول الأعظم (صلّى اللّه عليه و اله).

و ذلك أنّ الانحراف في زمن الإمام زين العابدين (عليه السّلام) قد أخذ شكلا صريحا، لا على مستوى المضمون فقط بل على مستوى الشعارات المطروحة أيضا من قبل الحكّام في مجال العمل و التنفيذ، و انكشف واقع الحكّام لدى الجماهير المسلمة بعد مقتل الإمام الحسين (عليه السّلام) و لم يبق ما يستر عورة حكمهم أمام الامّة التي خبرت واقعهم و حقيقتهم المزرية.

و قد عاصر الإمام (عليه السّلام) كلّ المحن و البلايا التي وقعت أيّام جدّه أمير المؤمنين عليّ (عليه السّلام)، إذ ولد قبل استشهاد الإمام عليّ (عليه السّلام) و تفتحت عيناه و جدّه (عليه السّلام) في محنته في خط الجهاد مع الناكثين و القاسطين و المارقين، و من ثمّ عاش مع عمّه الإمام الحسن (عليه السّلام) في محنته مع معاوية و عمّاله و عملائه، و مع أبيه الحسين (عليه السّلام) و هو في محنته الفاجعة إلى أن استقلّ بالمحنة وجها لوجه، و قد وصلت به المحنة ذروتها عندما رأى جيوش بني اميّة تدخل مسجد رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) في المدينة و تربط خيولها في المسجد، هذا المسجد

ص:106

الذي كان منطلقا للرسالة و أفكارها إلى العالم أجمع، و قد أصاب هذا المسجد في عهد الإمام زين العابدين (عليه السّلام) كثير من الذلّ و الهوان على يد الجيش الاموي الذي أباح المدينة و المسجد معا، و هتك حرمات النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) فيهما جميعا.

و كان القتل هو أبسط الوسائل التي استعملت في ذلك العصر مع المعارضين، إذ كان التمثيل الانتقامي و الصلب على الأشجار و تقطيع الأيدي و الأرجل و ألوان العقاب البدني لغة الحديث اليومي.

و انغمس الامويون في الترف، و قد ذكر المؤرّخون نوادر كثيرة من ترفهم و تلاعبهم باقتصاد الامّة و ثرواتها[[178]](#footnote-178)، حتى بالغوا في هباتهم للشعراء و أجزلوا العطاء للمغنّين‏[[179]](#footnote-179)، و سادت حياة اللهو و العبث و المجون في كثير من أنحاء العالم الإسلامي و خصوصا في مكّة و المدينة، و عمدت السلطات الاموية إلى إشاعة ذلك فيهما لإسقاط هيبتهما من نفوس المسلمين.

لقد شاع الغناء في مدينة الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) بشكل يندى له جبين الإنسان المؤمن باللّه و برسوله، حتى صارت مركزا له.

قال أبو الفرج: إنّ الغناء في المدينة لا ينكره عالمهم، و لا يدفعه عابدهم‏[[180]](#footnote-180).

و قال أبو يوسف لبعض أهالي المدينة: ما أعجب أمركم يا أهل المدينة في هذه الأغاني! ما منكم شريف و لا دني‏ء يتحاشى عنها[[181]](#footnote-181)!!.

و كان العقيق إذا سال و أخذ المغنّون يلقون أغانيهم لم تبق في المدينة

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) حياة الإمام زين العابدين دراسة و تحليل: 665.

(2) الأغاني: 1/ 55، 4/ 400، 5/ 111.

(3) الأغاني: 8/ 224.

(4) العقد الفريد: 3/ 233.

ص:107

مخبّأة و لا شابة و لا شابّ و لا كهل إلّا خرج ببصره ليسمع الغناء[[182]](#footnote-182).

نعم غدت المدينة في ذلك العصر مركزا من مراكز الغناء في الحاضرة الإسلامية و أصبحت معهدا متميزا لتعليم الجواري الغناء[[183]](#footnote-183). بينما كانت الشريعة الإسلامية قد حاربت اللهو و المجنون و دعت الإنسان المسلم الى حياة الجدّ و الاجتهاد و الكدح من أجل إعمار حياته الدنيا و حياته الاخرى بالصالحات و استباق الخيرات و تسلّق قمم الكمال و الحرص على أثمن لحظات عمره في هذه الحياة و صيانتها من الضياع و الخسران.

أمّا الحياة العلمية في عصر الإمام زين العابدين (عليه السّلام) فقد كانت مشلولة بما حوته هذه الكلمة من معنى، إذ كان الخط السياسي الذي سارت عليه الدولة الاموية منذ تأسيسها يرتكز على مجافاة العلم، و إقصاء الوعي و الثقافة من حياة المسلمين، و جرّهم الى منحدر سحيق من الجهل؛ لأنّ بلورة الوعي العام و إشاعة العلم بين المسلمين كان يهدّد مصالحهم و دوام ملكهم القائم على استغلال الجهل و الغفلة التي روّج لها من تقمّص الخلافة بعد رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله).

أمّا الطابع الخاصّ للحياة الأدبية فتعرفه ممّا جرى على لسان شعراء ذلك العصر، فهو لم يمثّل أيّ مشكلة اجتماعية من مشاكل ذلك العصر على كثرتها، كما أنّه لم يمثّل أيّ جدّ في الحياة العقلية و الأدبية، و إنّما كان شعرا قبليّا يحكي فيه كلّ شاعر ما امتازت به قبيلته من كرم الضيافة و وفرة المال و العدد، كما غدا الأدب سوقا للهجاء المرّ و التنابز بالألقاب‏[[184]](#footnote-184).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) العقد الفريد: 3/ 245.

(2) راجع: الأغاني: 2/ 226، 3/ 307، 4/ 222، 6/ 21، 7/ 316، و 332، 8/ 227، 10/ 57. و الشعر و الغناء في المدينة و مكة: 250.

(3) حياة الإمام زين العابدين، دراسة و تحليل: 672- 673.

ص:109

الفصل الثّالث تخطيط الإمام زين العابدين (عليه السّلام) و جهاده‏

نجد في سيرة الأئمّة (عليهم السّلام) العديد من الأدلّة التي أوضحوا من خلالها للناس سبب الاختلاف في أساليبهم في قيادة الحركة الإسلامية من إمام لآخر.

فالإمام السجاد (عليه السّلام) قال له عبّاد البصري و هو في طريق مكّة: تركت الجهاد و صعوبته و أقبلت على الحجّ و لينه، و إِنَّ اللَّهَ اشْتَرى‏ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوالَهُمْ‏[[185]](#footnote-185) فأجابه الإمام (عليه السّلام): إقرأ بعدها: التَّائِبُونَ الْعابِدُونَ الْحامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ النَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ الْحافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ‏، ثمّ قال (عليه السّلام): إذا ظهر هؤلاء- يعني المؤمنين حسب مواصفاتهم في الآية- لم نؤثر على الجهاد شيئا[[186]](#footnote-186).

و بهذه الإجابة حدّد الإمام (عليه السّلام) بشكل صارم سياسته و لون كفاحه، و وجهة حركته في عصره، و من ثمّ الأسباب الموجبة لذلك المسار، فإنّ عدوله عن الكفاح المسلّح و المواجهة العسكرية للحكم الاموي لم تأت حبّا في الحياة و نعيمها كما تصوّر عبّاد البصري، و إنّما جاء ذلك لأنّ مستلزمات العمل العسكري الناجح غير متوفرة، و لأنّ النتائج من أيّ تحدّ للسلطان في تلك الظروف تكون عكسيّة تماما.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) التوبة (9): 111.

(2) من لا يحضره الفقيه: 2/ 141، و مناقب آل أبي طالب: 4/ 173 باختلاف يسير في الألفاظ.

ص:110

و بعد ملحمة كربلاء مباشرة تبنّى الإمام السجاد (عليه السّلام) و كرائم أهل البيت كزينب و أمّ كلثوم- عليهم صلوات اللّه و سلامه- سياسة إسقاط الأقنعة التي كان الامويون قد غطّوا وجوه سياستهم الكالحة الخطيرة بها، و حمّلوا الامّة كذلك مسؤوليتها التأريخية أمام اللّه و الرسالة.

و من هنا نلاحظ بوضوح أنّ الخطب و التصريحات التي صدرت عن الإمام زين العابدين (عليه السّلام) و عقائل أهل البيت (عليهم السّلام) في العراق قد انصبّت على مخاطبة ضمائر الناس كمجموع، و إلفات نظر الناس إلى جسامة الخطر الذي حاق بهم، و إلى حجم الجريمة التي ارتكبتها بنو امية بحقّ رسالة اللّه تعالى.

و في الشام ركّزت كلمات الإمام السجّاد (عليه السّلام) على التعريف بالسبايا ذاتهم، و أنّهم آل الرسول (صلّى اللّه عليه و اله)، ثمّ فضح الحكم الاموي و تعريته أمام أهل الشام الذين أضلّهم عن رؤية الواقع.

و قبل دخوله المدينة عمل الإمام السجاد (عليه السّلام) على إثارة الرأي و الوعي العام الإسلامي و توجيهه الى محنة الرسالة التي تمثّلت في فاجعة الطفّ، فقد كان خطابه الذي ألقاه بالناس يستبطن هذه المعاني.

و لقد أعطت تجربة كربلاء مؤشّرا عمليا على أنّ الامّة المسلمة في حالة ركود و تبلّد ممّا جعل الروح الجهادية لديها في حالة غياب إن لم نقل إنّها كانت معدومة نهائيا، و من أجل ذلك فإنّ السجاد (عليه السّلام)- باعتباره إمام الامّة الذي انتهت إليه مرجعية الامّة- أخذ تلك الظاهرة بعين الاعتبار، و لذلك مارس دوره من خلال العمل على تنمية التيار الرسالي في الامّة، و توسيع دائرته في الساحة الإسلامية، و العمل على رفع مستوى الوعي الإسلامي و الإنفتاح العملي في قطاعات الامّة المختلفة، و خلق قيادات متميزة تحمل الفكر الإسلامي النقي، لا الفكر الذي يشيعه الحكم الاموي.

ص:111

و لهذا النهج مبرّراته الموضوعية، فإنّ قوى الانحراف عبر سنوات عديدة من سيطرتها على مراكز التوجيه الفكري و الإجتماعي توفّرت على صنع أجيال ذائبة في الانحراف، الأمر الذي أصبح فيه من المتعذّر على التيار الإسلامي السليم مواجهتها، بالنظر لضخامة تلك القوى، و توفّر الغطاء الواقي لها من مؤسسات و قدرات؛ و لتعرّض التيار الإسلامي ذاته للخسائر المتتالية.

و من هنا، فإنّ أمر تكثيف التيار الإسلامي و إثرائه كمّا و كيفا مسألة لا تقبل التأجيل، ما دام أمر بقاء الرسالة حيّة- فكرا و عملا- متوقّفا على بقاء سلامة هذا التيار في كيان الامّة و قواعدها الشعبية، طالما لم يتسنّ له تسلّم المرجعية العامة في الإدارة و الحكم.

و لقد نجحت خطط الإمام (عليه السّلام) على شتّى الأصعدة و حسبما خطّط لها، و فيما يلي مصداقان عمليان على ذلك:

ففي المجال الإجتماعي أثمرت خطّة الإمام (عليه السّلام) حيث حظي بإجلال القطّاعات الواسعة من الامّة و ولائها، و المصادر التأريخية مجمعة على ذلك.

قال ابن خلّكان: لمّا حجّ هشام بن عبد الملك في أيام أبيه، فطاف و جهد أن يصل الحجر ليستلمه، فلم يقدر عليه لكثرة الزحام، فنصب له منبر و جلس عليه ينظر إلى الناس، و معه جماعة من أعيان أهل الشام، فبينما هو كذلك إذ أقبل زين العابدين عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب «رضي اللّه عنهم»، و كان من أحسن الناس وجها و أطيبهم أرجا، فطاف بالبيت، فلمّا انتهى إلى الحجر تنحّى له الناس حتى استلم، فقال رجل من أهل الشام: من هذا الذي قد هابه الناس هذه الهيبة؟ فقال هشام: لا أعرفه، مخافة أن يرغب فيه أهل الشام، و كان الفرزدق حاضرا فقال: أنا أعرفه، فقال الشامي: من هذا يا أبا فراس؟ فقال:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| هذا الذي تعرف البطحاء وطأته‏ |  | و البيت يعرفه و الحلّ و الحرم‏ |
|  |  |  |

ص:112

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| هذا ابن خير عباد اللّه كلّهم‏ |  | هذا النّقيّ التقيّ الطاهر العلم‏ |
| إذا رأته قريش قال قائلها |  | إلى مكارم هذا ينتهي الكرم‏ |
| مشتقّة من رسول اللّه نبعته‏ |  | طابت عناصره و الخيم و الشيم‏ |
| هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله‏ |  | بجدّه أنبياء اللّه قد ختموا |
| اللّه شرّفه قدما و عظّمه‏ |  | جرى بذاك له في لوحه القلم‏ |
| فليس قولك من هذا بضائره‏ |  | العرب تعرف من انكرت و العجم‏ |
| من معشر حبّهم دين و بغضهم‏ |  | كفر و قربهم منجى و معتصم‏ |
| إن عدّ أهل التقى كانوا أئمّتهم‏ |  | أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم‏ |
| أيّ الخلائق ليست في رقابهم‏ |  | لأوّليّة هذا أو له نعم؟ |
| من يعرف اللّه يعرف أوّليّة ذا |  | و الدين من بيت هذا ناله الأمم‏ |
|  |  |  |

فلمّا سمع هشام هذه القصيدة غضب و حبس الفرزدق، و أنفذ له الإمام زين العابدين (عليه السّلام) اثني عشر ألف درهم، فردّها و قال: مدحته للّه تعالى لا للعطاء، فقال الإمام (عليه السّلام): «إنّا اهل بيت إذا وهبنا شيئا لا نستعيده»، فقبلها منه الفرزدق‏[[187]](#footnote-187).

إن هذه الحادثة توضّح أنّ الإمام (عليه السّلام) كان قد حظي بولاء جماهيريّ حقيقيّ واسع النطاق، بشكل جعل ذلك الولاء يتجسّد حيّا حتى في أقدس ساعة، و في موقف عباديّ مشهود، فما أن تلتقي الجماهير الكثيفة بإمامها الحقّ؛ حتى توسّع له، لكي يؤدّي مناسكه دون أيّة مضايقة عفوية منها، بالرغم من أنّ الامّة تدرك عداء الحكم الاموي لأهل البيت (عليهم السّلام) و ما يترتّب على ذلك‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) القصيدة طويلة و هي مذكورة في كثير من المصادر التأريخية و الأدبية، انظر: و فيات الأعيان لابن خلّكان: 6/ 96، الإرشاد للمفيد: 2/ 150، 151 عن محمّد بن اسماعيل بن جعفر الصادق (عليه السّلام) و راجع غيرهما من المصادر في أوائل الفصل الأوّل من الباب الأوّل.

ص:113

العداء من موقف تجاه أنصار أهل البيت (عليهم السّلام) و أتباعهم.

و حقّق النشاط العلمي للإمام (عليه السّلام) غاياته المتوخّاة، فالمسجد النبويّ الشريف و دار الإمام (عليه السّلام) شهدا طوال خمسة و ثلاثين عاما- و هي فترة إمامته- نشاطا فكريا من الطراز الأول، حيث استقطب الإمام (عليه السّلام) طلّاب المعرفة الإسلامية في جميع حقولها، لا في المدينة المنورة و مكّة المكرمة و حدهما، و إنّما في الساحة الإسلامية بأكملها، حتى استطاع أن يخلق نواة مدرسة فكرية لها طابعها و معالمها المميّزة، و تخرّج منها قادة فكر و محدّثون و فقهاء.

إنّ انفصام عرى الشيعة بعد استشهاد الإمام الحسين (عليه السّلام) و تشتّت قواهم كان من أعظم الأخطار التي واجهها الإمام زين العابدين (عليه السّلام) باتّجاه استجماع القوى و تكميل الإعداد من جديد، و قد كان هذا الهدف بحاجة إلى إعداد نفسي و عقيدي و إحياء الأمل في القلوب و بثّ العزم في النفوس.

و قد تمكّن الإمام زين العابدين (عليه السّلام) بعمله الهادئ و المنظّم أن يشرف على تكميل هذه الاستعادة، و على هذا الإعداد بكل قوّة و بحكمة و بسلامة و جدّ.

و قد أطلق الإمام (عليه السّلام) نهجا جهاديا ينهض بأعباء متطلبات المرحلة الخطيرة آنذاك. و يمكن الحديث عن هذا النهج عبر مستويات متعدّدة:

1- الجهاد الفكري و العلمي:

من المعلوم أنّ الفكر السليم هو أحد مقوّمات كلّ حركة سياسية صحيحة، فتثقيف الجماهير و توعيتها لتكون على علم بما يجري عليها و حواليها و ما يجب لها و عليها من حقوق و واجبات هو الركيزة الاولى لصدّ

ص:114

[[188]](#footnote-188)

الأنظمة الحاكمة الفاسدة التي تسعى على طول التأريخ في إبعاد الناس عن الحقّ و التعاليم الأصيلة.

و قد قام الإمام زين العابدين (عليه السّلام) بأداء دور مهمّ في هذا الميدان، حيث تصدّى للوقوف بوجه المنع السلطوي لرواية الحديث‏[[189]](#footnote-189) فأمر برواية الحديث و حثّ على ذلك، و كان يطبّق السنّة و يدعو إلى تطبيقها و العمل بها، و قد روي عنه قوله (عليه السّلام): إنّ أفضل الأعمال ما عمل بالسنّة و إن قلّ‏[[190]](#footnote-190).

و في الظروف التي عاشها الإمام (عليه السّلام)- حيث كان الحكّام بصدد اجتثاث الحقّ من جذوره و اصوله و الذي تمثّل في حفظة القرآن و مفسّريه- كانت الدعوة إلى الاعتصام بالقرآن من أهم الواجبات آنذاك، و لقد قام الإمام زين العابدين (عليه السّلام) بجهد وافر في هذا المجال.

قال (عليه السّلام): «عليك بالقرآن، فإنّ اللّه خلق الجنّة بيده لبنة من ذهب و لبنة من فضة، و جعل ملاطها المسك و ترابها الزعفران و حصاها اللؤلؤ، و جعل درجاتها على قدر آيات القرآن، فمن قرأ منها قال له: إقرأ وارق، و من دخل الجنّة لم يكن في الجنّة أعلى درجة منه، ما خلا النبيّين و الصدّيقين»[[191]](#footnote-191). و كان يقول: «لو مات من بين المشرق و المغرب ما استوحشت بعد أن يكون القرآن معي»[[192]](#footnote-192).

كما كان يسعى في تمجيد القرآن عمليا و بأشكال مختلفة، و كان أحسن الناس صوتا بالقرآن‏[[193]](#footnote-193)، كما كان يرشد الامّة من خلال تفسيره للقرآن‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) كانت عملية منع الحديث- تدوينا و رواية- قد بدأت بعد وفاة الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) مباشرة.

(2) المحاسن: 221 ح 133.

(3) تفسير البرهان: 3/ 156.

(4) بحار الأنوار: 46/ 107.

(5) المصدر السابق: 70، ب 5، ح 45.

ص:115

الكريم‏[[194]](#footnote-194).

و بذل الإمام (عليه السّلام) جهودا جبّارة لتثبيت قواعد التوحيد الإلهي و تشييد أركانه عبر الاستدلال على ذلك بما يوافق الفطرة و العقل السليمين، و الردّ على الأفكار المنحرفة التي غذّاها الحكّام- مثل فكرة الجبر الإلهي- بهدف التمكّن من السلطة و السيطرة التامة على مصير الناس و الهيمنة على الأفكار بعد السيطرة على الأفواه و الأجسام، و قد ذكرنا أنّ الإمام (عليه السّلام) قال لابن زياد الذي أراد أن ينسب قتل عليّ بن الحسين إلى اللّه: «إنّ اللّه يتوفّى الأنفس حين موتها»، فالإمام تحدّى الحاكم في مجلسه حين ردّ على الانحراف العقائدي بتلك الصراحة، و بيّن الفرق بين التوفّي للأنفس و استرجاعها- الذي نسبه القرآن إلى اللّه تعالى حين حلول الأجل و الموت حتف الأنف- و بين القتل الذي هو إزهاق الروح من قبل القاتل قبل حلول الموت المذكور.

و في جوابه (عليه السّلام) عن سؤال: أبقدر يصيب الناس ما أصابهم أم بعمل؟

قال (عليه السّلام): «إنّ القدر و العمل بمنزلة الروح و الجسد ... و للّه فيه العون لعباده الصالحين»، ثمّ قال (عليه السّلام): «ألا من أجور الناس من رأى جوره عدلا، و عدل المهتدي جورا»[[195]](#footnote-195).

و هكذا تصدّى الإمام (عليه السّلام) لعقيدة التشبيه و التجسيم‏[[196]](#footnote-196)، و فكرة الإرجاء[[197]](#footnote-197).

و على صعيد الإمامة و الولاية أعلن الإمام (عليه السّلام) عن إمامته بنفسه بكلّ وضوح و صراحة و من دون أيّة تقيّة أو سريّة، و قد تعدّدت الأحاديث‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) الاحتجاج: 312- 319.

(2) التوحيد للصدوق: 366.

(3) كشف الغمة: 2/ 89.

(4) جهاد الإمام السجاد: 107.

ص:116

المصرّحة بهذا الإعلان، منها قوله (عليه السّلام): «نحن أئمّة المسلمين، و حجج اللّه على العالمين، و سادة المؤمنين و قادة الغرّ المحجّلين و موالي المؤمنين، و نحن أمان أهل الأرض، كما أنّ النجوم أمان لأهل السماء ... و لو لا ما في الأرض منّا لساخت بأهلها، و لم تخل الأرض منذ خلق اللّه آدم من حجّة للّه فيها، ظاهر مشهور أو غائب مستور، و لا تخلو إلى أن تقوم الساعة من حجّة للّه فيها، و لو لا ذلك لم يعبد اللّه»[[198]](#footnote-198).

و قال أبو المنهال نصر بن أوس الطائي: قال لي عليّ بن الحسين (عليه السّلام):

«إلى من يذهب الناس؟» قال: قلت: يذهبون هاهنا و هاهنا، قال: «قل لهم يجيئون إليّ»[[199]](#footnote-199).

و قال له أبو خالد الكابلي: يا مولاي، أخبرني كم يكون الأئمّة بعدك؟

قال: «ثمانية لأنّ الأئمّة بعد رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) اثنا عشر إماما، عدد الأسباط، ثلاثة من الماضين، و أنا الرابع، و ثمانية من ولدي ...»[[200]](#footnote-200).

و الإنحراف الذي حصل عن أئمّة أهل البيت (عليهم السّلام) لم ينحصر في إقصائهم عن الحكم و الولاية فقط، بل انتهى إلى الجهل بأحكام الشريعة التي كان الأئمّة هم المرجع الواقعي و الصحيح للتعرّف عليها.

فالإمام ليس وليّا للأمر و حاكما على البلاد و العباد فحسب، و إنّما هو مصدر يرجع اليه لفهم الشريعة و تبيين أحكامها، باعتبار معرفته التامة بالشريعة الخاتمة و ارتباطه الوثيق بمصادرها الحقيقيّة.

و كما أقصى الحكّام أئمّة أهل البيت (عليهم السّلام) عن الحكم و الولاية؛ حاولوا كذلك نفي مرجعيتهم الدينية و العلميّة و إبعاد الناس عنهم، لذلك اهتمّ الأئمّة

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) أمالي الصدوق: 112، الاحتجاج: 317.

(2) تأريخ دمشق: الحديث 21.

(3) كفاية الأثر: 236- 237.

ص:117

و أتباعهم بإرشاد الناس إلى هذا المعين الصافي للشريعة الإسلامية كي ينهلوا منه، و كان اهتمام الإمام السجاد (عليه السّلام) بليغا بهذا الأمر حتى قال (عليه السّلام) لرجل شاجره في مسألة شرعية فقهية: «يا هذا، لو صرت إلى منازلنا لأريناك آثار جبرئيل في رحالنا، أيكون أحد أعلم بالسنّة منّا»[[201]](#footnote-201).

و قال (عليه السّلام): «إنّ دين اللّه لا يصاب بالعقول الناقصة و الآراء الباطلة و المقاييس الفاسدة، لا يصاب إلّا بالتسليم، فمن سلّم لنا سلم، و من اقتدى بنا هدي، و من كان يعمل بالقياس و الرأي هلك، و من وجد في نفسه- ممّا نقوله أو نقضي به- حرجا كفر بالّذي أنزل السبع المثاني و القرآن العظيم و هو لا يعلم»[[202]](#footnote-202).

2- الجهاد الاجتماعي و العملي:

إنّ أهّم أهداف القادة الإلهيّين هو إصلاح المجتمع البشريّ بتربيته على التعاليم الالهية، و لا بدّ للمصلح أن يمرّ بمراحل من العمل الجادّ و المضني في هذا الطريق الشائك، فعليه:

1- أن يربّي جيلا من المؤمنين على التعاليم الحقّة التي جاء بها الدين و الأخلاق القيّمة التي ينبغي التخلّق بها، لكي يكونوا له أعوانا على الخير.

2- أن يدخل المجتمع بكلّ ثقله، و يحضر بين الناس، و يواجه الظالمين و الطغاة بتعاليمه، و يبلغهم رسالات اللّه.

3- أن يقاوم الفساد الذي يبثّه الظالمون في المجتمع بهدف شلّ قواه، و تفريغه من المعنويات، و إبعاده عن فطرته السليمة المعتمدة على الحقّ و الخير.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) نزهة الناظر: 45.

(2) إكمال الدين: 324، الباب 31، الحديث 9.

ص:118

كان للإمام (عليه السّلام) نشاط واسع في كلّ هذه المجالات، بحيث يعدّ- بحقّ- في صدر قائمة المصلحين الالهيين بالرغم من تميّز عصره بتحكّم طغاة بني امية على الامّة و على مقدّراتها و جسم الخلافة الإسلامية التي تقتل من يعارضها و تهدر دمه تحت عنوان الخروج على الإسلام.

و يمكن الحديث عن أوجه نشاطه (عليه السّلام) العملي في الجانب الإجتماعي على عدّة أوجه منها:

أ- الأخلاق و التربية (على مستوى الامّة و أتباع أهل البيت (عليهم السّلام):

ضرب الإمام زين العابدين (عليه السّلام) أروع الأمثلة في تجسيد الخلق المحمدي العظيم في التزاماته الخاصة و في سيرته مع الناس، بل مع كلّ ما حوله من الموجودات.

فكانت تتبلور فيه شخصية القائد الإسلامي المحنّك الذي جمع بين القابلية العلمية الراقية، و الشرف السامق، و القدرة على جذب القلوب و امتلاكها، و مواجهة المشاكل و الوقوف لصدّها بكلّ صبر و أناة و هدوء.

فالصبر الذي تحلّى به و تجلّى لنا من خلال ما تحمّله في مأساة كربلاء أكبر شاهد على عظمة صبره.

و مثابرته و مداومته على العمل الإسلامي بارزة للعيان، و هذا الفصل يمثّل جزءا من نشاطه السياسي و الإجتماعي الجادّ.

و حديث مواساته للإخوان و الفقراء و المساكين و الأرامل و الأيتام بالبذل و العطاء و الإنفاق ممّا اشتهر عند الخاصّ و العامّ.

و حنوّه و حنانه على العبيد و على الأقارب و الأباعد بل على أعدائه و خصومه ممّا سارت به الركبان.

ص:119

و أخبار عبادته و خوفه من اللّه جلّ جلاله و إعلانه ذلك في كلّ مناسبة ملأت الصحف حتى خصّ بلقب «زين العابدين» و «سيّد الساجدين».

و سنتحدّث عن بعض ذلك فيما بعد بإذنه تعالى، كما أنّنا أشرنا إلى جانب بسيط جدّا من ذلك سابقا.

ب- الإصلاح و الدولة:

لقد شاع عند بعض المؤرّخين أنّ الأئمّة من أبناء الحسين (عليهم السّلام) قد اعتزلوا بعد مذبحة كربلاء السياسة، و انصرفوا إلى الإرشاد و العبادة و الإنقطاع إلى الدنيا[[203]](#footnote-203).

و يدلّلون على قولهم هذا بتأريخ حياة الإمام السجاد (عليه السّلام) و دعوى انعزاله عن الحياة الإسلامية العامة، و يبدو أنّ سبب هذه التصوّرات الخاطئة لدى المؤرّخين هو ما بدا لهم من عدم احتدام الأئمّة بعد الحسين (عليه السّلام) على عمل مسلّح ضد الوضع الحاكم مع إعطائهم الجانب السياسي من القيادة معنى ضيّقا لا ينطبق إلّا على عمل مسلّح من هذا القبيل.

إنّ ما يقال من أنّ الأئمّة من أهل البيت (عليهم السّلام) من أبناء الحسين (عليه السّلام) اعتزلوا السياسة و انقطعوا عن الدنيا فهو زعم يكذّبه و ينفيه واقع حياة الأئمّة الزاخرة كلّها بالشواهد على ايجابية المشاركة الفعّالة التي كانوا يمارسونها.

فمن ذلك علاقات الإمام زين العابدين (عليه السّلام) بالامّة و الزعامة الجماهيرية الواسعة النطاق و التي كان يتمتّع بها على طول الخط[[204]](#footnote-204)؛ فإنّ هذه الزعامة لم يكن ليحصل عليها الإمام (عليه السّلام) صدفة أو على أساس مجرّد الانتساب إلى‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) نشأة الشيعة و التشيّع، للشهيد السيّد محمد باقر الصدر.

(2) قد أشرنا إلى حادثة استلام الإمام (عليه السّلام) للحجر بعد أن انفرج الحجيج له، راجع الصفحة 111 من الكتاب.

ص:120

الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) بل على أساس العطاء و الدور الايجابي الذي كان يمارسه الإمام في الامّة بالرغم من إقصائه عن مركز الحكم؛ فإنّ الامّة لا تمنح- على الأغلب- الزعامة مجانا، و لا يمتلك الفرد قيادتها و يحتلّ قلوبها بدون عطاء سخيّ منه تستشعره الامّة في مختلف مجالاتها، و تستفيد منه في حلّ مشكلاتها و الحفاظ على رسالتها.

و مع أنّ مزاولات الإمام (عليه السّلام) الدينية كلّها من صميم العمل السياسي و خاصّة في عصره حيث لم يسمع نغم الفصل بين السياسة و الدين بعد، نجد في طيّات حياة الإمام (عليه السّلام) عيّنات واضحة من التدخّلات السياسية الصريحة، فهو كما يبدو من النصوص الصادرة عنه تجده رجلا مشرفا على الساحة السياسية، يدخل محاورات حادّة، و يتابع مجريات الأحداث، و يدلي بتصريحات خطيرة ضد الأوضاع الفاسدة التي تعيشها الامّة و إليك بعض النماذج على ذلك:

1- قال عبد اللّه بن الحسن بن الحسن: كان عليّ بن الحسين بن علي بن أبي طالب يجلس كلّ ليلة هو و عروة بن الزبير في مؤخّر مسجد النبي (صلّى اللّه عليه و اله) بعد العشاء الآخرة، فكنت أجلس معهما، فتحدّثا ليلة، فذكروا جور من جار من بني اميّة و المقام معهم، فقال عروة لعليّ: يا عليّ إنّ من اعتزل أهل الجور و اللّه يعلم منه سخطه لأعمالهم، فكان منهم على ميل ثم أصابتهم عقوبة اللّه رجي له أن يسلم ممّا أصابهم.

قال: فخرج عروة، فسكن العقيق.

قال عبد اللّه بن الحسن: و خرجت أنا فنزلت سويقة[[205]](#footnote-205).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) مختصر تأريخ دمشق: 17/ 21.

ص:121

أمّا الإمام (عليه السّلام) فلم يخرج، بل آثر البقاء في المدينة طوال حياته؛ لأنّه كان يعدّ مثل هذا الخروج فرارا من الزحف السياسي و إخلاء للساحة الاجتماعية للظالمين، يجولون فيها و يصولون‏[[206]](#footnote-206).

و لعلّ اقتراح عروة بن الزبير- و هو من أعداء أهل البيت (عليهم السّلام)[[207]](#footnote-207)- كان تدبيرا سياسيا منه أو من قبل الحكّام لإبعاد الإمام (عليه السّلام) عن الحضور في الساحة السياسية و الاجتماعية، لكنّه (عليه السّلام) لم يخرج و ظلّ يواصل مسيرته الجهادية.

2- قال (عليه السّلام): «إنّ للحق دولة على العقل، و للمنكر دولة على المعروف، و للشرّ دولة على الخير، و للجهل دولة على الحلم، و للجزع دولة على الصبر، و للخرق دولة على الرفق، و للبؤس دولة على الخصب، و للشدّة دولة على الرخاء، و للرغبة دولة على الزهد، و للبيوت الخبيثة دولة على بيوتات الشرف، و للأرض السبخة دولة على الأرض العذبة، فنعوذ باللّه من تلك الدول و من الحياة في النقمات»[[208]](#footnote-208).

و إذا كانت الدولة في اللسان العربي هي الغلبة و الاستيلاء- و هي من أبرز مقومات السلطة الحاكمة- فإنّ الإمام (عليه السّلام) يكون قد أدرج قضية السلطة السياسية في سائر القضايا الحيوية و الطبيعية التي يهتمّ بها و يفكّر في إصلاحها.

فمن يا ترى؟ و من هي البيوتات الشريفة المغلوبة في عصره (عليه السّلام)؟

و هل التعوّذ باللّه تعالى من دولة السلطان يعني أمرا غير رفض وجوده و التنديد بسلطته؟ و هل يتصوّر السياسي أن يكون له حضور أقوى من هذا في مثل‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) جهاد الإمام السجاد (عليه السّلام): 154.

(2) لاحظ تنقيح المقال: 2/ 251.

(3) تأريخ دمشق: 41/ 410، مختصر ابن منظور: 17/ 255.

ص:122

ظروف الإمام (عليه السّلام) و موقعه و ضمن تخطيطه الشامل في قيادة حركيّة الإسلام؟ و هل يصدر مثل هذا من رجل ادّعي أنّه ابتعد عن السياسة أو اعتزلها؟.

ج- مقاومة الفساد:

و إذا كان من أهم واجبات المصلح و خاصة المصلح الإلهي مقاومة الفساد و محاربة المفسدين في الأرض؛ فإنّ الإمام زين العابدين (عليه السّلام) قام بدور بارز في أداء هذا الواجب.

و قد تميّز عصره (عليه السّلام) بمشاكل اجتماعية من نوع خاص، و قد تكون موجودة في كثير من العصور، إلّا أنّ بروزها في عصره كان واضحا و مكثّفا، كما أنّ الإمام (عليه السّلام) قام بمعالجتها باسلوبه الخاصّ، ممّا أعطاها صبغة فريدة تميّزت في جهاد الإمام (عليه السّلام) و أهمها مشكلة الفقر العام و مشكلة الرقّ و العبيد.

و سنعرض لهما في فصل قادم إن شاء اللّه تعالى.

\*\*\*

ص:123

الفصل الرّابع ظواهر فذّة في حياة الإمام زين العابدين (عليه السّلام)

تميّزت حياة الإمام زين العابدين (عليه السّلام) بمظاهر فذّة، و هي و إن كانت متوفرة في حياة آبائه الطاهرين و أبنائه الأئمّة المعصومين (عليهم السّلام) إلّا أنّها برزت في سيرته (عليه السّلام) بشكل أكثر وضوحا و أوسع دورا، ممّا دعانا إلى تسليط الضوء عليها أشدّ من غيرها، و هي:

أ- ظاهرة العبادة.

ب- ظاهرة الدعاء.

ج- ظاهرة البكاء.

د- ظاهرة الإعتاق.

فإذا سبرنا حياة الأئمّة (عليهم السّلام) وجدناهم- كلّهم- يتميّزون في هذه المظاهر على أهل زمانهم، إلّا أنّها في حياة الإمام زين العابدين (عليه السّلام) تجلّت بقوة، حتى كان (عليه السّلام) فريدا في كلّ منها.

ظاهرة العبادة في حياة الإمام (عليه السّلام):

أجمع معاصروا الإمام زين العابدين (عليه السّلام) على أنّه كان من أعبد الناس و أكثرهم طاعة للّه تعالى، و لم ير الناس مثله في عظيم إنابته و عبادته، و قد بهر

ص:124

بها المتّقون و الصالحون، و حسبه أنّه وحده الذي قد لقّب بزين العابدين و سيّد الساجدين في تأريخ الإسلام.

أمّا عبادته (عليه السّلام) فكانت ناشئة عن إيمانه العميق باللّه تعالى و كمال معرفته به، و قد عبده لا طمعا في جنّته و لا خوفا من ناره، و إنّما وجده أهلا للعبادة فعبده، و شأنه في ذلك شأن جدّه أمير المؤمنين و سيّد العارفين و إمام المتّقين، و قد أعرب (عليه السّلام) عن عظيم إخلاصه في عبادته بقوله: «إنّي أكره أن أعبد اللّه و لا غرض لي إلّا ثوابه، فأكون كالعبد الطامع إن طمع عمل و إلّا لم يعمل، و أكره أن أعبده لخوف عذابه، فأكون كالعبد السوء إن لم يخف لم يعمل ...».

فانبرى إليه بعض الجالسين فقال له: فبم تعبده؟ فأجابه عن خالص إيمانه: «و أعبده لما هو أهله بأياديه و إنعامه»[[209]](#footnote-209).

و لقد ملأ حبّ اللّه تعالى قلب الإمام (عليه السّلام) و سخّر عواطفه فكان مشغولا بعبادة اللّه و طاعته في جميع أوقاته، و قد سئلت جارية له عن عبادته فقالت:

اطنب أو أختصر؟

قيل لها: بل اختصري.

فقالت: ما أتيته بطعام نهارا قطّ، و ما فرشت له فراشا بليل، قطّ[[210]](#footnote-210).

لقد قضى الإمام (عليه السّلام) معظم حياته صائما نهاره، قائما ليله، مشغولا تارة بالصلاة، و اخرى بالدعاء.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) حياة الإمام زين العابدين: 187 نقلا عن تفسير الإمام الحسن العسكري.

(2) الخصال: 488.

ص:125

عبادة الإمام:

1- وضوؤه:

الوضوء هو نور و طهارة من الذنوب، و المقدمة الاولى للصلاة، و كان الإمام (عليه السّلام) دوما على طهارة، و قد تحدّث الرواة عن خشوعه للّه في وضوئه، فقالوا: إنّه إذا أراد الوضوء اصفرّ لونه، فيقول له أهله: ما هذا الذي يعتريك عند الوضوء؟ فيجيبهم قائلا: «أتدرون بين يدي من أقوم؟!»[[211]](#footnote-211).

2- صلاته:

أمّا الصلاة فمعراج المؤمن و قربان كلّ تقيّ كما في الحديث الشريف، و كانت الصلاة من أهم الرغبات النفسية للإمام (عليه السّلام) فقد اتّخذها معراجا ترفعه إلى اللّه تعالى، و كانت تأخذه رعدة إذا أراد الشروع في الصلاة، فقيل له في ذلك فقال: «أتدرون بين يدي من أقوم، و من اناجي؟!»[[212]](#footnote-212). و نعرض لبعض شؤونه في حال صلاته.

أ- تطيّبه للصلاة:

و كان الإمام إذا أراد الصلاة تطيّب من قارورة كان قد جعلها في مسجد صلاته‏[[213]](#footnote-213).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) نهاية الإرب: 21/ 326، سير أعلام النبلاء: 4/ 238.

(2) الخصال: 2/ 620.

(3) بحار الأنوار: 46/ 58.

ص:126

ب- لباسه في صلاته:

و كان الإمام (عليه السّلام) إذا أراد الصلاة لبس الصوف و أغلظ الثياب‏[[214]](#footnote-214)، مبالغة منه في إذلال نفسه أمام الخالق العظيم.

ج- خشوعه في صلاته:

كانت صلاته تمثّل الانقطاع التامّ إلى اللّه جلّ جلاله و التجرّد من عالم المادّيات، فكان لا يحسّ بشي‏ء من حوله، بل لا يحسّ بنفسه فيما تعلّق قلبه باللّه تعالى، و وصفه الرواة في حال صلاته، فقالوا: كان إذا قام إلى الصلاة غشي لونه بلون آخر، و كانت أعضاؤه ترتعد من خشية اللّه، و كان يقف في صلاته موقف العبد الذليل بين يدي الملك الجليل، و كان يصلّي صلاة مودّع يرى أنّه لا يصلّي بعدها أبدا[[215]](#footnote-215).

و تحدّث الإمام الباقر (عليه السّلام) عن خشوع أبيه في صلاته فقال: «كان عليّ بن الحسين إذا قام في الصلاة كأنّه ساق شجرة لا يتحرك منه شي‏ء إلّا ما حركت الريح منه»[[216]](#footnote-216).

و نقل أبان بن تغلب إلى الإمام الصادق (عليه السّلام) صلاة جدّه الإمام السجاد (عليه السّلام) فقال له: إنّي رأيت عليّ بن الحسين إذا قام في الصلاة غشي لونه بلون آخر، فقال له الإمام الصادق (عليه السّلام): «و اللّه إنّ عليّ بن الحسين كان يعرف الذي يقوم بين يديه ...»[[217]](#footnote-217).

و كان من مظاهر خشوعه في صلاته أنّه إذا سجد لا يرفع رأسه حتى‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) بحار الأنوار: 46/ 108.

(2) حياة الإمام زين العابدين (عليه السّلام): 190.

(3) وسائل الشيعة: 4/ 685.

(4) المصدر السابق.

ص:127

يرفض عرقا[[218]](#footnote-218) أو كأنّه غمس في الماء من كثرة دموعه و بكائه‏[[219]](#footnote-219)، و نقل عن أبي حمزة الثمالي أنّه رأى الإمام قد صلّى فسقط الرداء عن أحد منكبيه فلم يسوّه فسأله أبو حمزة عن ذلك فقال له: «و يحك، أتدري بين يدي من كنت؟ إنّ العبد لا يقبل من صلاته إلّا ما أقبل عليه منها بقلبه»[[220]](#footnote-220).

د- صلاة ألف ركعة:

و أجمع المترجمون للإمام (عليه السّلام) أنّه كان يصلّي في اليوم و الليلة ألف ركعة[[221]](#footnote-221)، و أنّه كانت له خمسمائة نخلة، فكان يصلّي عند كلّ نخلة ركعتين‏[[222]](#footnote-222) و نظرا لكثرة صلاته؛ فقد كانت له ثفنات في مواضع سجوده كثفنات البعير، و كان يسقط منها في كلّ سنة، فكان يجمعها في كيس، و لمّا توفّي (عليه السّلام) دفنت معه‏[[223]](#footnote-223).

ه- كثرة سجوده:

إنّ أقرب ما يكون العبد من ربّه و هو في حال سجوده كما في الحديث الشريف، و كان الإمام (عليه السّلام) كثير السجود للّه تعالى خضوعا و تذلّلا له، و روي:

أنّه خرج مرّة إلى الصحراء فتبعه مولى له فوجده ساجدا على حجارة خشنة، فأحصى عليه ألف مرّة يقول: «لا إله إلّا اللّه حقّا حقّا، لا إله إلّا اللّه تعبّدا و رقّا، لا إله إلّا اللّه إيمانا و صدقا»[[224]](#footnote-224).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) تهذيب الأحكام: 2/ 286 ح 1146.

(2) بحار الأنوار: 46/ 108.

(3) علل الشرائع: 88، بحار الأنوار: 46/ 61.

(4) تهذيب التهذيب: 7/ 306، نور الأبصار: 136، الإتحاف بحب الأشراف: 49، و مصادر اخرى.

(5) بحار الأنوار: 46/ 61، الخصال: 487.

(6) الخصال: 488.

(7) وسائل الشيعة: 4/ 981.

ص:128

و كان يسجد سجدة الشكر، و يقول فيها مئة مرّة: «الحمد للّه شكرا»، ثمّ يقول: «يا ذا المنّ الذي لا ينقطع أبدا، و لا يحصيه غيره عددا، و يا ذا الجود الذي لا ينفد أبدا، يا كريم، يا كريم» و يتضرّع بعد ذلك و يذكر حاجته‏[[225]](#footnote-225).

و- كثرة تسبيحه:

و كان دوما مشغولا بذكر اللّه تعالى و تسبيحه و حمده، و كان يسبّح اللّه بهذه الكلمات: «سبحان من أشرق نوره كلّ ظلمة، سبحان من قدّر بقوته كلّ قدرة، سبحان من احتجب عن العباد بطرائق نفوسهم فلا شي‏ء يحجبه، سبحان اللّه و بحمده»[[226]](#footnote-226).

ز- ملازمته لصلاة الليل:

من النوافل التي كان لا يدعها الإمام (عليه السّلام) صلاة الليل، فكان مواظبا عليها في السفر و الحضر[[227]](#footnote-227) إلى أن انتقل إلى الرفيق الأعلى.

ح- دعاؤه بعد صلاة الليل:

و كان (عليه السّلام) إذا فرغ من صلاة الليل دعا بهذا الدعاء الشريف، و هو من غرر أدعية أئمّة أهل البيت (عليهم السّلام)، و إليك بعض مقاطعه:

«اللّهم يا ذا الملك المتأبد بالخلود و السلطان، الممتنع بغير جنود و لا أعوان، و العزّ الباقي على مرّ الدهور و خوالي الأعوام‏[[228]](#footnote-228) و مواضي الأزمان و الأيام، عزّ سلطانك عزا لا حدّ له بأوّلية و لا منتهى له بآخرية، و استعلى ملكك علوّا سقطت الأشياء دون بلوغ أمده‏[[229]](#footnote-229) و لا

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) وسائل الشيعة: 4/ 1079.

(2) دعوات القطب الراوندي: 34.

(3) عن صفة الصفوة: 2/ 53 و كشف الغمة: 2/ 263.

(4) خوالي الأعوام: مواضيها.

(5) أمده: غايته.

ص:129

يبلغ أدنى ما استأثرت من ذلك أقصى نعت الناعتين، ضلّت فيك الصفات و تفسّخت‏[[230]](#footnote-230) دونك النعوت، و حارت في كبريائك لطائف الأوهام، كذلك أنت اللّه الأوّل في أوّليّتك، و على ذلك أنت دائم لا تزول، و أنا العبد الضعيف عملا الجسيم أملا، خرجت من يدي أسباب الوصلات‏[[231]](#footnote-231) إلّا ما وصله رحمتك، و تقطّعت عنّي عصم‏[[232]](#footnote-232) الآمال إلّا ما أنا معتصم به من عفوك، قلّ عندي ما أعتد به من طاعتك، و كثر عليّ ما أبوء[[233]](#footnote-233) به من معصيتك، و لن يضيق عليك عفو عن عبدك، و إن أساء فاعف عنّي ...».

«اللهمّ إنّي أعوذ بك من نار تغلّظت بها على من عصاك، و توعّدت بها على من صدف‏[[234]](#footnote-234) عن رضاك، و من نار نورها ظلمة، و هيّنها أليم، و بعيدها قريب، و من نار يأكل بعضها بعض، و يصول‏[[235]](#footnote-235) بعضها على بعض، و من نار تذر[[236]](#footnote-236) العظام رميما[[237]](#footnote-237)، و تسقي أهلها حميما[[238]](#footnote-238)، و من نار لا تبقي على من تضرّع اليها، و لا ترحم من استعطفها، و لا تقدر على التخفيف عمّن خشع لها و استسلم اليها، تلق سكانها بأحرّ ما لديها من أليم النكال‏[[239]](#footnote-239) و شديد الوبال‏[[240]](#footnote-240) ...»[[241]](#footnote-241).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) تفسخت: أي تقطّعت و تمزّقت و بطلت، فإنّك فوق نعت الناعتين.

(2) الوصلات: وصلة- بالضم- و هي ما يتوصل به إلى المطلوب، يعني أنّه قد فاتتني الأسباب التي يتوصل بها إلى السعادات الاخروية إلّا السبب الذي هو رحمتك فانه لا يفوت من أحد، لأنّها وسعت كلّ شي‏ء.

(3) عصم: جمع عصمة، و هي الوقاية و الحفظ.

(4) ما أبوء: أقرّ و أرجع.

(5) صدف: خرج و أعرض.

(6) يصول: من الصولة بمعنى الحملة.

(7) تذر: تترك.

(8) رميما: باليا.

(9) حميما: ماء شديد الحرارة.

(10) النكال: العقوبة.

(11) الوبال: الوخامة و سوء العاقبة.

(12) الصحيفة الكاملة السجادية: الدعاء 32.

ص:130

و ذبل الإمام (عليه السّلام) من كثرة العبادة و أجهدته أيّ إجهاد، و قد بلغ به الضعف أنّ الريح كانت تميله يمينا و شمالا بمنزلة السنبلة[[242]](#footnote-242) التي تميلها الريح.

و قال ابنه عبد اللّه: كان أبي يصلّي بالليل فإذا فرغ يزحف إلى فراشه‏[[243]](#footnote-243).

و أشفق عليه أهله و محبّوه من كثرة ما بان عليه من الضعف و الجهد من كثرة عبادته، فكلّموه في ذلك لكنّه (عليه السّلام) أصرّ على شدّة تعبّده حتى يلحق بآبائه، قال له أحد أبنائه: يا أبت كم هذا الدؤوب (يعني الصلاة)؟ فأجابه الإمام (عليه السّلام): «أتحبّب إلى ربّي»[[244]](#footnote-244).

و قال جابر بن عبد اللّه الأنصاري للإمام (عليه السّلام): يا ابن رسول اللّه! أما علمت أنّ اللّه تعالى إنّما خلق الجنّة لكم و لمن أحبّكم، و خلق النار لمن أبغضكم و عاداكم، فما هذا الجهد الذي كلّفته نفسك؟ فأجابه الإمام (عليه السّلام): «يا صاحب رسول اللّه، أما علمت أنّ جدي رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) قد غفر اللّه له ما تقدّم من ذنبه و ما تأخّر، فلم يدع الإجتهاد له، و تعبّد- بأبي و امي- حتى انتفخ ساقه و ورم قدمه، و قد قيل له: أتفعل هذا و قد غفر اللّه لك ما تقدّم من ذنبك و ما تأخّر؟ فقال (صلّى اللّه عليه و اله): أفلا أكون عبدا شكورا؟».

فقال له جابر: يا ابن رسول اللّه، البقيا على نفسك، فإنّك من اسرة بهم يستدفع البلاء، و بهم يستكشف الأدواء، و بهم تستمطر السماء ...» فأجابه الإمام (عليه السّلام): «لا أزال على منهاج أبويّ متأسّيا بهما حتى ألقاهما ...»[[245]](#footnote-245).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) الإرشاد: 272، روضة الواعظين: 1/ 237.

(2) بحار الأنوار: 46/ 99.

(3) المصدر السابق: 46/ 99.

(4) مناقب آل أبي طالب: 4/ 161، 162.

ص:131

3- صومه:

و قضى الإمام معظم أيام حياته صائما، و قد قالت جاريته حينما سئلت عن عبادته: «ما قدّمت له طعاما في نهار قطّ» و قد أحبّ الصوم و حثّ عليه إذ قال (عليه السّلام): «إنّ اللّه تعالى و كّل ملائكة بالصائمين»[[246]](#footnote-246)، و كان (عليه السّلام) لا يفطر إلّا في يوم العيدين و غيرهما ممّا كان له عذر.

و كان له شأن خاص في شهر رمضان، أنّه لم يترك نوعا من أنواع البرّ و الخير إلّا أتى به، و كان لا يتكلم إلّا بالتسبيح و الإستغفار و التكبير، و إذا أفطر قال: «اللّهم إن شئت أن تفعل فعلت»[[247]](#footnote-247).

و كان (عليه السّلام) يستقبل شهر رمضان بشوق و رغبة لانّه ربيع الأبرار، و كان يدعو لدى دخول شهر اللّه تعالى بدعاء نقتطف منه بعض الفقرات، قال (عليه السّلام):

«الحمد للّه الذي هدانا لحمده و جعلنا من أهله؛ لنكون لإحسانه من الشاكرين، و ليجزينا على ذلك جزاء المحسنين.

و الحمد للّه الذي حبانا بدينه، و اختصّنا بملّته، و سبّلنا[[248]](#footnote-248) في سبل إحسانه، لنسلكها بمنّه إلى رضوانه ... و الحمد للّه الذي جعل من تلك السبل شهره شهر رمضان شهر الصيام و شهر الإسلام و شهر الطهور و شهر التمحيص و شهر القيام ...

اللّهم صلّ على محمد و آله، و ألهمنا معرفة فضله، و إجلال حرمته، و التحفّظ ممّا حظرت فيه، و أعنّا على صيامه بكفّ الجوارح عن معاصيك، و استعمالها فيه بما يرضيك، حتى لا نصغي بأسماعنا إلى لغو، و لا نسرع بأبصارنا إلى لهو، و حتى لا نبسط أيدينا إلى محظور، و لا نخطو بأقدامنا إلى محجور، و حتى لا تعي بطوننا إلّا ما أحللت، و لا تنطق ألسنتنا

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) دعوات الراوندي: 4.

(2) فروع الكافي: 4/ 88.

(3) سبّلنا: أدخلنا.

ص:132

إلّا بما مثّلت، و لا نتكلّف إلّا ما يدني من ثوابك، و لا نتعاطى إلّا الذي يقي من عقابك، ثم خلّص ذلك كلّه من رئاء المرائين و سمعة المسمعين، لا نشرك فيه أحدا دونك، و لا نبتغي فيه مرادا سواك ...

اللهمّ اشحنه‏[[249]](#footnote-249) بعبادتنا إيّاك، و زيّن أوقاتنا بطاعتنا لك، و أعنّا في نهاره على صيامه، و في ليله على الصلاة و التضرع اليك و الخشوع لك و الذلّة بين يديك حتى لا يشهد نهاره علينا بغفلة و لا ليله بتفريط.

اللهمّ و اجعلنا في سائر الشهور و الأيام كذلك ما عمّرتنا ...»[[250]](#footnote-250).

و كان الإمام زين العابدين (عليه السّلام) في كلّ يوم من أيام شهر رمضان يأمر بذبح شاة و طبخها ... فإذا نضجت يقول: «هاتوا القصاع» و يأمر بأن يفرّق على الفقراء و الأرامل و الأيتام حتى يأتي على آخر القدور و لا يبقي شيئا لإفطاره، و كان يفطر على خبز و تمر[[251]](#footnote-251).

و من مبرّات الإمام (عليه السّلام) في شهر رمضان المبارك كثرة عتقه و تحرير أرقّائه من رقّ العبودية، على أنهم كانوا يعيشون في ظلاله محترمين، فكان يعاملهم كأبنائه، و كان (عليه السّلام) لا يعاقب أمة و لا عبدا إذا اقترفا ذنبا، و إنّما كان يسجّل اليوم الذي أذنبوا فيه، فإذا كان آخر شهر رمضان جمعهم و أظهر الكتاب الذي سجّل فيه ذنوبهم، و يقول:

«ارفعوا أصواتكم و قولوا: يا عليّ بن الحسين! إنّ ربّك قد أحصى عليك كلّ ما عملت، كما أحصيت علينا ما عملناه، و لديه كتاب ينطق بالحقّ لا يغادر صغيرة و لا كبيرة ممّا أتيت إلّا أحصاها، و تجد كلّ ما عملت لديه حاضرا، كما وجدنا كلّ ما عملنا لديك حاضرا،

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) أي: املأه بعبادتنا إيّاك.

(2) الصحيفة الكاملة السجادية: الدعاء 44.

(3) بحار الأنوار: 46/ 72.

ص:133

فاعف و اصفح، كما ترجو من المليك العفو، و كما تحبّ أن يعفو المليك عنك، فاعف عنّا تجده عفوّا، و بك رحيما و لك غفورا، و لا يظلم ربّك أحدا ... كما لديك كتاب ينطق بالحقّ علينا، لا يغادر صغيرة و لا كبيرة ممّا أتيناه إلّا أحصاها، فاذكر يا عليّ بن الحسين ذلّ مقامك بين يدي ربّك الحكم العدل الذي لا يظلم مثقال حبّة من خردل، و يأتي بها يوم القيامة، و كفى باللّه حسيبا و شهيدا، فاعف و اصفح يعف عنك المليك و يصفح، فإنّه يقول: وَ لْيَعْفُوا وَ لْيَصْفَحُوا أَ لا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ‏[[252]](#footnote-252).

و كان يلقّنهم بتلك الكلمات التي تمثّل انقطاعه التامّ إلى اللّه تعالى و اعتصامه به، و هو واقف يبكي من خشيته تعالى و يقول:

«ربّ إنّك أمرتنا أن نعفو عمّن ظلمنا، و قد عفونا عمّن ظلمنا كما أمرت فاعف عنّا فإنّك أولى بذلك منّا و من المأمورين، و أمرتنا أن لا نردّ سائلا عن أبوابنا، و قد أتيناك سؤّالا و مساكين، و قد أنخنا بفنائك و ببابك نطلب نائلك و معروفك و عطاءك فامنن بذلك علينا، و لا تخيّبنا فإنّك أولى بذلك منّا و من المأمورين، إلهي كرمت فأكرمني، إذ كنت من سؤّالك و جدت بالمعروف فأخلطني بأهل نوالك يا كريم ...».

ثم يقبل عليهم بوجهه الشريف و قد تبلّل من دموع عينيه قائلا لهم بعطف و حنان: «قد عفوت عنكم، فهل عفوتم عنّي؟ و ممّا كان منّي من سوء ملكة، فإنّي مليك سوء لئيم ظالم، مملوك لمليك كريم جواد عادل محسن متفضّل ...» و ينبري العبيد قائلين له: قد عفونا عنك يا سيّدنا، فيقول لهم: «قولوا: اللهمّ اعف عن عليّ بن الحسين كما عفا عنّا، فاعتقه من النار كما أعتق رقابنا من الرق».

فيقولون ذلك، و يقول بعدهم: «اللهمّ آمين ربّ العالمين، اذهبوا فقد عفوت عنكم، و أعتقت رقابكم رجاء للعفو عنّي و عتق رقبتي» فإذا كان يوم عيد الفطر

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) سورة النور (24): 22.

ص:134

أجازهم جائزة سنيّة تغنيهم عمّا في أيدي الناس‏[[253]](#footnote-253).

4- دعاؤه:

أ- دعاؤه في الأسحار:

و كان الإمام (عليه السّلام) يناجي ربّه و يدعوه بتضرّع و إخلاص في سحر كلّ ليلة من ليالي شهر رمضان بالدعاء الجليل الذي عرف بدعاء أبي حمزة الثمالي؛ لأنّه هو الذي رواه عنه، و هو من غرر أدعية أهل البيت (عليهم السّلام) و هو يمثّل مدى إنابته و انقطاعه إلى اللّه تعالى كما أنّ فيه من المواعظ ما يوجب صرف النفس عن غرورها و شهواتها، كما يمتاز بجمال الاسلوب و روعة البيان و بلاغة العرض، و فيه من التذلّل و الخشوع و الخضوع أمام اللّه تعالى ما لا يمكن صدوره إلّا عن إمام معصوم.

و قد احتلّ هذا الدعاء مكانة مهمّة في نفوس الأخيار و الصلحاء من المسلمين، إذ و اظبوا على الدعاء به، و ممّا قاله الإمام (عليه السّلام) في دعائه:

«إلهي، لا تؤدّبني بعقوبتك، و لا تمكر بي في حيلتك، من أين لي الخير يا ربّ و لا يوجد إلّا من عندك؟ و من أين لي النجاة و لا تستطاع إلّا بك؟ لا الذي أحسن استغنى عن عونك و رحمتك، و لا الذي أساء و اجترأ عليك و لم يرضك خرج عن قدرتك ...

بك عرفتك و أنت دللتني عليك و دعوتني اليك، و لو لا أنت لم أدر ما أنت.

الحمد للّه الذي أدعوه فيجيبني و إن كنت بطيئا حين يدعوني، و الحمد للّه الذي أسأله فيعطيني و إن كنت بخيلا حين يستقرضني ...

أدعوك يا سيدي بلسان قد أخرسه ذنبه، ربّ اناجيك بقلب قد أوبقه جرمه، أدعوك يا ربّ راهبا راغبا راجيا خائفا، إذا رأيت مولاي ذنوبي فزعت، و إذا رأيت كرمك طمعت ...

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) بحار الأنوار: 46/ 103- 105.

ص:135

يا واسع المغفرة، يا باسط اليدين بالرحمة، فو عزّتك يا سيّدي لو نهرتني ما برحت‏[[254]](#footnote-254) من بابك و لا كففت عن تملّقك‏[[255]](#footnote-255) لما انتهى إليّ من المعرفة بجودك و كرمك ...

اللهمّ إنّي كلّما قلت قد تهيّأت و تعبّأت و قمت للصلاة بين يديك و ناجيتك ألقيت عليّ نعاسا إذا أنا صلّيت و سلبتني مناجاتك إذا أنا ناجيت، ما لي كلّما قلت قد صلحت سريرتي‏[[256]](#footnote-256) و قرب من مجالس التوابين مجلسي عرضت لي بلية أزالت قدمي و حالت بيني و بين خدمتك. سيدي لعلّك عن بابك طردتني، و عن خدمتك نحيتني، أو لعلّك رأيتني مستخفّا بحقّك فأقصيتني، أو لعلّك فقدتني من مجالس العلماء فخذلتني، أو لعلّك رأيتني في الغافلين فمن رحمتك آيستني، أو لعلّك رأيتني آلف مجالس البطّالين فبيني و بينهم خلّيتني، أو لعلّك لم تحبّ أن تسمع دعائي فباعدتني، أو لعلّك بجرمي و جريرتي كافيتني، أو لعلّك بقلّة حيائي منك جازيتني ...

إلهي، لو قرنتني بالأصفاد و منعتني سيبك‏[[257]](#footnote-257) من بين الأشهاد و دللت على فضايحي عيون العباد و أمرت بي إلى النار و حلت بيني و بين الأبرار؛ ما قطعت رجائي منك، و ما صرفت تأميلي للعفو عنك، و لا خرج حبّك من قلبي ...

ارحم في هذه الدنيا غربتي، و عند الموت كربتي، و في القبر وحدتي، و في اللحد وحشتي، و إذا نشرت للحساب بين يديك ذلّ موقفي، و اغفر لي ما خفي على الآدميّين من عملي، و أدم لي ما به سترتني، و ارحمني صريعا على الفراش، تقلّبني أيدي أحبّتي، و تفضّل عليّ ممدودا على المغتسل يقلّبني صالح جيرتي، و تحنّن عليّ محمولا قد تناول الأقرباء أطراف جنازتي، و جد عليّ منقولا قد نزلت بك وحيدا في حفرتي، و ارحم في ذلك البيت‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) برح المكان و منه: زال عنه.

(2) تملقك: التودّد اليك.

(3) سريرتي: نيّتي.

(4) السيب: العطاء.

ص:136

الجديد غربتي، حتى لا أستأنس بغيرك ...»[[258]](#footnote-258).

و كان الإمام (عليه السّلام) يتأثّر إذا انطوت أيام شهر رمضان؛ لأنّه عيد أولياء اللّه تعالى، و كان يودّعه بدعاء جليل نقتطف منه ما يلي:

«السلام عليك يا شهر اللّه الأكبر و يا عيد أوليائه.

السلام عليك يا أكرم مصحوب من الأوقات، و يا خير شهر في الأيام و الساعات.

السلام عليك من شهر قربت فيه الآمال، و نشرت فيه الأعمال.

السلام عليك من قرين جلّ قدره موجودا، و أفجع فقده مفقودا، و مرجوّ آلم فراقه.

السلام عليك من أليف آنس مقبلا فسرّ، و أوحش منقضيا فمضّ‏[[259]](#footnote-259).

السلام عليك من مجاور رقّت فيه القلوب، و قلّت فيه الذنوب.

السلام عليك من ناصر أعان على الشيطان.

السلام عليك و على ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر.

السلام عليك ما كان أحرصنا بالأمس عليك، و أشدّ شوقنا غدا إليك.

اللهمّ اسلخنا بانسلاخ هذا الشهر[[260]](#footnote-260) من خطايانا، و أخرجنا بخروجه من سيئاتنا، و اجعلنا من أسعد أهله به، و أجزلهم قسما فيه، و أوفرهم حظّا منه ...»[[261]](#footnote-261).

5- حجّه (عليه السّلام):

و كان يحثّ على الحج و العمرة بقوله: حجّوا و اعتمروا تصح أجسادكم، و تتّسع أرزاقكم، و يصلح إيمانكم، و تكفوا مؤونة الناس و مؤونة عيالكم»[[262]](#footnote-262).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) راجع: مفاتيح الجنان «الدعاء المعروف بدعاء أبي حمزة الثمالي».

(2) مضّ: آلم.

(3) انسلخ الشهر: مضى.

(4) راجع: الصحيفة السجادية «الدعاء في وداع شهر رمضان».

(5) وسائل الشيعة: 8/ 5.

ص:137

و قال (عليه السّلام): «الحاج مغفور له، و موجوب له الجنّة، و مستأنف به العمل، و محفوظ في أهله و ماله»[[263]](#footnote-263).

و قال (عليه السّلام): «الساعي بين الصفا و المروة تشفع له الملائكة»[[264]](#footnote-264).

و كان (عليه السّلام) يدعو إلى تكريم الحجّاج إذا قدموا من بيت اللّه الحرام و يقول: «استبشروا بالحجّاج إذا قدموا و صافحوهم، و عظّموهم تشاركوهم في الأجر قبل أن تخالطهم الذنوب»[[265]](#footnote-265).

و حجّ (عليه السّلام) غير مرّة ماشيا كما حج أبوه و عمّه الحسن (عليهم السّلام)، و حج على ناقته عشرين حجّة و كان يرفق بها كثيرا.

و قال ابراهيم بن عليّ: حججت مع عليّ بن الحسين فتلكّأت ناقته فأشار اليها بالقضيب، ثم ردّ يده، و قال: «آه من القصاص ...»[[266]](#footnote-266).

و كان الإمام (عليه السّلام) إذا أراد السفر إلى بيت اللّه الحرام احتفّ به القرّاء و العلماء؛ لأنّهم كانوا يتزوّدون منه العلوم و المعارف و الحكم و الآداب، و قال سعيد بن المسيب: إنّ القرّاء كانوا لا يخرجون إلى مكّة حتى يخرج عليّ بن الحسين، فخرج و خرجنا معه ألف راكب‏[[267]](#footnote-267).

و اذا انتهى الإمام إلى إحدى المواقيت التي يحرم منها؛ يأخذ بعمل سنن الإحرام، و إذا أراد التلبية عند عقد الإحرام اصفرّ لونه و اضطرب و لم يستطع أن يلبّي، فاذا قيل له: ما لك لا تلبّي؟ قال: «أخشى أن أقول: لبيك،

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) فروع الكافي: 4/ 252.

(2) من لا يحضره الفقيه: 2/ 208 ح 2168.

(3) بحار الأنوار: 99/ 386 مع اختلاف في اللفظ.

(4) الفصول المهمة: 189.

(5) حياة الإمام زين العابدين: 227.

ص:138

فيقال لي: لا لبيك».

و إذا لبّى غشي عليه من كثرة خوفه من اللّه تعالى، و يسقط من راحلته، و لا يزال يعتريه هذا الحال حتى يقضي حجّه‏[[268]](#footnote-268).

و كان الإمام (عليه السّلام) إذا أدّى مناسكه في البيت الحرام؛ أقبل على الصلاة تحت ميزاب الرحمة. و رآه طاووس اليماني في ذلك المكان قائما و هو يدعو اللّه و يبكي من خشية اللّه، فلمّا فرغ من صلاته قال له طاووس: رأيتك على حالة من الخشوع و لك ثلاثة امور، أرجو أن تؤمنك من الخوف، أحدها:

أنّك ابن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله)، الثاني: شفاعة جدّك، الثالث: رحمة اللّه.

فأجابه الإمام (عليه السّلام) قائلا: «يا طاووس، أمّا أنّي ابن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) فلا يؤمنني و قد سمعت اللّه تعالى يقول: فَلا أَنْسابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَ لا يَتَساءَلُونَ‏[[269]](#footnote-269)، و أمّا شفاعه جدّي فلا تؤمنني؛ لانّ اللّه تعالى يقول: وَ لا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضى‏[[270]](#footnote-270) و أمّا رحمة اللّه فاللّه يقول: إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ‏[[271]](#footnote-271) و لا أعلم أنّي محسن»[[272]](#footnote-272).

و قال طاووس: رأيت عليّ بن الحسين يطوف من العشاء إلى السحر و يتعبّد، فإذا لم ير أحدا رمق السماء بطرفه و قال: «الهي، غارت نجوم سماواتك، و هجعت عيون أنامك، و أبوابك مفتّحات للسائلين، جئتك لتغفر لي و ترحمني و تريني وجه جدي محمد (صلّى اللّه عليه و اله) في عرصات القيامة» ثم بكى و قال: «أما و عزّتك و جلالك ما أردت بمعصيتي مخالفتك، و ما عصيتك إذ عصيتك و أنا بك شاكّ، و لا بنكالك جاهل، و لا لعقوبتك‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) نهاية الإرب: 21/ 326.

(2) المؤمنون (23): 101.

(3) الأنبياء (21): 28.

(4) الأعراف (7): 56.

(5) بحار الأنوار: 46/ 101.

ص:139

متعرّض، و لكن سوّلت لي نفسي، و أعانني على ذلك سترك المرخى به عليّ، فأنا الآن من عذابك من يستنقذني، و بحبل من اعتصم إن قطعت حبلك عنّي ...». ثم خرّ إلى الأرض ساجدا، فدنوت منه و رفعت رأسه و وضعته في حجري، فوقعت قطرات من دموعي على خدّه الشريف فاستوى جالسا، و قال بصوت خافت: «من هذا الذي أشغلني عن ذكر ربي؟».

فأجابه طاووس بخضوع و إجلال: أنا طاووس يا ابن رسول اللّه، ما هذا الجزع و الفزع و نحن يلزمنا أن نفعل مثل هذا و نحن عاصون جانون؟ أبوك الحسين بن عليّ و امّك فاطمة الزهراء و جدّك رسول اللّه.

فأجابه الإمام (عليه السّلام): «هيهات هيهات يا طاووس، دع عنك حديث أبي و امي و جدّي، خلق اللّه الجنة لمن أطاعه و أحسن و لو كان عبدا حبشيا، و خلق النار لمن عصاه و لو كان سيّدا قرشيا، أما سمعت قوله تعالى: فَإِذا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنْسابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَ لا يَتَساءَلُونَ‏؟ و اللّه لا ينفعك غدا إلّا ما تقدّمه من عمل صالح»[[273]](#footnote-273).

دعاؤه في يوم عرفة:

و كان الإمام (عليه السّلام) في عرفات يقوم بالصلاة و الدعاء و تلاوة القرآن الكريم، و كان يدعو بدعاء جليل و هو من غرر أدعية أئمّة أهل البيت (عليهم السّلام)، و فيما يلي بعض المقتطفات منه:

«الحمد للّه ربّ العالمين، اللهمّ لك الحمد بديع السماوات و الأرض‏[[274]](#footnote-274) ذا الجلال و الإكرام، ربّ الأرباب، و إله كلّ مألوه، و خالق كلّ مخلوق، و وارث كلّ شي‏ء ليس كمثله‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) مناقب آل أبي طالب: 4/ 163، 164، و بحار الأنوار: 46/ 81.

(2) بديع السماوات و الأرض: مخترعها لا عن مثال سابق، أو أنّ السماوات و الأرض بديعة، أي عديمة النظير.

ص:140

شي‏ء، و لا يعزب‏[[275]](#footnote-275) عنه علم شي‏ء، و هو بكلّ شي‏ء محيط، و هو على كلّ شي‏ء رقيب.

أنت اللّه لا اله إلّا أنت الأحد المتوحّد الفرد، و أنت اللّه لا اله إلّا أنت الكريم المتكرّم العظيم المتعظّم الكبير المتكبّر، و أنت اللّه لا اله إلّا أنت العليّ المتعال الشديد المحال‏[[276]](#footnote-276).

أنت الذي قصرت الأوهام عن ذاتيتك، و عجزت الأفهام عن كيفيتك، و لم تدرك الأبصار موضع أينيّتك، أنت الذي لا تحدّ فتكون محدودا، و لم تمثل فتكون موجودا، و لم تلد فتكون مولودا.

لك الحمد حمدا يدوم بدوامك، و لك الحمد حمدا خالدا بنعمتك، و لك الحمد حمدا يوازي صنعك، و لك الحمد حمدا يزيد على رضاك، و لك الحمد حمدا مع حمد كلّ حامد.

ربّ صلّ على محمد و آله صلاة زاكية لا تكون صلاة أزكى منها، و صلّ عليه صلاة نامية لا تكون صلاة أنمى منها، و صلّ عليه صلاة راضية لا تكون صلاة فوقها ... ربّ صلّ على أطائب أهل بيته الذين اخترتهم لأمرك، و جعلتهم خزنة علمك و حفظة دينك، و خلفاءك في أرضك، و حججك على عبادك، و طهّرتهم من الرجس و الدنس تطهيرا بإرادتك، و جعلتهم الوسيلة إليك و المسلك إلى جنّتك.

اللهمّ إنّك أيّدت دينك في كلّ أوان بإمام أقمته علما لعبادك و منارا في بلادك، بعد أن وصلت حبله بحبلك، و جعلته الذريعة إلى رضوانك، و افترضت طاعته، و حذّرت معصيته، و أمرت بامتثال أوامره و الانتهاء عند نهيه، و ألّا يتقدّمه متقدّم و لا يتأخّر عنه متأخّر، فهو عصمة اللائذين، و كهف المؤمنين، و عروة المتمسّكين، و بهاء العالمين.

و انزع من قلبي حبّ دنيا دنية تنهى عمّا عندك، و تصدّ عن ابتغاء الوسيلة إليك، و تذهل عن التقرّب منك، و زيّن لي التفرّد بمناجاتك بالليل و النهار، وهب لي عصمة تدنيني من خشيتك، و تقطعني عن ركوب محارمك، و تفكّني من أسر العظائم، وهب لي التطهير من‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) لا يعزب: لا يغيب.

(2) المحال: الأخذ.

ص:141

دنس العصيان، و أذهب عنّي درن الخطايا، و سربلني‏[[277]](#footnote-277) بسربال عافيتك.

و لا تكلني إلى حولي و قوّتي دون حولك و قوّتك، و لا تخزني يوم تبعثني للقائك، و لا تفضحني بين يدي أوليائك، و لا تنسني ذكرك، و لا تذهب عنّي شكرك ... و اجعل رغبتي إليك فوق رغبة الراغبين، و حمدي إيّاك فوق حمد الحامدين، و لا تخذلني عند فاقتي إليك.

اجعل هيبتي في وعيدك، و حذري من إعذارك و إنذارك، و رهبتي عند تلاوة آياتك، و اعمر ليلي بإيقاظي فيه لعبادتك، و تفرّدي بالتهجّد لك، و تجرّدي بسكوني إليك و إنزال حوائجي بك و منازلتي إيّاك‏[[278]](#footnote-278) في فكاك رقبتي من نارك، و إجارتي ممّا فيه أهلها من عذابك، و لا تذرني في طغياني عامها[[279]](#footnote-279) و لا في غمرتي‏[[280]](#footnote-280) ساهيا حتى حين، و لا تجعلني عظة لمن اتّعظ، و لا نكالا لمن اعتبر، و لا فتنة لمن نظر، و لا تمكر بي فيمن تمكر به، و لا تستبدل بي غيري ... و اجعل قلبي واثقا بما عندك، و همّي مستغرقا لما هو لك، و استعملني بما تستعمل به خالصتك، و أشرب قلبي عند ذهول العقول طاعتك ... و صن وجهي عن الطلب إلى أحد من العالمين، و ذبّني عن التماس ما عند الفاسقين و لا تجعلني للظالمين ظهيرا و لا لهم على محو كتابك يدا و نصيرا ...»[[281]](#footnote-281).

دعاؤه يوم عيد الأضحى:

كان الإمام زين العابدين (عليه السّلام) يستقبل يوم عيد الأضحى بالابتهال إلى اللّه و التضرّع إليه، طالبا منه أن يتفضّل عليه بقبول مناسكه و سائر طاعاته‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) سربلني: قمّصني، و السربال: القميص.

(2) منازلتي ايّاك: أي مراجعتي.

(3) عامها: العمه في البصيرة كالعمى في البصر.

(4) و لا في غمرتي: أي إغمائي و غفلتي، ناظرا إلى قوله سبحانه: فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ‏.

المؤمنون (23): 54.

(5) الصحيفة الكاملة السجادية: الدعاء 47.

ص:142

و عباداته، و أن يمنحه المغفرة و الرضوان، و من دعائه في هذا اليوم المبارك:

«اللهمّ هذا يوم مبارك ميمون و المسلمون فيه مجتمعون.

اللهمّ إليك تعمّدت بحاجتي، و بك أنزلت اليوم فقري و فاقتي و مسكنتي، و إنّي بمغفرتك و رحمتك أوثق منّي بعملي، و لمغفرتك و رحمتك أوسع من ذنوبي، فصلّ على محمد و آل محمد، و تولّ قضاء كلّ حاجة هي لي بقدرتك عليها، و بتيسير ذلك عليك، و بفقري إليك، و فناك عنّي، فإنّي لم أصب خيرا قطّ إلّا منك، و لم يصرف عنّي سوءا قط أحد غيرك، و لا أرجو لأمر آخرتي و دنياي سواك.

اللهمّ فصلّ على محمد و آل محمد، و لا تخيّب اليوم ذلك من رجائي، يا من لا يحفيه سائل‏[[282]](#footnote-282) و لا ينقصه نائل، فإنّي لم آتك ثقة منّي بعمل صالح قدّمته، و لا شفاعة مخلوق رجوته إلّا شفاعة محمد و أهل بيته صلواتك عليه و عليهم و سلامك، أتيتك مقرّا بالجرم و الإساءة إلى نفسي، أتيتك أرجو عظيم عفوك الذي عفوت به عن الخاطئين ثمّ لم يمنعك طول عكوفهم‏[[283]](#footnote-283) على عظيم الجرم أن عدت‏[[284]](#footnote-284) عليهم بالرحمة و المغفرة.

اللهمّ إنّ هذا المقام‏[[285]](#footnote-285) لخلفائك‏[[286]](#footnote-286) و أصفيائك و مواضع امنائك‏[[287]](#footnote-287) في الدرجة الرفيعة التي اختصصتهم بها قد ابتزوها[[288]](#footnote-288) و أنت المقدّر لذلك، لا يغالب أمرك، و لا يجاوز

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) لا يحفيه سائل: أي لا يستقصيه في السؤال، إذ كلما سأله شيئا فما بقي عنده فهو أكثر منه بكثير، بل لا نسبة بينهما، لنهاية أحدهما و لا نهاية الآخر.

(2) عكوفهم: إقامتهم و مواظبتهم.

(3) أن عدت: أي عن أن عدت، و حذف مثله قياسي، و «أن» مصدرية يعني العود.

(4) إنّ هذا المقام: أي مقام صلاة الجمعة أو العيد.

(5) لخلفائك: أي الأئمة المعصومين (عليهم السّلام)، يعني هم المستحقّون لذلك، و أن يكون أزمّته بأيديهم، فامّا يجعلونه لأنفسهم كما في زمن حضورهم و بلد شهادتهم و أمنهم من الضرر، أو يأذنون لمن يرونه أهلا له عموما أو خصوصا، كما في زمن غيبتهم أو تقيّتهم، و في غير بلد حضورهم.

(6) و مواضع امنائك: نصب عطف على «هذا المقام»، و «لخلفائك» متعلق بهذا «المقام»، أو خبر له.

(7) قد ابتزوها: الابتزاز و البزّ: السلب و النزع و أخذ الشي‏ء بجفاء و قهر، و العائد للدرجة أو للمواضع أو للمقام باعتبار اكتساب تأنيث الدرجة.

ص:143

المحتوم من تدبيرك، كيف شئت و أنّى شئت ...»[[289]](#footnote-289).

ظاهرة الدعاء و المناجاة في حياة الإمام (عليه السّلام):

قال تعالى: قُلْ ما يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْ لا دُعاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزاماً[[290]](#footnote-290).

قال السيد ابن طاووس رضوان اللّه تعالى عليه في مقام بيان ما تفيده الآية المباركة: فلم يجعل لهم لولا الدعاء محلّا و لا مقاما فقد صار مفهوم ذلك أنّ محل الإنسان و منزلته عند اللّه جلّ جلاله على قدر دعائه و قيمته بقدر اهتمامه بمناجاته و ندائه‏[[291]](#footnote-291).

و في ضوء هذه الحقيقة القرآنية نجد أنّ الإمام زين العابدين (عليه السّلام) كان يدعو اللّه تعالى و يناجيه في كلّ آن و على كلّ حال، مجسّدا فقره المطلق إلى اللّه جلّ جلاله، و هو ما يستبطن قدر الإمام و مكانته باعتبار أنّ المقام عند اللّه تعالى على قدر دعائه و مناجاته أو على قدر إدراكه لفاقته و حاجته إلى اللّه عز و جلّ، و العمل بما يقتضيه هذا الإدراك من انقطاع تامّ إلى اللّه تعالى و الإعراض عن كلّ ما سواه.

و نقتطف هنا بعض النصوص الشريفة من أدعية و مناجات الإمام (عليه السّلام) التي تبيّن ذروة حالات اليقين و الغنى التي يمكن أن يصلها الإنسان إذا رسّخ في عقله و قلبه حقيقة (أن لا مؤثّر في الوجود إلّا اللّه تعالى) فلا يتعلّق قلبه بغيره سبحانه، و لا يرجو شيئا من سواه تعالى، و لا يحبّ شيئا غيره و يعمر

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) الدعاء: 48 من الصحيفة الكاملة السجاديّة.

(2) الفرقان (25): 77.

(3) فلاح السائل للسيد ابن طاووس: 26، طبعة مكتب الإعلام الإسلامي للحوزة العلمية في قم المقدسة.

ص:144

أوقاته كلّها بذكره تعالى و العمل بطاعته:

قال (عليه السّلام): «اللهمّ صلّ على محمّد و آله، و اجعل سلامة قلوبنا في ذكر عظمتك، و فراغ أبداننا في شكر نعمتك، و انطلاق ألسنتنا في وصف منّتك، اللهمّ صلّ على محمّد و آله، و اجعلنا من دعاتك الداعين إليك، و هداتك الدالّين عليك، و من خاصّتك الخاصّين لديك يا أرحم الرحمين»[[292]](#footnote-292).

إنّه الانقطاع التامّ و الكامل فكرا و ذكرا و سلوكا و خلقا للّه جلّ جلاله.

و قال (عليه السّلام) مناجيا اللّه جلّ جلاله: «كيف أرجو غيرك و الخير كله بيدك؟! و كيف اؤمّل سواك و الخلق و الأمر لك؟! أأقطع رجائي منك و قد أوليتني ما لم أسأله من فضلك أم تفقرني إلى مثلي و أنا اعتصم بحبلك؟! يا من سعد برحمته القاصدون، و لم يشق بنقمته المستغفرون، كيف أنساك و لم تزل ذاكري؟! و كيف ألهو عنك و أنت مراقبي؟!»[[293]](#footnote-293).

لقد انقطع (عليه السّلام) إلى اللّه عز و جلّ كأعظم ما يكون الإنقطاع، فلم يأمل في جميع اموره غيره معتقدا بأنّ الأمل بما في يد غيره سراب.

و ناجى ربّه عز و جل بقوله (عليه السّلام): «إلهي أذهلني عن إقامة شكرك تتابع طولك‏[[294]](#footnote-294)، و أعجزني عن إحصاء ثنائك فيض فضلك، و شغلني عن ذكر محامدك ترادف‏[[295]](#footnote-295) عوائدك‏[[296]](#footnote-296)، و أعياني عن نشر عوارفك توالي أياديك.

إلهي تصاغر عند تعاظم آلائك شكري، و تضاءل في جنب إكرامك إيّاي ثنائي و نشري‏[[297]](#footnote-297).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) الدعاء الخامس من الصحيفة الكاملة.

(2) مناجاة الراجين.

(3) طولك: فضلك.

(4) ترادف: تتابع.

(5) عوائدك: جمع عائدة و هي المعروف و المنفعة.

(6) نشري: يعني هنا بسط الحديث بالمدح.

ص:145

جلّلتني‏[[298]](#footnote-298) نعمك من أنوار الإيمان حللا، و ضربت عليّ لطائف برّك من العزّ كللا[[299]](#footnote-299)، و قلّدتني مننك قلائد لا تحلّ، و طوّقتني أطواقا لا تفلّ‏[[300]](#footnote-300)، فآلاؤك جمّة ضعف لساني عن إحصائها، و نعماؤك كثيرة قصر فهمي عن ادراكها فضلا عن استقصائها، فكيف لي بتحصيل الشكر و شكري إيّاك يفتقر إلى شكر؟! فكلّما قلت: لك الحمد وجب عليّ لذلك أن أقول:

لك الحمد ...»[[301]](#footnote-301).

و هكذا يعلّمنا الإمام (عليه السّلام) كيف نشكر اللّه تعالى على ما أولانا من جزيل النعم، و أنّ الانسان مهما بالغ في شكره فإنّه عاجز و قاصر عن أداء الشكر.

و قال (عليه السّلام): «اللهمّ احملنا في سفن نجاتك، و متّعنا بلذيذ مناجاتك، و أوردنا حياض حبّك، و أذقنا حلاوة ودّك و قربك، و اجعل جهادنا فيك، و همّنا في طاعتك، و أخلص نيّاتنا في معاملتك، فإنّا بك و لك و لا وسيلة لنا إليك إلّا أنت ...»[[302]](#footnote-302).

و هكذا طلب (عليه السّلام) من اللّه تعالى أن يخلص نيّته في معاملته و يبلغه أعزّ أمانيه و هي ابتغاء رضوانه جلّ جلاله.

و قال (عليه السّلام): «... إلهي فاسلك بنا سبل الوصول إليك، و سيّرنا في أقرب الطرق للوفود عليك، قرّب علينا البعيد، و سهّل علينا العسير الشديد، و ألحقنا بعبادك الذين هم بالبدار[[303]](#footnote-303) إليك يسارعون، و بابك على الدوام يطرقون، و إيّاك في الليل و النهار يعبدون، و هم من هيبتك مشفقون، الذين صفّيت لهم المشارب، و بلّغتهم الرغائب، و أنجحت لهم‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) جلّلتني: غطّتني، و غمرتني.

(2) كللا: كلل جمع الكلّة و هي بيت أو خيمة رقيقة تضرب للمبيت تمنع من الذباب و البعوض و إنّما ذلك لأرباب النعمة.

(3) لا تفلّ: لا تثلم.

(4) مناجاة الشاكرين.

(5) مناجاة المطيعين.

(6) البدار: السباق.

ص:146

المطالب، و قضيت لهم من فضلك المآرب‏[[304]](#footnote-304)، و ملأت لهم ضمائرهم من حبّك، و روّيتهم من صافي شربك، فبك إلى لذيذ مناجاتك و صلوا، و منك أقصى مقاصدهم حصّلوا.

فأنت لا غيرك مرادي، و لك لا لسواك سهري و سهادي، و لقاؤك قرّة عيني، و وصلك منى نفسي، و إليك شوقي، و في محبّتك و لهي‏[[305]](#footnote-305)، و إلى هواك صبابتي‏[[306]](#footnote-306)، و رضاك بغيتي، و رؤيتك حاجتي، و جوارك طلبي، و قربك غاية سؤلي، و في مناجاتك روحي‏[[307]](#footnote-307) و راحتي، و عندك دواء علّتي، و شفاء غلّتي‏[[308]](#footnote-308)، و برد لوعتي‏[[309]](#footnote-309)، و كشف كربتي‏[[310]](#footnote-310) ...»[[311]](#footnote-311).

و هكذا انقطع (عليه السّلام) إلى اللّه جلّ جلاله، و تعلّقت به روحه و عواطفه، فلم يبصر غيره، و لا يجد شافيا لغلّته سواه.

و قال (عليه السّلام): «إلهي كسري لا يجبره إلّا لطفك و حنانك، و فقري لا يغنيه إلّا عطفك و إحسانك، و روعتي لا يسكّنها إلّا أمانك، و ذلّتي لا يعزّها إلّا سلطانك، و امنيّتي لا يبلّغنيها إلّا فضلك، و خلّتي‏[[312]](#footnote-312) لا يسدّها إلّا طولك، و حاجتي لا يقضيها غيرك، و كربي لا يفرّجه سوى رحمتك، و ضرّي لا يكشفه غير رأفتك، و غلّتي لا يبرّدها إلّا وصلك، و لوعتي لا يطفيها إلّا لقاؤك، و شوقي إليك لا يبله إلّا النظر إلى وجهك، و قراري لا يقرّدون دنوّي منك»[[313]](#footnote-313).

لقد أبدى الإمام (عليه السّلام) فقره وفاقته إلى اللّه سبحانه، و قد هام (عليه السّلام) بحبّ‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) المآرب: جمع مآرب و مأربة أي الحاجة.

(2) ولهي: تحيّري من شدّة الوجد.

(3) صبابتي: شوقي.

(4) الروح: الفرح و الراحة.

(5) غلّتي: عطشي الشديد.

(6) لوعتي: حرقة حزني و هواي و وجدي.

(7) كربتي: همّي و غمي.

(8) مناجاة المريدين.

(9) خلّتي: حاجتي و فقري.

(10) مناجاة المفتقرين.

ص:147

سيّده و مولاه خالق الكون و واهب الحياة، فعقد جميع آماله عليه و رجاه في قضاء جميع اموره كأعظم ما يكون الرجاء.

تجلّيات العرفان الإلهي:

و قال (عليه السّلام): «إلهي ما ألذّ خواطر الإلهام بذكرك على القلوب، و ما أحلى المسير إليك بالأوهام في مسالك الغيوب، و ما أطيب طعم حبّك، و ما أعذب شرب قربك! فأعذنا من طردك و إبعادك، و اجعلنا من أخصّ عارفيك و أصلح عبادك و أصدق طائعيك و أخلص عبّادك»[[314]](#footnote-314).

حقا إنّ الإمام زين العابدين (عليه السّلام) سيّد الموحّدين و زعيم العارفين باللّه، و لم تكن عبادته تقليدا، و إنّما كانت ناشئة عن كمال معرفته باللّه تعالى، و قد أعرب في النص المذكور عن كمال بغيته ألا و هو الإخلاص في عبادته سبحانه و تعالى.

و قال (عليه السّلام): «إلهي فألهمنا ذكرك في الخلاء[[315]](#footnote-315) و الملاء[[316]](#footnote-316) و الليل و النّهار و الإعلان و الإسرار، و في السرّاء و الضرّاء، و آنسنا بالذكر الخفيّ، و استعملنا بالعمل الزكيّ و السعي المرضيّ.

أنت المسبّح في كلّ مكان، و المعبود في كلّ زمان، و الموجود في كلّ أوان، و المدعوّ بكلّ لسان، و المعظّم في كلّ جنان‏[[317]](#footnote-317)، و أستغفرك من كلّ لذّة بغير ذكرك، و من كلّ راحة بغير انسك، و من كلّ سرور بغير قربك، و من كلّ شغل بغير طاعتك ...»[[318]](#footnote-318).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) مناجاة العارفين.

(2) الخلاء: المكان الفارغ الذي ليس فيه أحد.

(3) الملاء: اجتماع الناس.

(4) جنان: القلب.

(5) مناجاة الذاكرين.

ص:148

و يأخذنا الذهول حينما نقرأ هذا النصّ السجّادي الذي أعطانا فيه صورة واضحة متميّزة عن تضرّعه و تذلّله أمام اللّه سبحانه الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض و لا في السماء.

إنّ المعرفة الحقيقية بأنّ الإنسان فقير إلى اللّه تعالى- كما جسّدته النصوص السابقة- تجعله يلتجئ إليه تعالى دائما، و من هنا نجد أنّ للإمام السجاد (عليه السّلام) أدعية في أوقات و حالات متعدّدة بالإضافة إلى ما أوردناه، فله (عليه السّلام) دعاء في الصلاة على محمّد و آله، و في الصلاة على حملة العرش، و في اللجوء إلى اللّه تعالى، و في طلب الحوائج، و عند المرض، و في مكارم الأخلاق، و لجيرانه، و لأوليائه، و لأهل الثغور، و في الإستخارة، و في التوبة، و إذا نظر إلى الهلال، و في يوم عيد الفطر، و في التذلّل، و عند الشدّة، و عند ذكر الموت، و في الرهبة، و في استكشاف الهموم.

و تجلّى من خلال الفصول السابقة أنّ سيرة الإمام زين العابدين (عليه السّلام) جمعت له روح الثورة ضدّ الطغيان و الحماس الجهادي إلى جانب المعرفة الإلهية الحقّة و شدّة التعبّد للّه جلّ جلاله، فكانت سيرته (عليه السّلام) توضيحا للإجابة عن التساؤلات التي تثار عن إمكانية الجمع بين الدعاء و المناجاة من جهة و الروح النهضوية و التضحوية من جهة اخرى.

و لعلّ منشأ تلك التساؤلات هو توهّم البعض أنّ تفرّغهم للجهاد الأكبر و مجاهدة النفس و الرياضات الشرعية و الممارسات العبادية يغنيهم عن القتال و العمل الثوري و الروح الجهادية باعتبارها جهادا أصغر، إذ يغفلون عن حقيقة هي: أنّ القيام بالجهاد الأصغر هو أحد المحاور الأساسية للعمل بالجهاد الأكبر في إطاره الأوسع، و أنّ ترك الجهاد ناشئ في معظم الحالات عن هزيمة خفيّة في أحد ميادين الجهاد الأكبر، فالتلازم بين شدّة التقيّة

ص:149

و شدّة البأس أصيل، إذ يعبّر عن حقيقة شمولية الشريعة و الدين الالهي الحنيف لكافة أبعاد حياة الإنسان الفردية و الاجتماعية.

فالمعرفة التوحيدية و النهضة صفتان واضحتان جسّدهما أئمّة أهل البيت (عليهم السّلام)، إذ لم تخل سيرتهم أبدا من اجتماعهما، و يتّضح ذلك من خلال التمعّن في مناجاتهم (عليهم السّلام) و خطبهم في ميادين الحرب و مواقفهم ضد الحكّام المنحرفين، و نلحظ ذلك عند الإمام السجّاد (عليه السّلام) في روحه الجهادية الناهضة التي لاحظناها من خلال تصريحاته في الشام و في مجلس يزيد بن معاوية و هو الأسير المكبّل بالسلاسل، و الردّ الحاسم منه في دار الإمارة بالكوفة على من هدّده بالقتل بقوله: «أبا لقتل تهدّدنا و إنّ كرامتنا الشهادة»[[319]](#footnote-319) إنّ هذه الروح هي التي نطقت بأدعية الصحيفة السجادية و بالمناجاة الخمس عشرة[[320]](#footnote-320)، و في هذا خير شاهد على اجتماع روح الحماسة و روح الدعاء و المناجاة و العبادة.

و هذه الحقيقة أدّت بدورها إلى أن تحمل أدعية الإمام (عليه السّلام) جوانب سياسية، و جهادية، و اجتماعية، و أخلاقية، إلى جوار جوانبها العقائدية و المعرفية و العبادية، فكانت ذات أهداف تغييرية شاملة.

لقد كانت للأدعية السجادية أبعاد فكرية واسعة المدى بالنصوص الحاسمة لقضايا عقائدية إسلامية، كانت بحاجة إلى البتّ فيها بنص قاطع، بعد أن عصفت بالعقيدة تيارات الإلحاد كالتشبيه و الجبر و الإرجاء و غيرها ممّا كان الامويون وراء بعثها و إثارتها و ترويجها، بهدف تحريف مسيرة التوحيد و العدل، تمهيدا للردّة عن الإسلام و الرجوع إلى الجاهلية الاولى.

و في حالة القمع و الإبادة و مطاردة كلّ المناضلين الأحرار و تتبّع آثارهم‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) نفس المهموم، المحدّث القمي: 408.

(2) راجع الفصل الخاصّ بتراثه (عليه السّلام).

ص:150

و خنق أصواتهم كان قرار الإمام زين العابدين (عليه السّلام) باتّباع سياسة الدعاء أنجح وسيلة لبثّ الحقائق و تخليدها، و أأمن طريقة و أبعدها من إثارة السلطة الغاشمة، و أقوى أداة اتّصال سرّية مكتوبة هادئة موثوقة[[321]](#footnote-321).

ظاهرة البكاء في حياة الإمام (عليه السّلام):

تختلف دواعي البكاء عند الإنسان، فقد يبكي شوقا إلى المحبوب، و قد يبكي اعتراضا و صرخة في وجه النظام الغشوم، و من هنا يمكن تفسير و فهم ما جاء من: «أنّ البكاء على الإمام أبي عبد اللّه الحسين و سيّد الشهداء (عليه السّلام) من عوامل السعادة الخالدة و الزلفى إلى المهيمن سبحانه».

و لم يزل خاتم الأنبياء محمّد المصطفى (صلّى اللّه عليه و اله) يبكيه في بيته و في المسجد وحده تارة و مع أصحابه تارة اخرى، و يجيب من يسأله قائلا:

«أخبرني جبرئيل بقتل ولدي الحسين في جماعة من أهل بيته و أراني التربة التي يقتل فيها»[[322]](#footnote-322).

مضافا إلى ما في البكاء عليه من التعريف بالقساوة التي استعملها الامويون و لفيفهم، و من هنا كان الأئمّة يحثّون شيعتهم على عقد المحافل لذكر حادثة الطفّ و استدرار الدموع لكارثتها المؤلمة، و أكثروا من بيان الاجور المترتّبة عليه إلى حد بعيد.

و غير خفيّ أنّ إكثار الإمام زين العابدين (عليه السّلام) من البكاء على أبيه سيّد الشهداء طيلة حياته لم يكن لمحض الرقّة و العاطفة، بل إنّه (عليه السّلام) لاحظ به غاية سامية و هي تعريف الأجيال المتعاقبة الواعية لهذا الخطب الجليل و هو (عليه السّلام)

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) جهاد الإمام السجّاد: 224- 225.

(2) كشف الغمة: 2/ 7- 12.

ص:151

شاهد حال بما جاء به الامويّون من القساوة و الفظاعة و خروجهم عن الدين و الشريعة و تنمّرهم تجاه العدل و المروءة و الإنسانية ...

لقد بكى على أبيه المدّة التي عاش فيها حتى قال له مولاه: إنّي أخاف عليك أن تكون من الهالكين، فقال: إِنَّما أَشْكُوا بَثِّي وَ حُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَ أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ‏، إنّي لم أذكر مصرع بني فاطمة إلّا خنقتني العبرة»[[323]](#footnote-323).

و قال له آخر: أما آن لحزنك أن ينقضي؟ فقال (عليه السّلام): «و يلك لقد شكا يعقوب إلى ربّه في أقلّ ممّا رأيت حين قال: يا أَسَفى‏ و لم يفقد إلّا ابنا واحدا و هو حيّ في الدنيا و أنا رأيت أبي و جماعة أهل بيتي يذبّحون حولي»[[324]](#footnote-324).

و كان (عليه السّلام) إذا أخذ الإناء ليشرب الماء تذكّر عطش أبيه و من معه فيبكي حتى يمزجه من دموعه، فإذا قيل له في ذلك يقول: «كيف لا أبكي و قد منع أبي من الماء الذي هو مطلق للوحوش و السباع»[[325]](#footnote-325).

و كثيرا ما كان يحدّث أصحابه بفوائد الحزن في مصابهم و البكاء على ما انتابهم من المحن فيقول: «أيّما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين حتى تسيل على خدّه؛ بوّأه اللّه في الجنة غرفا»[[326]](#footnote-326) فكان صلوات اللّه عليه بإدامته البكاء على أبيه يؤجّج في الأفئدة نارا لما ارتكبه اولئك الطغاة من الجرائم و المآثم، يأبى الحنان البشري أن يكون صاحبها إنسانا فضلا عن أن يقود امّة أو يرأس رعيّة، و فضلا عن أن يكون خليفة في دين أو متبعا في دنيا.

و حيث لم تسعه المجاهرة بموبقات من اغتصبهم الخلافة الإلهية و جرّ

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) أعيان الشيعة: 1/ 636، سيرة علي بن الحسين (عليه السّلام) بكاءه على أبيه.

(2) المصدر السابق.

(3) بحار الأنوار: 46/ 108 عن مناقب آل أبي طالب: 4/ 179 و 180 و عن حلية الأولياء: 3/ 138.

(4) راجع: ثواب الأعمال: 83.

ص:152

إليهم الويلات و نكّل بهم؛ اتّخذ (عليه السّلام) البكاء طريقا لتنبيه الناس بتلكم الجرائم، و هذا منه أكبر جهاد ناجع في تحطيم عرش من أهلك الحرث و النسل و عاث في البلاد فسادا و خبالا، فكان بكاؤه متمّما للنهضة المقدسة.

و قد سبقته إلى هذا الجهاد الأكبر جدّته الصدّيقة الزهراء (عليها السّلام) و حاولوا إسكاتها معتذرين بأنّ نفوسهم لا تطيب بطعام و لا شراب و عزيزة الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) تنوح الليل و النهار فلم تهدأ عن البكاء، فاضطر سيّد الأوصياء (عليه السّلام) إلى إخراجها إلى البقيع بعد أن بنى لها بيتا من جريد النخل سمّاه «بيت الأحزان»، فإنّ الغرض تعريف الامّة من كان مستحقا للخلافة الإلهية و قد اغتصبت منه.

فالبكاء يوجب إلفات نظر الناس إلى الأسباب الباعثة عليه، و بهذا التفحّص تتجلى لهم الحقيقة و يسطع بصيص من ألق الحقّ المحجوب بظلم الجائرين ...[[327]](#footnote-327).

لقد كان البكاء واحدا من الأساليب التي جعلها الإمام السجّاد (عليه السّلام) وسيلة لإحياء ذكرى كربلاء، كما استعمل أساليب اخرى:

منها: زيارة الحسين (عليه السّلام) و الحثّ عليها.

قال أبو حمزة الثمالي: سألت عليّ بن الحسين عن زيارة الحسين (عليه السّلام) فقال: «زره كلّ يوم، فإن لم تقدر فكلّ جمعة، فإن لم تقدر فكلّ شهر، فمن لم يزره فقد استخفّ بحقّ رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله)»[[328]](#footnote-328)!

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) الإمام زين العابدين للسيّد الموسوي المقرّم: 360- 365، نشر دار الشبستري للمطبوعات. و في النص مقاطع أخذها من مصادر اخرى ذكرها في الكتاب.

(2) جهاد الإمام السجاد: 220.

ص:153

و منها: الاحتفاظ بتراب قبر الحسين (عليه السّلام) للسجود عليه‏[[329]](#footnote-329).

و منها: أنّه (عليه السّلام) كان يتختّم بخاتم أبيه الحسين (عليه السّلام)[[330]](#footnote-330).

ظاهرة الإعتاق في حياة الإمام (عليه السّلام):

العتق ظاهرة فريدة جاءت بها الشريعة الإسلامية، و قد اعتنى بها الأئمّة الأطهار إعتناء تاما، إلّا أنّ تحرير الرقيق يشكل ظاهرة بارزة في حياة الإمام زين العابدين (عليه السّلام) بالخصوص بشكل ليس له مثيل في تأريخ الإمامة، فهو أمر يسترعي الإنتباه و الملاحظة الفاحصة.

و إذا دقّقنا في الظروف و الملابسات التي عاشها الإمام (عليه السّلام) و قمنا ببعض المقارنات بين أعماله (عليه السّلام) و الأحداث التي كانت تجري من حوله و الظروف التي اكتنفت عملية الإعتاق الواسعة التي تبنّاها الإمام (عليه السّلام)؛ اتّضحت الصورة الحقيقية لأهدافه (عليه السّلام) من ذلك.

فيلاحظ أولا: أنّ أعداد الرقيق و العبيد كانت تتواتر على البلاد الإسلامية، فكان الموالي في ازدياد بالغ مذهل على أثر توالي الفتوحات.

ثانيا: كان الامويون ينتهجون سياسة التمييز العنصري، إذ كانوا يعتبرون الموالي شبه الناس‏[[331]](#footnote-331).

ثالثا: أنّ الجهاز الحاكم على الدولة الإسلامية ابتداء من الخليفة نفسه و مرورا بالامراء و الوزراء و انتهاء بموظّفي الدولة كانوا لا يمثّلون الإسلام، و إنّما كانوا بالضدّ و النقيض مع أحكامه و أخلاقه و آدابه و إن كانت تلهج‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) بحار الأنوار: 46/ 79، باب 5، ح 75.

(2) نقش الخواتيم للسيد جعفر مرتضى: 11.

(3) مختصر تأريخ دمشق: 17/ 284.

ص:154

ألسنتهم باسمه و تلعق بشهاداته.

رابعا: أنّ انتشار العبيد و الموالي و بالكثرة الكثيرة و من دون أيّ تحصين أخلاقي أو تربية إسلامية كان يؤدّي إلى شيوع البطالة و الفساد، و هو ما ترمي إليه الدولة الظالمة.

و يلاحظ فيما يتّصل بالإمام (عليه السّلام):

1- أنّ الإمام (عليه السّلام) كان يشتري العبيد و الإماء و لكن لا يبقي أحدهم عنده أكثر من سنة واحدة فقط، و هذا يعني أنّه كان مستغنيا عن خدمتهم، فكان يعتقهم بحجج متعدّدة و في مناسبات مختلفة.

2- أنّ الإمام (عليه السّلام) كان يعامل الموالي- لا كعبيد أو إماء- بل يعاملهم معاملة إنسانية مثالية، ممّا يعزّز في نفوسهم الأخلاق الكريمة و يحبّب اليهم الإسلام و أهل البيت (عليهم السّلام).

3- أنّ الإمام (عليه السّلام) كان يعلّم الرقيق أحكام الدين و يغذّيهم بالمعارف الإسلامية، بحيث يخرج الواحد من عنده محصّنا بالمعلومات التي تفيده في حياته و يدفع بها الشبهات و لا ينحرف عن الإسلام الصحيح.

4- كان الإمام (عليه السّلام) يزوّد من يعتقه بما يغنيه، فيدخل المجتمع ليزاول الأعمال الحرّة كأيّ فرد من الامّة، و لا يكون عالة على المجتمع.

فالإمام (عليه السّلام) كان يستهدف إسقاط السياسة التي كان يزاولها الامويون في معاملتهم للرقيق، فقد حقّق عمل الإمام (عليه السّلام) النتائج التالية:

أ- حرّر مجموعة كبيرة من عباد اللّه و إمائه الذين وقعوا في الأسر، و تلك حالة استثنائية، و مع أنّ الإسلام كان قد أقرّها لامور يعرف بعضها من خلال قراءة التأريخ الإسلامي، إلّا أنّ الشريعة وضعت طرقا عديدة لتخليص الرقيق و إعطائهم الحرية، و قد استفاد الإمام (عليه السّلام) من كلّ الظروف و المناسبات‏

ص:155

لتطبيق تلك الطرق، و تحرير العبيد و الإماء، ففي عمل الإمام (عليه السّلام) تطبيق للشريعة الإسلاميّة.

ب- إنّ الرقيق المعتقين يشكّلون جيلا من الطلّاب الذين تربّوا في بيت الإمام (عليه السّلام) و على يده بأفضل صورة، و عاشوا معه حياة مفعمة بالحقّ و المعرفة و الصدق و الإخلاص و بتعاليم الإسلام من عقائد و شرائع و أخلاق كريمة.

فقد كانت جماعة الرقيق تحتفظ بكلّ ذلك في قرارات نفوسهم، في شعورهم أو لا شعورهم، و ينقلونه إلى الأجيال اللاحقة، و في ذلك حفظ للإسلام المحمدي الذي كلّف أهل البيت (عليهم السّلام) مسؤولية حفظه و إيصاله إلى الأجيال اللاحقة.

و لا ريب أنّ الإمام (عليه السّلام) لو أراد أن يفتح مدرسة لتعليم مجموعة من الناس فلابدّ أنّه كان يواجه منعا من الجهاز الحاكم أو عرقلة لعمله أو رقابة شديدة في أقل تقدير، بينما كان حرّا في هذا المجال عن طريق توظيف ظاهرة طبيعية و عادية و هي شراء الرقيق و عتقهم في ذلك الظرف الذي كان يستساغ فيه مثل هذا العمل.

ج- لقد استقطب الإمام (عليه السّلام) ولاء الأعداد الكبيرة من هؤلاء الموالي المحرّرين، إذ لا يزال ولاء العتق يربطهم بالإمام (عليه السّلام) و لا بعد فيه إذا لاحظنا من يعتق مع من يرتبط به من أعضاء اسرته و عائلته و أقربائه الذين سوف يوجدون و يرتبطون به عاطفيا و عقائديا و سياسيا بشكل طبيعي.

\*\*\*

ص:157

الباب الخامس فيه فصول:

الفصل الأول:

من تراث الإمام زين العابدين (عليه السّلام) الفصل الثاني:

رسالة الحقوق الفصل الثالث:

في رحاب الصحيفة السجادية الفصل الرابع:

مدرسة الإمام زين العابدين (عليه السّلام)

ص:159

الفصل الأوّل من تراث الإمام زين العابدين (عليه السّلام)

لم يذكر التأريخ أنّ الأئمّة من أهل البيت (عليه السّلام) قد درسوا عند أحد أو تتلمذوا عند شخصية علمية سوى ما ورثوه من آبائهم الكرام عن النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله).

و قد تميّزوا بعلومهم الزاخرة و معارفهم الباهرة و التي ظهر شي‏ء منها في الأوساط التي اكتنفتهم و نقل لنا بعض ما ظهر منهم.

كما أجمع المؤرّخون على أنّ الأئمة المعصومين (عليهم السّلام) كانوا من أوسع الناس علما و أكثرهم دراية في أكثر من مجال علمي.

إنّ الإمامة و القيادة الرشيدة للامّة الإسلامية و للإنسانية المفتقرة إلى الهداية الربّانية تتطلّب إحاطة الإمام بكلّ علم يرتبط بمجال عمله و دائرة مسؤوليته، و قد أثبت أئمّة أهل البيت (عليهم السّلام) هذه الحقيقة بشكل عملي قد سجّله التأريخ لنا بكلّ وضوح، ممّا أدّى إلى إثارة التيارات المخالفة لخط أهل البيت (عليهم السّلام) و لا سيما الخلفاء الذين كانوا يرون الأئمّة أندادا لهم لا يضاهيهم ند و لا شريك باعتبار تفوّقهم علما و عملا، و انتهت هذه الإثارات إلى السعي لاختبار الأئمّة (عليهم السّلام) في أكثر من مجال و في أكثر من عصر، بحيث سجّلت هذه الاختبارات في التأريخ الإسلامي و دخلت مصادر التأريخ، و لم تترك مجالا للريب في جدارة الأئمّة من أهل البيت للقيادة الربّانية، باعتبار ما أثبتوه للامّة

ص:160

بكلّ وضوح و حقّقوه من مرجعيّتهم العلمية على مختلف الأصعدة لكلّ من حاول اختبارهم و أراد الاطّلاع على واقع عملهم.

و قد جاء في نصوص الأحاديث الشريفة أنّ المؤمن ينظر بنور اللّه، و هو تعبير آخر عمّا جاء في قوله تعالى: وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ يُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ‏[[332]](#footnote-332)، فلا بعد فيما يعتقده الشيعة الإماميّة في أئمتهم (عليهم السّلام) من أنّهم ملهمون بإلهام إلهي و تعليم ربّاني، و قد ورّثهم الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) علمه و أدبه و كماله، و هم أهل بيت الوحي و الرسالة، فهم أجدر من غيرهم بوراثة العلم و الكمال الربّاني المتبلورين في شخصيّة الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) القيادية و في شخصيّة كلّ إمام من أهل البيت (عليهم السّلام) الذين عيّنهم الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) بأمر من اللّه لتلك المهمّة الكبرى و المسؤوليّة العظمى، و قد قال تعالى: وَ ما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى‏\* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحى‏[[333]](#footnote-333).

إنّ العلماء الذين تتلمذوا على الأئمّة من أهل البيت (عليهم السّلام) و رووا عنهم بعض معارفهم خير شاهد على سعة علوم الأئمّة و تميّزها عن علوم غيرهم ممّن عرفوا بالعلم و الدراية.

و يمكن أن نصنّف بعض ما روي عن الإمام زين العابدين (عليه السّلام) إلى علوم القرآن و الحديث و الفقه و الأخلاق و السيرة و التأريخ و العقائد، بالإضافة إلى ما أفاضه في طيّات أدعيته و وصاياه و احتجاجاته في علوم النفس و الاجتماع و التربية و العرفان و الإدارة و الاقتصاد إلى غيرها من العلوم الطبيعية و الإنسانية.

و نعرض بإيجاز صورة عن معارفه و علومه التي سجّلها لنا التأريخ.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) البقرة (2): 282.

(2) النجم (53): 3- 4.

ص:161

في رحاب القرآن الكريم:

القرآن الكريم هو الوحي الإلهي الخالص و المعجزة الخالدة لنبوّة سيّد المرسلين و شريعة خاتم النبيّين و الينبوع الثرّ لكلّ علم و معرفة، و عنه قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله): «إنّي تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب اللّه حبل ممدود من السماء إلى الأرض، و عترتي أهل بيتي، و إنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»[[334]](#footnote-334).

و قد شغف الإمام زين العابدين (عليه السّلام) كآبائه الكرام- بشكل ملفت للنظر- بالقرآن الكريم و علومه، و تمثّل ذلك في سلوكه اليومي و أدعيته و اهتماماته، تلاوة و تدبّرا و تفسيرا و تعليما و عملا، بما لا يدع مجالا للريب في أنّ الإمام (عليه السّلام) كان هو القرآن الناطق و التجسيد الحيّ لكلّ آيات القرآن الباهرة و المعجزة الإلهية الخالدة.

و ها نحن نعرض بعض ما يشير إلى مدى اهتمام الإمام (عليه السّلام) بالقرآن العظيم من خلال دعائه عند ختم القرآن بالإضافة الى ما مرّ في البحوث السابقة.

قال (عليه السّلام): «اللهمّ إنّك أعنتني على ختم كتابك الذي أنزلته نورا، و جعلته مهيمنا على كلّ كتاب أنزلته، و فضّلته على كلّ حديث قصصته، و فرقانا فرّقت به بين حلالك و حرامك، و قرآنا أعربت به عن شرائع أحكامك، و كتابا فصّلته لعبادك تفصيلا، و وحيا أنزلته على نبيّك محمّد صلواتك عليه و اله تنزيلا، و جعلته نورا نهتدي من ظلم الضلالة و الجهالة

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) راجع مصادر و أسانيد و نصوص هذا الحديث الشريف و المتواتر عند الفريقين في الأعداد 4 إلى 9 من مجلة رسالة الثقلين، و حديث الثقلين، طبعة دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، مصر: 9.

ص:162

باتّباعه، و شفاء لمن أنصت بفهم التصديق إلى استماعه، و ميزان قسط[[335]](#footnote-335) لا يحيف‏[[336]](#footnote-336) عن الحقّ لسانه، و نور هدى لا يطفأ عن الشاهدين برهانه، و علم نجاة لا يضلّ من أمّ قصد سنّته، و لا تنال أيدي الهلكات من تعلّق بعروة عصمته.

اللهمّ فإذا أفدتنا المعونة على تلاوته، و سهلت جواسي ألسنتنا[[337]](#footnote-337) بحسن عبادته، فاجعلنا ممّن يرعاه حقّ رعايته، و يدين لك باعتقاد التسليم لمحكم آياته، و يفزع إلى الإقرار بمتشابهه و موضّحات بيّناته، اللهمّ إنّك أنزلته على نبيّك محمّد (صلّى اللّه عليه و اله)، و ألهمته علم عجائبه مكملا، و ورثتنا علمه مفسّرا و فضّلتنا على من جهل علمه، و قوّيتنا عليه لترفعنا فوق من لم يطق حمله.

اللهمّ فكما جعلت قلوبنا له حملة و عرّفتنا برحمتك شرفه و فضله فصلّ على محمّد الخطيب به و على آله الخزّان له، و اجعلنا ممّن يعترف بأنّه من عندك حتى لا يعارضنا الشكّ في تصديقه، و لا يختلجنا الزيغ عن قصد طريقه»[[338]](#footnote-338).

إنّ القرآن هو معجزة الإسلام الكبرى، و قد تحدّث سليل النبوّة في هذا المقطع عن بعض معالمه و أنواره و هي:

1- إنّ اللّه تعالى أنزل القرآن الكريم نورا يهدي به الضالّ، و يرشد به الحائر، و يوضّح به القصد.

2- إنّ اللّه تعالى جعل القرآن الحكيم مهيمنا و مشرفا على جميع كتبه التي أنزلها على أنبيائه، فهو يكشف عمّا حدث فيها من التغيير و التبديل و التحريف من قبل المنحرفين و دعاة الضلال.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) القسط: العدل.

(2) لا يحيف: لا يميل.

(3) جواسي: جمع جاسية و هي الغليظة، و المراد غلاظ الألسنة.

(4) الصحيفة السجادية: من دعائه في ختم القرآن (42).

ص:163

3- إنّ اللّه تعالى فضّل كتابه العزيز على كلّ حديث عرض فيه قصص الأنبياء و شؤونهم، فقد تناول الذكر الحكيم بصورة موضوعية و شاملة أحوالهم و شؤونهم و اقتباس العبر منهم.

4- إنّ القرآن الكريم باعتباره منهجا و دستورا عامّا للحياة يفرّق بين الحلال و الحرام، و يعرب عن شرائع الأحكام، و يفصّل جميع ما يحتاجه الناس تفصيلا واضحا لا لبس فيه و لا غموضا.

5- إنّ اللّه تعالى كما جعل كتابه الحكيم نورا يهتدى به في ظلم الضلالة و الجهالة كذلك جعله شفاء من الأمراض و العاهات النفسية، و ذلك لمن آمن به و صدّقه.

6- إنّ الذكر الحكيم ميزان عدل و قسط، ليس فيه ميل عن الحقّ، و لا اتّباع لهوى، و إنّ من تمسّك به و اعتصم؛ فقد سلك الطريق القويم الذي لا التواء فيه، و نجا من الهلاك.

7- طلب الإمام (عليه السّلام) من اللّه جلّ جلاله أن يتفضل عليه برعاية كتابه و التسليم لمحكم آياته و الإقرار بمتشابهاته.

8- إنّ اللّه تعالى قد منح نبيّه العظيم فهم عجائب ما في القرآن الكريم و علّمه تفسيره، كما أشاد بأئمّة الهدى من عترة الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) الذين رفعهم اللّه عزّ و جلّ و أعلى درجتهم، فجعلهم خزنة علمه و الأدلّاء على كتابه.

نماذج من تفسير الإمام زين العابدين (عليه السّلام):

كان الإمام (عليه السّلام) من ألمع المفسّرين للقرآن الكريم، و قد استشهد علماء التفسير بالكثير من روائع تفسيره، و يقول المؤرّخون أنّه كان صاحب مدرسة

ص:164

لتفسير القرآن، و قد أخذ عنه ابنه الشهيد زيد في تفسيره للقرآن‏[[339]](#footnote-339) كما أخذ عنه ابنه الإمام أبو جعفر محمد الباقر (عليه السّلام) الذي رواه عنه زياد بن المنذر[[340]](#footnote-340) الزعيم الروحي للفرقة الجارودية. و هذه نماذج من تفسيره (عليه السّلام) لكتاب اللّه العزيز.

1- روى الإمام محمد الباقر عن أبيه (عليهما السّلام)، في تفسير الآية الكريمة:

الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِراشاً[[341]](#footnote-341)، أنّه سبحانه و تعالى جعل الأرض ملائمة لطباعكم، موافقة لأجسادكم، و لم يجعلها شديدة الحمأ[[342]](#footnote-342) و الحرارة فتحرقكم، و لا شديدة البرودة فتجمدكم، و لا شديدة طيب الريح فتصدع هاماتكم، و لا شديدة النتن فتعطبكم‏[[343]](#footnote-343)، و لا شديدة اللين كالماء فتغرقكم، و لا شديدة الصلابة فتمتنع عليكم في دوركم و أبنيتكم و قبور موتاكم، و لكنّه عزّ و جلّ جعل فيها من المتانة[[344]](#footnote-344) ما تنتفون به، و تتماسكون عليها أبدانكم و بنيانكم، و جعل فيها ما تنقاد به لدوركم و قبوركم و كثير من منافعكم، فلذلك جعل الأرض فراشا لكم، ثمّ قال عز و جلّ: وَ السَّماءَ بِناءً أي سقفا من فوقكم، محفوظا يدير شمسها و قمرها و نجومها لمنافعكم، ثمّ قال عز و جلّ: وَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً يعني المطر ينزله من عل ليبلغ قلل جبالكم و تلالكم و أوهادكم‏[[345]](#footnote-345) ثم فرّقه رذاذا و وابلا و هطلا[[346]](#footnote-346) لتنشفه أرضوكم، و لم يجعل ذلك المطر نازلا عليكم قطعة

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) حياة الإمام زين العابدين (عليه السّلام): 2/ 32.

(2) حياة الإمام الباقر: 1/ 11، نقلا عن الفهرست للشيخ الطوسي: 98.

(3) البقرة (2): 22.

(4) الحمأ: شدّة حرارة الشمس.

(5) تعطبكم: أي تهلكم.

(6) المتانة: ما صلب من الأرض و ارتفع.

(7) الأوهاد: الأرض المنخفضة.

(8) الهطل: المطر الضعيف الدائم.

ص:165

واحدة فيفسد أرضيكم و أشجاركم و زروعكم و ثماركم، ثم قال عز و جلّ:

فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَراتِ رِزْقاً لَكُمْ‏ يعني ممّا يخرجه من الأرض رزقا لكم‏ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْداداً أي أشباها و أمثالا من الأصنام التي لا تعقل و لا تسمع و لا تبصر و لا تقدر على شي‏ء وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ‏ أنّها لا تقدر على شي‏ء من هذه النعم الجليلة التي أنعمها عليكم ربّكم تبارك و تعالى‏[[347]](#footnote-347).

و حوت هذه القطعة الذهبية من كلام الإمام زين العابدين (عليه السّلام) أروع أدلة التوحيد و أوثقها، فقد أعطت صورة متكاملة مشرقة من خلق اللّه تعالى للأرض، فقد خلقها بالكيفية الرائعة التي ليست صلبة و لا شديدة ليسهل على الإنسان العيش عليها، و الانتفاع بخيراتها و ثمراتها التي لا تحصى، فالأرض بما فيها من العجائب كالجبال و الأودية و المعادن و البحار و الأنهار و غير ذلك من أعظم الأدلة و أوثقها على وجود الخالق العظيم الحكيم.

كما استدل الإمام (عليه السّلام) على عظمة اللّه تعالى بخلقه السماء و ما فيها من الشمس و القمر و سائر الكواكب التي تزوّد هذه الأرض بأشعتها.

إنّ أشعّة الشمس لها الأثر البالغ في تكوين الحياة النباتية، كما أنّ أشعة القمر لها الأثر على البحار في مدّها و جزرها، و كذلك لأشعة سائر الكواكب، فإنّ الأثر التام في منح الحياة العامّة لجميع الموجودات الحيوانية و النباتية في الأرض، و هذه الظواهر الكونية التي لم تكتشف إلّا في هذه العصور الحديثة، إلّا أنّ الإمام (عليه السّلام) ألمح إليها في كلامه، فكان حقّا هو و آباؤه و أبناؤه المعصومون الرواد الأوائل الذين رفعوا راية العلم، و ساهموا في تكوين الحضارة الإنسانية.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) عيون أخبار الرضا: 2/ 125- 126. طبعة مؤسسة الاعلمي- بيروت.

ص:166

و أعطى الإمام (عليه السّلام) صورة متميزة عن الأمطار، و أنّها تتساقط بصورة رتيبة و في أوقات خاصة، و ذلك لإحياء الأرض و إخراج ثمراتها، و لو دام المطر و نزل دفعة واحدة؛ لأهلك الحرث و النسل.

و بعدما أقام الإمام الأدلّة المحسوسة على وجود الخالق الحكيم؛ دعا إلى عبادته و توحيده و نبذ الأصنام و الأنداد التي تدعو إلى انحطاط الفكر و جمود الوعي، لأنّها لا تضرّ و لا تنفع و لا تملك أيّ قدرة في إدارة هذا الكون و تصريف شؤونه.

2- فسّر (عليه السّلام) الآية الكريمة: ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً[[348]](#footnote-348) بقوله: «السلم هو ولاية أمير المؤمنين (عليه السّلام)»[[349]](#footnote-349). و لا شك أنّ ولاية الإمام أمير المؤمنين و باب مدينة علم النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) هي السلم الحقيقي الذي ينعم الناس في ظلاله بالأمن و الرخاء و الاستقرار، و لو أنّ المسلمين كانوا قد دانوا بهذه الولاية بعد وفاة النبيّ (صلّى اللّه عليه و اله) لما داهمتهم الأزمات في حياتهم السياسية و الاجتماعية.

3- روى الإمام الصادق (عليه السّلام) عن جدّه الإمام زين العابدين (عليه السّلام) في تفسير قوله تعالى: يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ وَ يَأْخُذُ الصَّدَقاتِ‏[[350]](#footnote-350) أنّه قال: «إنّي ضامن على ربّي تعالى أنّ الصدقة لا تقع في يد العبد حتى تقع في يد الربّ تعالى»، و كان يقول:

«ليس من شي‏ء إلّا و كّل به ملك، إلّا الصدقة فإنّها تقع في يد اللّه تعالى»[[351]](#footnote-351).

4- سأل رجل الإمام زين العابدين (عليه السّلام) عن الحقّ المعلوم الذي ورد في قوله تعالى: وَ الَّذِينَ فِي أَمْوالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسَّائِلِ وَ الْمَحْرُومِ‏[[352]](#footnote-352)، فقال (عليه السّلام):

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) البقرة (2): 208.

(2) تفسير البرهان: 1/ 129.

(3) التوبة (9): 105.

(4) تفسير البرهان: 1/ 441، تفسير الصافي: 2/ 372- 373.

(5) المعارج (70): 24 و 25.

ص:167

«الحقّ المعلوم الشي‏ء الذي يخرجه من ماله ليس من الزكاة و الصدقة المفروضتين»، فقال له الرجل: فما يصنع به؟ فقال (عليه السّلام): «يصل به رحما، و يقوّي به ضعيفا، و يحمل له كلّه، أو يصل أخا له في اللّه، أو لنائبة تنوبه» و بهر الرجل من علم الإمام و راح يقول له: اللّه أعلم حيث يجعل رسالته في من يشاء[[353]](#footnote-353).

5- فسّر الإمام (عليه السّلام) الآية الكريمة: فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ‏[[354]](#footnote-354) بأنّه العفو من غير عتاب‏[[355]](#footnote-355).

في رحاب الحديث الشريف:

للحديث الشريف أهمية بالغة في العلوم الإسلامية، فقد بني معظم الفقه الإسلامي عليه، فإنّه يعرض بصورة موضوعية و شاملة لتفصيل الأحكام الشرعية الواردة في القرآن الكريم، فيذكر أنواعها من الوجوب و الحرمة و الاستحباب و الكراهة و الإباحة، كما يذكر أجزاءها و شرائطها و موانعها و سائر ما يعتبر فيها، و يعرض لعمومات الكتاب و مطلقاته فيخصّصها و يقيّدها، و بالإضافة إلى ذلك يتناول آداب السلوك و قواعد الأخلاق، و يعطي البرامج الوافية لسعادة الإنسان و بناء شخصيته.

و قد كان الإمام زين العابدين (عليه السّلام) في عصر التابعين من أعظم الرواة و أهمّهم فضلا عن كونه أحد مصادر بيان الأحكام و المعارف الإلهية باعتقاد الشيعة الإمامية باعتبار أنّ أحاديث الأئمّة (عليهم السّلام) هي أحاديث رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله)، و قد قال أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السّلام): «علّمني رسول اللّه ألف باب من‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) لآلئ الأخبار: 3/ 3، وسائل الشيعة: 6/ 69.

(2) الحجر (15): 85.

(3) وسائل الشيعة: 5/ 519.

ص:168

العلم فتح لي من كلّ باب ألف باب»[[356]](#footnote-356). و أيّد التاريخ هذا المعنى فيما روي عن عليّ (عليه السّلام) من العلوم و المعارف و أقرّت الصحابة بفضل عليّ و بمرجعيّته العلمية هو و الأئمّة من بنيه، و لا غرو في ذلك بعد أن جعلهم اللّه أبواب الهدى و سفن النجاة كما صحّ عن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) أنّه قال: «مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا و من تخلّف عنها غرق»[[357]](#footnote-357).

و النصوص التي وصلتنا عن الإمام زين العابدين (عليه السّلام) قد صرّح في بعضها بأنّها عن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) أو عن جدّه أمير المؤمنين، هذا فضلا عمّا رواه عن أبيه الحسين (عليه السّلام).

و قد اعتنى أئمّة الحديث بأحاديثه اعتناء فائقا باعتباره الرائد العلمي في عصر التابعين، و لو لا مدرسته العلمية و جهوده التثقيفية المباركة؛ لاندرست أعلام الدين في عصر طغت فيه الميوعة و روّجت فيه الشهوات، و اريد للامّة الإسلامية أن تعود إلى جاهلية جهلاء.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) بحار الأنوار: 22/ 470.

(2) المصدر السابق: 23/ 119.

ص:169

في رحاب اصول العقيدة و مباحث الكلام:

كان الإمام (عليه السّلام) في زمانه وحيد عصره في الإجابة على الأسئلة العقائدية المعقّدة و لا سيّما ما تعرضت له الامّة الإسلامية من تيارات فكرية مستوردة أو دخيلة تحاول زعزعة كيان العقيدة الخالصة كمباحث القضاء و القدر و الجبر و الإختيار التي ظهرت بوادرها في حياة الإمام أمير المؤمنين (عليه السّلام) و أخذت بالنمو و الانتشار بحيث شكّلت ظاهرة فكرية تستدعي الانتباه و تتطلّب العلاج.[[358]](#footnote-358)

و برز الإمام عليّ بن الحسين (عليهما السّلام) على الصعيد العلمي بروزا جعله منارا يشار إليه، و آمن به المسلمون جميعا حتى قال الزهري عنه: ما رأيت هاشميا أفضل من عليّ بن الحسين و لا أفقه منه.

و قد اعترف بهذه الحقيقة حكّام عصر الإمام من خلفاء بني اميّة- و هم لا يعترفون بالفضل لمن يطاولهم في الخلافة و السلطان- حتى قال عبد الملك ابن مروان للإمام زين العابدين (عليه السّلام): و لقد اوتيت من العلم و الدين و الورع ما لم يؤته أحد مثلك قبلك إلّا من مضى من سلفك. و وصفه عمر بن عبد العزيز بأنّه سراج الدنيا و جمال الإسلام.

و ممّا ورد عنه في القضاء و القدر أنّ رجلا سأله: جعلني اللّه فداك، أبقدر يصيب الناس ما أصابهم أم بعمل؟

فأجابه (عليه السّلام): «إنّ القدر و العمل بمنزلة الروح و الجسد، فالروح بغير جسد لا تحسّ، و الجسد بغير روح صورة لا حراك بها، فإذا اجتمعا قويا و صلحا، كذلك العمل و القدر، فلو لم يكن القدر واقعا على العمل لم يعرف الخالق من المخلوق، و كان القدر شيئا لا يحسّ، و لو لم يكن العمل بموافقة من القدر؛ لم يمض و لم يتمّ و لكنهما باجتماعهما، و للّه‏

ص:170

فيه العون لعباده الصالحين» ثم قال (عليه السّلام):

«ألا إنّ من أجور الناس من رأى جوره عدلا و عدل المهتدي جورا، ألا إنّ للعبد أربعة أعين: عينان يبصر بهما أمر آخرته، و عينان يبصر بهما أمر دنياه، فإذا أراد اللّه عز و جل بعبد خيرا؛ فتح له العينين اللّتين في قلبه فأبصر بهما العيب، و إذا أراد غير ذلك ترك القلب بما فيه» ثمّ التفت إلى السائل عن القدر فقال: «هذا منه، هذا منه»[[359]](#footnote-359).

و قال (عليه السّلام) في بيان استحالة أن يوصف اللّه تعالى بالمحدودية التي هي من صفات الممكن:

«لا يوصف اللّه تعالى بالمحدودية عظم اللّه ربّنا عن الصفة، و كيف يوصف بمحدودية من لا يحدّ، و لا تدركه الأبصار و هو يدرك الأبصار و هو اللطيف الخبير»[[360]](#footnote-360)؟

الإمام زين العابدين (عليه السّلام) ينصّ على الأئمّة من بعده و يبشّر بالمهدي (عليه السّلام):

1- روى (عليه السّلام) عن جابر بن عبد اللّه الأنصاري حديثا طويلا جاء فيه: أنّ رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله) أشار إلى سبطه الحسين قائلا لجابر: «و من ذرّيّة هذا رجل يخرج في آخر الزمان يملأ الأرض عدلا كما ملئت ظلما و جورا ...»[[361]](#footnote-361).

2- و قال (عليه السّلام) عن المهديّ (عليه السّلام): «إنّ الإسلام قد يظهره اللّه على جميع الأديان عند قيام القائم»[[362]](#footnote-362).

3- و قال (عليه السّلام): «إذا قام القائم؛ أذهب اللّه عن كلّ مؤمن العاهة و ردّ اليه قوّته»[[363]](#footnote-363).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) التوحيد للشيخ الصدوق: 366- 367 منشورات جامعة المدرّسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة، الطبعة السادسة.

(2) حياة الإمام زين العابدين: 304.

(3) معجم أحاديث الإمام المهدي (عج): 3/ 190.

(4) المصدر السابق: 3/ 191.

(5) المصدر السابق: 3/ 193.

ص:171

4- و ذكر (عليه السّلام) أنّ سنن الأنبياء تجري في القائم من آل محمد (صلّى اللّه عليه و اله):

فمن آدم و نوح طول العمر، و من إبراهيم خفاء الولادة و اعتزال الناس، و من موسى الخوف و الغيبة، و من عيسى (عليه السّلام) اختلاف الناس فيه، و من أيّوب الفرج بعد البلوى، و من محمّد (صلّى اللّه عليه و اله) الخروج بالسيف‏[[364]](#footnote-364).

5- و قال عن خفاء ولادته على الناس: «القائم منّا تخفى ولادته على الناس حتى يقولوا لم يولد بعد ليخرج حين يخرج و ليس لأحد في عنقه بيعة»[[365]](#footnote-365).

6- و عن أبي حمزة الثمالي عن أبي خالد الكابلي‏[[366]](#footnote-366) قال:

دخلت على سيّدي عليّ بن الحسين زين العابدين (عليه السّلام) فقلت له: يابن رسول اللّه! أخبرني بالذين فرض اللّه طاعتهم و مودّتهم، و أوجب على خلقه الاقتداء بهم بعد رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله).

فقال لي: «يا أبا كنكر! إنّ اولي الأمر الذين جعلهم اللّه أئمّة الناس و أوجب عليهم طاعتهم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، ثم انتهى الأمر إلينا»، ثم سكت.

فقلت له: يا سيّدي! روي لنا عن أمير المؤمنين (عليه السّلام) أنّه قال: «لا تخلو الأرض من حجّة للّه على عباده» فمن الحجّة و الإمام بعدك؟

قال: «ابني (محمّد) و اسمه في التوراة (باقر) يبقر العلم بقرا، هو الحجّة و الإمام بعدي، و من بعد محمّد ابنه (جعفر) اسمه عند أهل السماء (الصادق)».

فقلت له: يا سيّدي فكيف صار اسمه: (الصادق)، و كلّكم صادقون؟

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) معجم أحاديث الإمام المهدي (عج): 3/ 194.

(2) المصدر السابق.

(3) في الكنى و الألقاب للشيخ عباس القمي: 1/ 60 قال: «قال الفضل بن شاذان: و لم يكن في زمن عليّ بن الحسين (عليه السّلام) في أول أمره إلّا خمسة أنفس: سعيد بن جبير، سعيد بن المسيّب، محمد بن جبير بن مطعم، يحيى بن ام الطويل، أبو خالد الكابلي و اسمه وردان و لقبه كنكر. ثم قال: و في خبر الحواريّين أنّه من حواري عليّ بن الحسين (عليه السّلام) و قد شاهد كثيرا من دلائل الأئمّة (عليهم السّلام).

ص:172

فقال: «حدّثني أبي عن أبيه أنّ رسول اللّه قال: «إذا ولد ابني جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب فسموه الصادق، فإنّ الخامس من ولده الذي اسمه جعفر يدّعي الإمامة اجتراء على اللّه و كذبا عليه، فهو عند اللّه (جعفر الكذّاب) المفتري على اللّه، المدّعي لما ليس له بأهل، المخالف على أبيه، و الحاسد لأخيه، ذلك الذي يكشف سرّ اللّه عند غيبة وليّ اللّه».

ثم بكى عليّ بن الحسين بكاءا شديدا، ثمّ قال:

«كأنّي بجعفر الكذّاب و قد حمل طاغية زمانه على تفتيش أمر وليّ اللّه، و المغيّب في حفظ اللّه، و التوكيل بحرم أبيه جهلا منه بولادته، و حرصا على قتله إن ظفر به، طمعا في ميراث أبيه حتى يأخذه بغير حقّه».

قال أبو خالد: فقلت له: يابن رسول اللّه و إنّ ذلك لكائن؟

فقال: «أي و ربّي إنّه المكتوب عندنا في الصحيفة التي فيها ذكر المحن التي تجري علينا بعد رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله)».

قال أبو خالد: فقلت: يا ابن رسول اللّه ثمّ يكون ماذا؟

قال: «ثمّ تمتد الغيبة بوليّ اللّه الثاني عشر من أوصياء رسول اللّه و الأئمة بعده، يا أبا خالد! إن أهل زمان غيبته القائلين بإمامته و المنتظرين لظهوره أفضل أهل كلّ زمان، لأنّ اللّه تعالى ذكره أعطاهم من العقول و الأفهام و المعرفة ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة، و جعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول اللّه بالسيف، اولئك المخلصون حقّا، و شيعتنا صدقا، و الدعاة إلى دين اللّه سرّا و جهرا». و قال (عليه السّلام): «انتظار الفرج من أعظم الفرج»[[367]](#footnote-367).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) الاحتجاج: 2/ 48- 50 احتجاجات الإمام عليّ بن الحسين (عليه السّلام).

ص:173

في رحاب الفقه و أحكام الشريعة:

كانت الحلقة الدراسية التي أسّسها الإمام زين العابدين (عليه السّلام) حلقة حافلة بصنوف المعرفة الإسلامية، و كان يفيض فيها الإمام من علومه و علوم آبائه الطاهرين و يمرّن النابهين منهم على الفقه و الاستنباط، و قد تخرّج من هذه الحلقة الدراسية عدد كبير من فقهاء المسلمين.

و استقطب الإمام عن هذا الطريق الجمهور الأعظم من القرّاء و حملة الكتاب و السنّة حتى قال سعيد بن المسيّب: إنّ القرّاء كانوا لا يخرجون إلى مكّة حتى يخرج عليّ بن الحسين، فخرج و خرجنا معه ألف راكب.

و علم الفقه بالمعنى المعروف فعلا هو العلم بأحكام أفعال المكلّفين على ضوء مصادر الشريعة الإسلامية، و كان الإمام هو المرجع الوحيد في عصره لإعطاء تفاصيل الأحكام الشرعية، و تعليم طريقة استنباطها من مصادرها الإسلامية، و المربي الفذّ الذي تخرّج على يديه فقهاء المدينة، و كانت مدرسته هي المنطلق لما نشأ بعد ذلك من مدارس فقهيّة.

و قد قال عنه الزهري: ما رأيت هاشميا أفضل من زين العابدين و لا أفقه منه‏[[368]](#footnote-368). و عدّه الشافعي أفقه أهل المدينة.

و روى المؤرّخون: أنّ الزهري كان يعترف بالفضل و الفقه للإمام عليّ ابن الحسين (عليهما السّلام) و كان ممّن يرجع إليه في ما يهمّه من الأحكام الشرعية، و روي أنّه رأى في منامه كأنّ يده مخضوبة، و فسّرت له رؤياه بأنّه يبتلى بدم خطأ، و كان في ذلك الوقت عاملا لبني اميّة، فعاقب رجلا فمات في العقوبة،

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) راجع ترجمة الإمام زين العابدين (عليه السّلام) من تاريخ دمشق، تحقيق محمد باقر المحمودي: 27.

ص:174

ففزع و خاف من اللّه، و فرّ هاربا فدخل في غار يتعبّد فيه، و كان الإمام (عليه السّلام) قد مضى حاجّا إلى بيت اللّه الحرام فاجتاز على الغار الذي فيه الزهري، فقيل له:

هل لك في الزهري حاجة؟ فأجابهم إلى ذلك، و دخل عليه فرآه فزعا خائفا، قانطا من رحمة اللّه، فقال (عليه السّلام) له: «إنّي أخاف عليك من القنوط ما لا أخاف عليك من ذنبك، فابعث بدية مسلّمة إلى أهله، و اخرج إلى أهلك و معالم دينك».

فاستبشر الزهري و قال له: فرّجت عنّي يا سيّدي، اللّه أعلم حيث يجعل رسالته في من يشاء[[369]](#footnote-369).

و دخل الزهري مع جماعة من الفقهاء على الإمام زين العابدين (عليه السّلام)، فسأل الإمام الزهريّ عمّا كانوا يخوضون فيه فقال له: تذاكرنا الصوم فأجمع رأيي و رأي أصحابي على أنّه ليس من الصوم واجب إلّا شهر رمضان.

فنعى عليهم الإمام (عليه السّلام) قلّة معلوماتهم بشؤون الشريعة و أحكام الدين، و بيّن لهم أقسام الصوم قائلا:

«ليس كما قلتم، الصوم على أربعين وجها، عشرة منها واجبة كوجوب شهر رمضان، و عشرة منها صومهنّ حرام، و أربعة عشر وجها صيامهنّ بالخيار، إن شاء صام و إن شاء أفطر، و صوم الإذن على ثلاثة أوجه، و صوم التأدّب و صوم الإباحة و صوم السفر و المرض».

و بهر الزهري و بقية الفقهاء من سعة علم الإمام (عليه السّلام) و إحاطته بأحكام الدين، و طلب منه الزهري ايضاح تلك الوجوه و بيانها، فقال (عليه السّلام): «أمّا الواجب فصيام شهر رمضان، و صيام شهرين متتابعين لمن أفطر يوما من شهر رمضان متعمدا، و صيام شهرين في قتل الخطأ لمن لم يجد العتق، واجب، قال اللّه تعالى: وَ مَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَ دِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلى‏ أَهْلِهِ‏- إلى قوله-: فَمَنْ لَمْ يَجِدْ

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) تأريخ دمشق: 36/ 16، بحار الأنوار: 46/ 7.

ص:175

فَصِيامُ شَهْرَيْنِ مُتَتابِعَيْنِ‏[[370]](#footnote-370).

و صيام شهرين متتابعين في كفّارة الظهار[[371]](#footnote-371) لمن لم يجد العتق. قال اللّه تعالى:

وَ الَّذِينَ يُظاهِرُونَ مِنْ نِسائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِما قالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ\* فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيامُ شَهْرَيْنِ مُتَتابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا[[372]](#footnote-372).

و صيام ثلاثة أيام: فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ ذلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمانِكُمْ إِذا حَلَفْتُمْ‏[[373]](#footnote-373)، كل ذلك تتابع و ليس بمفترق.

و صيام أذى الحلق (حلق الرأس) واجب، قال اللّه تبارك و تعالى: فَمَنْ كانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ بِهِ أَذىً مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ‏[[374]](#footnote-374)، و صاحبها فيها بالخيار بين صيام ثلاثة أيام أو صدقة أو نسك.

و صوم دم المتعة واجب لمن لم يجد الهدي، قال اللّه تبارك و تعالى: فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَ سَبْعَةٍ إِذا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كامِلَةٌ[[375]](#footnote-375).

و صوم جزاء الصيد واجب، قال اللّه تبارك و تعالى: وَ مَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّداً فَجَزاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْياً بالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعامُ مَساكِينَ أَوْ عَدْلُ ذلِكَ صِياماً[[376]](#footnote-376)»[[377]](#footnote-377).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) النساء (4): 92.

(2) الظهار: أن يقول الرجل لزوجته: أنت عليّ كظهر امّي.

(3) المجادلة (58): 3- 4.

(4) المائدة (5): 89.

(5) البقرة (2): 96.

(6) البقرة (2): 196.

(7) المائدة (5): 95.

(8) المقنعة، الشيخ المفيد: 363.

ص:176

ثمّ قال (عليه السّلام): «أو تدري كيف يكون عدل ذلك صياما يا زهريّ؟» فقال: لا أدري، قال (عليه السّلام): «تقوّم الصيد قيمة ثمّ تفضي تلك القيمة على البرّ، ثمّ يكال ذلك البرّ أصواعا، فيصوم لكلّ نصف صاع يوما.

و صوم النذر واجب، و صوم الاعتكاف واجب‏[[378]](#footnote-378).

و أمّا الصوم الحرام فصوم يوم الفطر، و يوم الأضحى، و ثلاثة أيام من أيام التشريق‏[[379]](#footnote-379) و صوم يوم الشكّ امرنا به و نهينا عنه، امرنا أن نصومه من شعبان و نهينا أن ينفرد الرجل بصيامه في اليوم الذي يشكّ فيه الناس».

و التفت الزهري إلى الإمام (عليه السّلام) قائلا: جعلت فداك فإن لم يكن صام من شعبان شيئا كيف يصنع؟ قال (عليه السّلام): «ينوي ليلة الشك أنّه صائم من شعبان، فإن كان من شهر رمضان أجزأ عنه، و إن كان من شعبان لم يضرّ».

و أشكل الزهري على الإمام: كيف يجزي صوم تطوع عن فريضة؟

فأجابه الإمام (عليه السّلام): «لو أنّ رجلا صام يوما من شهر رمضان تطوعا و هو لا يدري و لا يعلم أنّه من شهر رمضان ثمّ علم بعد ذلك أجزأ عنه، لأنّ الفرض إنّما وقع على اليوم بعينه».

ثمّ استأنف الإمام حديثه في بيان أقسام الصوم قائلا:

«و صوم الوصال حرام‏[[380]](#footnote-380)، و صوم الصمت حرام‏[[381]](#footnote-381)، و صوم النذر للمعصية حرام، و صوم الدهر حرام.

و أمّا الصوم الذي صار صاحبه فيه بالخيار فصوم يوم الجمعة و الخميس و الاثنين‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) الاعتكاف إنّما يجب بعد مضي يومين منه فيتعيّن اليوم الثالث، و كذلك يجب بالنذر و شبهه.

(2) أيام التشريق: هي أيام منى و هي الحادي عشر و الثاني عشر و الثالث عشر بعد يوم النحر.

(3) صوم الوصال: و هو أن يصوم الليل و النهار، و حرمته حرمة تشريعية.

(4) صوم الصمت: هو أن يمسك الإنسان فيه عن الكلام، و قد كان الكلام محرّما على الصائم في الشرائع السابقة، كما أعلن القرآن ذلك في قصة مريم، قال تعالى: إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا إلّا أنّه نسخ في الشريعة الإسلامية المقدسة.

ص:177

و صوم الأيام البيض‏[[382]](#footnote-382) و صوم ستة أيام من شوال بعد شهر رمضان و يوم عرفة و يوم عاشوراء، كلّ ذلك صاحبه فيه بالخيار، إن شاء صام و إن شاء أفطر.

و أمّا صوم الإذن فإنّ المرأة لا تصوم تطوّعا إلّا بإذن زوجها، و العبد لا يصوم تطوّعا إلّا بإذن سيّده، و الضيف لا يصوم تطوّعا إلّا بإذن مضيّفه، قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله): فمن نزل على قوم فلا يصوم تطوّعا إلّا بإذنهم.

و أمّا صوم التأديب فإنّه يؤمر الصبيّ إذا راهق تأديبا و ليس بفرض، و كذلك من أفطر لعلّة أول النهار، ثمّ قوي بعد ذلك أمر بالإمساك بقية يومه تأديبا، و ليس بفرض، و كذلك المسافر إذا أكل من أول النهار ثمّ قدم أهله أمر بالإمساك بقية يومه تأديبا و ليس بفرض.

و أمّا صوم الإباحة فمن أكل أو شرب أو تقيّأ من غير تعمّد أباح اللّه ذلك و أجزأ عنه صومه.

و أمّا صوم السفر و المرض فإنّ العامّة اختلفت فيه، فقال قوم: يصوم، و قال قوم: لا يصوم، و قال قوم: إن شاء صام و إن شاء أفطر، و أمّا نحن فنقول: يفطر في الحالتين جميعا، فإن صام في السفر أو في حال المرض فعليه القضاء في ذلك، لأنّ اللّه عزّ و جلّ يقول:

فَمَنْ كانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلى‏ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ...[[383]](#footnote-383)».

و انتهى هذا البحث الفقهي الذي ألقاه الإمام على العلماء و الفقهاء، و قد كشف عن مدى إحاطة الإمام بأحكام الشريعة و فروع الفقه، فقد فرّع على الصوم هذه الفروع المهمّة التي غفل عنها العلماء، و من الجدير بالذكر أنّ فقهاء الإمامية استندوا إلى هذه الرواية في فتاواهم بأحكام الصوم.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) الأيام البيض: و هي الثالث عشر و الرابع عشر و الخامس عشر، و سمّيت لياليها بيضا لأنّ القمر يطلع فيها من أولها الى آخرها. جاء ذلك في مجمع البحرين (مادة: بيض).

(2) فروع الكافي: 1/ 185، الخصال: 501- 504، تفسير القمّي: 172- 175، المقنعة: 58، التهذيب:

1/ 435.

ص:178

حقائق علمية في الأدعية السجّاديّة:

بالرغم من أنّ الصحيفة السجادية وظّفت أدعيتها لتربية الإنسان و ترشيد حركته الفردية و الاجتماعية و لكنّها تضمّنت جملة من الحقائق العلمية التي تنبئ عن إحاطة الإمام بالحقائق العلمية و شموخ مقامه العلمي- كما تضمّنت خطب الإمام أمير المؤمنين (عليه السّلام) و دعاء عرفة للإمام الحسين (عليه السّلام) قسما كبيرا من العلوم و المعارف- فيما يرتبط بتركيبة الإنسان الجسمية و كيفية خلقه أو كيفية خلق أنواع الكائنات الاخرى الأرضية و السماوية.

قال (عليه السّلام): «سبحانك تعلم وزن السماوات، سبحانك تعلم وزن الأرضين، سبحانك تعلم وزن الشمس و القمر، سبحانك تعلم وزن الظلمة و النور، سبحانك تعلم وزن الفي‏ء و الهواء»[[384]](#footnote-384).

كلّ ذلك في عصر لم تكن مثل هذه المفاهيم مطروحة في الأوساط العلمية في دنيا الإسلام أو غيرها.

و أشار (عليه السّلام) إلى إمكانية وجود الجراثيم في المياه و الأطعمة في دعائه لأهل الثغور، داعيا على الأعداء:

«اللهمّ و امزج مياههم بالوباء، و أطعمتهم بالأدواء»[[385]](#footnote-385).

و تجد في كثير من أدعيته (عليه السّلام) إشارات واضحة إلى أمثال هذه الحقائق العلمية.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) الدعاء 51 من الصحيفة الثانية التي جمعها الشيخ الحرّ العاملي.

(2) دعاءه لأهل الثغور في الصحيفة الكاملة أو الجامعة.

ص:179

أدب الإمام زين العابدين (عليه السّلام):

إنّ الإمام السجّاد توفّر على نتاج فنّيّ ضخم يجي‏ء- من حيث الكمّ- بعد الإمام عليّ (عليه السّلام) كما يجي‏ء- من حيث الكيف- متميّزا بسمات خاصة، و في مقدمة ذلك أدب الدعاء الذي منحه السجاد (عليه السّلام) خصائص فكرية و فنّيّة تفرّد بها[[386]](#footnote-386).

اتّجه الإمام في أدبه الخاصّ إلى نقد الأوضاع المنحرفة، و إلى بناء الشخصية الإسلامية في المستويين الفردي و الإجتماعي، بحيث يمكن القول بأنّ أدبه كان تجسيدا للحركة الإسلامية مقابل الأدب الدنيوي الذي بدأ ينحرف مع انحرافات السلطة، و ينحدر إلى ما هو عابث و مظلم و منحرف‏[[387]](#footnote-387).

و جاء في الصحيفة السجّادية الجامعة نقلا عن الأصمعيّ أنّه قال: كنت أطوف حول الكعبة ليلة، فإذا شابّ ظريف الشمائل و عليه ذؤابتان و هو متعلّق بأستار الكعبة و يقول: «نامت العيون و غارت النجوم و أنت الملك الحيّ القيّوم، غلّقت الملوك أبوابها و أقامت عليها حرّاسها، و بابك مفتوح للسائلين، جئتك لتنظر إليّ برحمتك يا أرحم الراحمين».

ثم أنشأ يقول:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| يا من يجيب دعاء المضطرّ في الظلم‏ |  | يا كاشف الضرّ و البلوى مع السقم‏ |
| قد نام و فدك حول البيت قاطبة |  | و أنت وحدك يا قيّوم لم تنم‏ |
| أدعوك ربّ دعاء قد أمرت به‏ |  | فارحم بكائي بحقّ البيت و الحرم‏ |
| إن كان عفوك لا يرجوه ذو سرف‏ |  | فمن يجود على العاصين بالنعم؟ |
|  |  |  |

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1 و 2) تأريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي: 353.

ص:180

قال: فاقتفيته فإذا هو زين العابدين (عليه السّلام).

كما جاء فيها عن طاووس اليماني أنّه قال: رأيت في جوف الليل رجلا متعلّقا بأستار الكعبة و هو يقول:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| «ألا يا أيّها المأمول في كلّ حاجة |  | شكوت إليك الضرّ فاسمع شكايتي‏ |
| ألا يا رجائي أنت كاشف كربتي‏ |  | فهب لي ذنوبي كلّها و اقض حاجتي‏ |
| فزادي قليل لا أراه مبلّغي‏ |  | أللزاد أبكي أم لبعد مسافتي‏ |
| أتيت بأعمال قباح ردية |  | فما في الورى خلق جنى كجنايتي‏ |
| أتحرقني في النار يا غاية المنى‏ |  | فأين رجائي منك، أين مخافتي؟ |
|  |  |  |

قال: فتأمّلته فإذا هو عليّ بن الحسين (عليهما السّلام).

و من أدبه المنظوم أيضا ما ذكره أحمد فهمي محمد في كتاب الإمام زين العابدين عن فضل أهل البيت (عليهم السّلام) و مكانتهم:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| لنحن على الحوض روّاده‏ |  | نذود و نسقي و راده‏ |
| و ما فاز من فاز إلّا بنا |  | و ما خاب من حبّنا زاده‏ |
| و من سرّنا نال منّا السرور |  | و من ساءنا ساء ميلاده‏ |
| و من كان غاصبنا حقّنا |  | فيوم القيامة ميعاده‏ |
|  |  |  |

احتجاجات الإمام زين العابدين (عليه السّلام):

إنّ فن الاحتجاج و المناظرة العلمية فنّ جليل لما ينبغي أن يتمتّع به المناظر من مقدرة علمية و إحاطة و دقّة و لياقة أدبية.

و قد تميّز أئمّة أهل البيت صلوات اللّه عليهم أجمعين بهذا الفنّ، و استطاعوا من خلال هذا المجال إفحام خصومهم و إثبات جدارتهم العلمية بنحو لا يدع مجالا للريب في أنّهم مؤيّدون بتأييد ربّاني، و كما عبّر بعض‏

ص:181

أعدائهم: أنّهم أهل بيت قد زقّوا العلم زقّا.

و قد جمع العلّامة الطبرسي جملة من احتجاجات المعصومين الأربعة عشر: الرسول (صلّى اللّه عليه و آله) و الزهراء (عليها السّلام) و الأئمّة الاثني عشر (عليهم السّلام) في كتابه المعروف بالاحتجاج، و نشير هنا إلى بعض احتجاجات الإمام زين العابدين (عليه السّلام).

1- جاء رجل من أهل البصرة إلى عليّ بن الحسين (عليه السّلام) فقال:

يا عليّ بن الحسين! إنّ جدّك عليّ بن أبي طالب قتل المؤمنين، فهملت عينا عليّ بن الحسين دموعا حتى امتلأت كفّه منها، ثمّ ضرب بها على الحصى، ثم قال:

«يا أخا أهل البصرة، لا و اللّه ما قتل عليّ مؤمنا، و لا قتل مسلما، و ما أسلم القوم و لكن استسلموا و كتموا الكفر و أظهروا الإسلام، فلمّا وجدوا على الكفر أعوانا أظهروه، و قد علمت صاحبة الجدب و المستحفظون من آل محمّد (صلّى اللّه عليه و آله) أنّ أصحاب الجمل و أصحاب صفّين و أصحاب النهروان لعنوا على لسان النبيّ الامّي، و قد خاب من افترى».

فقال شيخ من أهل الكوفة: يا عليّ بن الحسين! إنّ جدّك كان يقول:

«إخواننا بغوا علينا».

فقال عليّ بن الحسين (عليه السّلام): «أما تقرأ كتاب اللّه‏ وَ إِلى‏ عادٍ أَخاهُمْ هُوداً\* فهم مثلهم أنجى اللّه عزّ و جلّ هودا و الذين معه و أهلك عادا بالريح العقيم»[[388]](#footnote-388).

2- و عن أبي حمزة الثمالي قال: دخل قاض من قضاة أهل الكوفة على عليّ بن الحسين (عليه السّلام) فقال له: جعلني اللّه فداك، أخبرني عن قول اللّه عز و جل: وَ جَعَلْنا بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بارَكْنا فِيها قُرىً ظاهِرَةً وَ قَدَّرْنا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) الاحتجاج للطبرسي: احتجاجات الإمام زين العابدين (عليه السّلام).

ص:182

فِيها لَيالِيَ وَ أَيَّاماً آمِنِينَ‏[[389]](#footnote-389).

قال له (عليه السّلام): «ما يقول الناس فيها قبلكم؟».

قال: يقولون إنّها مكّة.

فقال (عليه السّلام): «و هل رأيت السرق في موضع أكثر منه بمكّة».

قال: فما هو؟

قال (عليه السّلام): «إنّما عنى الرجال».

قال: و أين ذلك في كتاب اللّه؟

فقال (عليه السّلام): «أو ما تسمع إلى قوله عز و جل: وَ كَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّها وَ رُسُلِهِ‏[[390]](#footnote-390) و قال: وَ تِلْكَ الْقُرى‏ أَهْلَكْناهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا[[391]](#footnote-391) و قال: وَ سْئَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيها وَ الْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنا فِيها[[392]](#footnote-392) أفيسأل القرية أو الرجال او العير؟

قال: و تلا عليه آيات في هذا المعنى.

قال: جعلت فداك! فمن هم؟

قال: نحن هم.

فقال (عليه السّلام): «أو ما تسمع إلى قوله: سِيرُوا فِيها لَيالِيَ وَ أَيَّاماً آمِنِينَ‏؟».

قال (عليه السّلام): «آمنين من الزيغ»[[393]](#footnote-393).

4- و روي: أنّ زين العابدين (عليه السّلام) مرّ بالحسن البصري و هو يعظ الناس بمنى، فوقف (عليه السّلام) عليه ثم قال:

«أمسك، أسألك عن الحال التي أنت عليها مقيم، أترضاها لنفسك فيما

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) سبأ (34): 18.

(2) الطلاق (65): 8.

(3) الكهف (18): 59.

(4) يوسف (12): 82.

(5) الاحتجاج 2: احتجاجات الإمام زين العابدين (عليه السّلام).

ص:183

بينك و بين اللّه إذا نزل بك غدا؟».

قال: لا.

قال: «أفتحدّث نفسك بالتحوّل و الانتقال عن الحال التي لا ترضاها لنفسك إلى الحال التي ترضاها؟» قال: فأطرق مليّا ثم قال: إنّي أقول ذلك بلا حقيقة.

قال: «أفترجو نبيّا بعد محمّد (صلّى اللّه عليه و آله) يكون لك معه سابقة؟».

قال: لا.

قال: «أفترجو دارا غير الدار التي أنت فيها ترد اليها فتعمل فيها؟».

قال: لا.

قال: «أفرأيت أحدا به مسكة عقل رضي لنفسه من نفسه بهذا؟ إنّك على حال لا ترضاها و لا تحدّث نفسك بالانتقال إلى حال ترضاها على حقيقة، و لا ترجو نبيّا بعد محمّد، و لا دارا غير الدار التي أنت فيها فترد إليها فتعمل فيها، و أنت تعظ الناس»، قال: فلمّا ولّى (عليه السّلام) قال الحسن البصري: من هذا؟

قالوا: عليّ بن الحسين.

قال: أهل بيت علم، فما رئي الحسن البصري بعد ذلك يعظ الناس‏[[394]](#footnote-394).

5- و عن أبي حمزة الثمالي قال: سمعت عليّ بن الحسين (عليه السّلام) يحدّث رجلا من قريش قال:

لمّا تاب اللّه على آدم واقع حوّاء و لم يكن غشيها منذ خلق و خلقت إلّا في الأرض، و ذلك بعد ما تاب اللّه عليه، قال: و كان آدم يعظّم البيت و ما حوله من حرمة البيت، فكان إذا أراد أن يغشى حوّاء خرج من الحرم و أخرجها معه، فإذا جاز الحرم غشيها في الحلّ، ثمّ يغتسلان إعظاما منه للحرم، ثمّ يرجع إلى فناء البيت.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) الاحتجاج للطبرسي: احتجاجات الإمام زين العابدين (عليه السّلام).

ص:184

قال: فولد لآدم من حوّاء عشرون ذكرا و عشرون انثى، فولد له في كلّ بطن ذكر و انثى، فأول بطن ولدت حواء «هابيل» و معه جارية يقال لها: «أقليما»، قال: و ولدت في البطن الثاني «قابيل» و معه جارية يقال لها: «لوزا»، و كانت لوزا أجمل بنات آدم، (قال):

فلمّا أدركوا خاف عليهم آدم الفتنة فدعاهم إليه فقال: اريد أن انكحك يا هابيل لوزا، و انكحك يا قابيل أقليما.

قال قابيل: ما أرضى بهذا، أتنكحني أخت هابيل القبيحة، و تنكح هابيل اختي الجميلة؟

قال: فأنا أقرع بينكما، فإن خرج سهمك يا قابيل على لوزا و خرج سهمك يا هابيل على أقليما زوّجت كلّ واحد منكما التي خرج سهمه عليها، قال: فرضيا بذلك فاقترعا، قال:

فخرج سهم هابيل على لوزا اخت قابيل، و خرج سهم قابيل على أقليما اخت هابيل، قال:

فزوّجهما على ما خرج لهما من عند اللّه، قال: ثمّ حرّم اللّه نكاح الأخوات بعد ذلك».

قال: فقال له القرشي: فأولداهما؟

قال: نعم.

قال: فقال القرشي: فهذا فعل المجوس اليوم!

قال: فقال عليّ بن الحسين: «إنّ المجوس إنّما فعلوا ذلك بعد التحريم من اللّه».

ثمّ قال له عليّ بن الحسين (عليه السّلام): «لا تنكر هذا، إنّما هي الشرايع جرت، أليس اللّه قد خلق زوجة آدم منه ثمّ أحلّها له؟! فكان ذلك شريعة من شرايعهم، ثمّ أنزل اللّه التحريم بعد ذلك»[[395]](#footnote-395).

6- روي عن أبي جعفر الباقر (عليه السّلام) قال: «لمّا قتل الحسين بن عليّ (عليه السّلام) أرسل محمّد بن الحنفية إلى عليّ بن الحسين (عليه السّلام) فخلا به ثم قال:

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) الاحتجاج: احتجاجات الإمام زين العابدين (عليه السّلام).

ص:185

يابن أخي! قد علمت أنّ رسول اللّه كان جعل الوصيّة و الإمامة من بعده لعليّ بن أبي طالب (عليه السّلام) ثمّ إلى الحسن، ثمّ الى الحسين، و قد قتل أبوك (رضى اللّه عنه) و صلّي عليه و لم يوص، و أنا عمّك و صنو أبيك، و أنا في سنّي و قدمتي أحقّ بها منك في حداثتك، فلا تنازعني الوصيّة و الإمامة و لا تخالفني.

فقال له عليّ بن الحسين (عليه السّلام): «اتق اللّه و لا تدّع ما ليس لك بحقّ، إنّي أعظك أن تكون من الجاهلين، يا عم! إنّ أبي صلوات اللّه عليه أوصى إليّ قبل أن يتوجه الى العراق، و عهد إليّ في ذلك قبل أن يستشهد بساعة، و هذا سلاح رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله) عندي، فلا تعرض لهذا فإنّي أخاف عليك بنقص العمر و تشتت الحال، و إنّ اللّه تبارك و تعالى أبى إلّا أن يجعل الوصيّة و الإمامة إلّا في عقب الحسين، فإن أردت أن تعلم فانطلق بنا إلى الحجر الأسود حتى نتحاكم إليه و نسأله عن ذلك».

قال الباقر (عليه السّلام): «و كان الكلام بينهما و هما يومئذ بمكّة، فانطلقا حتى أتيا الحجر الأسود، فقال عليّ بن الحسين (عليه السّلام) لمحمّد:

إبدأ فابتهل إلى اللّه و اسأله أن ينطق لك الحجر ثمّ سله، فابتهل محمّد في الدعاء و سأل اللّه ثمّ دعا الحجر فلم يجبه، فقال عليّ بن الحسين (عليه السّلام):

«أما إنّك يا عمّ لو كنت وصيّا و إماما؛ لأجابك».

فقال له محمّد: فادع أنت يابن أخي، فدعا اللّه عليّ بن الحسين (عليه السّلام) بما أراد ثمّ قال: «أسألك بالذي جعل فيك ميثاق الأنبياء و ميثاق الأوصياء و ميثاق الناس أجمعين لمّا أخبرتنا بلسان عربيّ مبين من الوصيّ و الإمام بعد الحسين بن عليّ»، فتحرّك الحجر حتى كاد أن يزول عن موضعه، ثمّ أنطقه اللّه بلسان عربيّ مبين فقال:

اللّهمّ إنّ الوصية و الإمامة بعد الحسين بن عليّ بن أبي طالب إلى عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، و ابن فاطمة بنت رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله)»، فانصرف محمّد و هو يتولّى‏

ص:186

عليّ بن الحسين (عليه السّلام)[[396]](#footnote-396).

و عن جعفر بن محمّد عن أبيه عن جدّه عليّ بن الحسين (عليهم السّلام) قال:

«نحن أئمّة المسلمين، و حجج اللّه على العالمين، و سادة المؤمنين، و قادة الغرّ المحجّلين، و موالي المؤمنين، و نحن أمان لأهل الأرض، كما أنّ النجوم أمان لأهل السماء، و نحن الذين بنا يمسك السماء أن تقع على الأرض إلّا بإذنه، و بنا يمسك الأرض أن تميد بأهلها، و بنا ينزل الغيث، و ينشر الرحمة، و يخرج بركات الأرض و لو لا ما في الأرض منّا؛ لساخت الأرض بأهلها».

ثمّ قال: «و لم تخل الأرض منذ خلق اللّه آدم من حجّة للّه فيها، ظاهر مشهور أو غائب مستور، و لا تخلو إلى أن تقوم الساعة من حجّة اللّه، و لو لا ذلك لم يعبد اللّه»[[397]](#footnote-397).

من غرر حكم الإمام (عليه السّلام) و مواعظه:

قد عرفت أنّ الإمام زين العابدين (عليه السّلام) لم يترك مدينة جدّه الرسول (صلّى اللّه عليه و آله) بل بقي مرابطا فيها مشغولا بتربية الامّة تربية فكرية و أخلاقية، و كان كلّ جمعة يعظهم و يحذّرهم من الدنيا و حبائلها و مكائدها التي جعلت كثيرا من أهل عصره في أسرها، و ممّا قاله في التحذير من الدنيا و التزهيد فيها[[398]](#footnote-398):

1- «كفانا اللّه و إيّاكم كيد الظالمين و بغي الحاسدين و بطش الجبّارين، أيّها المؤمنون لا يفتنّنكم الطواغيت و أتباعهم من أهل الرغبة في الدنيا المائلون إليها، المفتونون بها، المقبلون عليها و على حطامها[[399]](#footnote-399) الهامد[[400]](#footnote-400) و هشيمها البائد غدا، و احذروا ما حذّركم اللّه منها،

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1 و 2) الاحتجاج: احتجاجات الإمام زين العابدين (عليه السّلام).

(3) تحف العقول لابن شعبة الحرّاني: 182- 184/ ط. مؤسسة الأعلمي- بيروت.

(4) الحطام: القشر، و المعنى: أنّ ما فيها من مال كثير أو قليل يغنى و لا يبقى.

(5) الهامد: اليابس.

ص:187

و ازهدوا فيما زهّدكم اللّه فيه منها، و لا تركنوا إلى ما في هذه الدنيا ركون من أعدّها دارا و قرارا[[401]](#footnote-401)، و باللّه إنّ لكم ممّا فيها عليها دليلا من زينتها و تصريف أيامها[[402]](#footnote-402) و تغيير انقلابها و مثلاتها و تلاعبها بأهلها، إنّها لترفع الخميل و تضع الشريف، و تورد النار أقواما غدا، ففي هذا معتبر و مختبر و زاجر لمنتبه».

2- الوصيّة بالتقوى و الإنابة الى اللّه تعالى و التحذير من معونة الظلمة:

«فاتقوا اللّه و استقبلوا من إصلاح أنفسكم و طاعة اللّه و طاعة من تولّونه فيها، لعلّ نادما قد ندم على ما قد فرّط بالأمس في جنب اللّه، و ضيّع من حقّ اللّه، و استغفروا اللّه و توبوا إليه، فإنّه يقبل التوبة، و يعفو عن السيئات، و يعلم ما تفعلون، و إيّاكم و صحبة العاصين و معونة الظالمين و مجاورة الفاسقين، احذروا فتنتهم، و تباعدوا من ساحتهم».

3- موالاة أولياء اللّه عزّ و جلّ:

«و أعلموا أنّه من خالف أولياء اللّه و دان بغير دين اللّه و استبدّ بأمره دون أمر وليّ اللّه في نار تلتهب، تأكل أبدانا قد غابت عنها أرواحها، و غلبت عليها شقوتها، فهم موتى لا يجدون حرّ النار، فاعتبروا يا اولي الأبصار، و احمدوا اللّه على ما هداكم، و اعلموا أنّكم لا تخرجون من قدرة اللّه إلى غير قدرته، و سيرى اللّه عملكم ثم تحشرون، فانتفعوا بالعظة، و تأدّبوا بآداب الصالحين».

4- «إنّ علامة الزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة تركهم كلّ خليط[[403]](#footnote-403) و خليل، و رفضهم كلّ صاحب لا يريد ما يريدون. ألا و إنّ العامل لثواب الآخرة هو الزاهد في عاجل زهرة الدنيا، الآخذ للموت اهبته، الحاثّ على العمل قبل فناء الأجل و نزول ما لا بدّ من‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) القرار: ما قرّ فيه أي فعل فيه السكن أو السكون.

(2) تصريف أيامها: تحوّلها من وجه إلى وجه.

(3) خليط: مخالط، مجالس.

ص:188

لقائه، و تقديم الحذر قبل الحين، فإنّ اللّه عزّ و جلّ يقول: حَتَّى إِذا جاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قالَ رَبِّ ارْجِعُونِ\* لَعَلِّي أَعْمَلُ صالِحاً فِيما تَرَكْتُ‏[[404]](#footnote-404)، فلينزل أحدكم اليوم نفسه في هذه الدنيا كمنزلة المكرور إلى الدنيا، النادم على ما فرّط فيها من العمل الصالح ليوم فاقته».

5- «و اعلموا عباد اللّه أنّه من خاف البيات تجافى عن الوساد، و امتنع من الرقاد، و أمسك عن بعض الطعام و الشراب من خوف سلطان أهل الدنيا، فكيف؟ و يحك يابن آدم من خوف بيات سلطان ربّ العزّة، و أخذه الأليم، و بياته لأهل المعاصي و الذنوب مع طوارق المنايا بالليل و النهار، فذلك البيات الذي ليس منه منجى، و لا دونه ملتجأ و لا منه مهرب، فخافوا اللّه أيّها المؤمنون من البيات خوف أهل التقوى، فإنّ اللّه يقول: ذلِكَ لِمَنْ خافَ مَقامِي وَ خافَ وَعِيدِ[[405]](#footnote-405)، فاحذروا زهرة الحياة الدنيا و غرورها و شرورها، و تذكّروا ضرر عاقبة الميل إليها، فإنّ زينتها فتنة و حبّها خطيئة.

6- «فاتّقوا اللّه عباد اللّه و تفكّروا، و اعملوا لما خلقتم له فإنّ اللّه لم يخلقكم عبثا و لم يترككم سدى، قد عرّفكم نفسه، و بعث إليكم رسوله، و أنزل عليكم كتابه، فيه حلاله و حرامه و حججه و أمثاله، فاتّقوا اللّه فقد احتجّ عليكم ربّكم فقال: أَ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ\* وَ لِساناً وَ شَفَتَيْنِ\* وَ هَدَيْناهُ النَّجْدَيْنِ‏[[406]](#footnote-406)، فهذه حجّة عليكم، فاتّقوا اللّه ما استطعتم، فإنّه لا قوة إلّا باللّه و لا تكلان إلّا عليه، و صلّى اللّه على محمد نبيّه و آله».

7- «إنّ الدنيا قد ارتحلت مدبرة، و إنّ الآخرة قد ترحّلت مقبلة، و لكلّ واحد منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة و لا تكونوا من أبناء الدنيا، فكونوا من الزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة، لأنّ الزاهدين في الدنيا اتّخذوا الأرض بساطا، و التراب فراشا، و المدر وسادا، و الماء طيبا، و قرضوا المعاش من الدنيا تقريضا، اعلموا أنّه من اشتاق إلى الجنّة

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) المؤمنون (23): 99 و 100.

(2) ابراهيم (14): 14.

(3) البلد (90): 8- 10.

ص:189

سارع الى الحسنات و سلا عن الشهوات، و من أشفق من النار؛ رجع عن المحرمات، و من زهد في الدنيا هانت عليه مصائبها و لم يكرهها، و إنّ للّه عزّ و جلّ لعبادا قلوبهم معلّقة بالآخرة و ثوابها و هم كمن رأى أهل الجنّة في الجنّة مخلّدين منعّمين، و كمن رأى أهل النار في النار معذّبين، شرورهم مأمونة، و قلوبهم محزونة، أنفسهم عفيفة، و حوائجهم خفيفة، صبروا أيّاما قليلة فصاروا بعقبى راحة طويلة، أمّا الليل فصافّون أقدامهم، تجري دموعهم على خدودهم، و هم يجأرون إلى ربّهم‏[[407]](#footnote-407)، يسعون في فكاك رقابهم، و أمّا النهار فحلماء علماء بررة أتقياء، كأنهم القداح‏[[408]](#footnote-408) قد براهم الخوف من العبادة، ينظر إليهم الناظر فيقول: مرضى، و ما بالقوم من مرض أم خولطوا فقد خالط القوم أمر عظيم من ذكر النار و ما فيها».

و من غرر كلماته (عليه السّلام)[[409]](#footnote-409):

«الخير كلّه صيانة الإنسان نفسه».

«الرضى بمكروه القضاء أرفع درجات اليقين».

«من كرمت عليه نفسه هانت عليه الدنيا».

«من قنع بما قسم اللّه له فهو من أغنى الناس».

«لا يقلّ عمل مع تقوى، و كيف يقلّ ما يتقبّل»؟

«قيل له: من أعظم الناس خطرا[[410]](#footnote-410)؟ فقال (عليه السّلام): «من لم ير الدنيا خطرا لنفسه».

و قال بحضرته رجل: اللّهمّ أغنني عن خلقك، فقال (عليه السّلام): «ليس هكذا، إنّما

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) يجأرون إلى ربّهم: يتضرّعون اليه تعالى.

(2) القداح: مفردها قدح و هو السهم قبل أن ينصل و يراش.

(3) كل ما جاء تحت هذا العنوان نقلناه عن تحف العقول 200- 205.

(4) خطرا: قدرا و شرفا.

ص:190

الناس بالناس، و لكن قل: اللّهمّ أغنني عن شرار خلقك».

«اتّقوا الكذب، الصغير منه، و الكبير، في كلّ جدّ و هزل، فإنّ الرجل إذا كذب في الصغير اجترأ على الكبير».

«كفى بنصر اللّه لك أن ترى عدوّك يعمل بمعاصي اللّه فيك».

و قال له رجل: ما الزهد؟ فقال (عليه السّلام): «الزهد عشرة أجزاء، فأعلى درجات الزهد أدنى درجات الورع، و أعلى درجات الورع أدنى درجات اليقين، و أعلى درجات اليقين أدنى درجات الرضا، و إنّ الزهد في آية من كتاب اللّه: لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلى‏ ما فاتَكُمْ وَ لا تَفْرَحُوا بِما آتاكُمْ‏»[[411]](#footnote-411).

«طلب الحوائج إلى الناس مذلّة للحياة و مذهبة للحياء و استخفاف بالوقار و هو الفقر الحاضر، و قلّة طلب الحوائج من الناس هو الغنى الحاضر».

«إنّ أحبّكم إلى اللّه أحسنكم عملا، و إنّ أعظمكم عند اللّه عملا أعظمكم فيما عند اللّه رغبة، و إنّ أنجاكم من عذاب اللّه أشدّكم خشية للّه، و إنّ أقربكم من اللّه أوسعكم خلقا، و إنّ أرضاكم عند اللّه أسبغكم‏[[412]](#footnote-412) على عياله، و إنّ أكرمكم على اللّه أتقاكم».

«يا بني، انظر خمسة فلا تصاحبهم و لا تحادثهم و لا ترافقهم في طريق، إيّاك و مصاحبة الكذّاب، فإنّه بمنزلة السراب يقرّب لك البعيد و يبعّد لك القريب، و إيّاك و مصاحبة الفاسق، فإنّه بايعك بأكلة أو أقلّ من ذلك، و إيّاك و مصاحبة البخيل، فإنّه يخذلك في ماله أحوج ما تكون إليه، و إيّاك و مصاحبة الأحمق، فإنّه يريد أن ينفعك فيضرّك، و إيّاك و مصاحبة القاطع لرحمه، فإنّي وجدته ملعونا في كتاب اللّه».

«إنّ المعرفة و كمال دين المسلم تركه الكلام فيما لا يعنيه، و قلة مرائه، و حلمه، و صبره، و حسن خلقه».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) الحديد (57): 23.

(2) أسبغكم: أوسعكم.

ص:191

«ابن آدم، إنّك لا تزال بخير ما كان لك واعظ من نفسك، و ما كانت المحاسبة من همّك، و ما كان الخوف لك شعارا، و الحذر لك دثارا[[413]](#footnote-413)، ابن آدم إنّك ميّت و مبعوث و موقوف بين يدي اللّه جلّ و عزّ، فأعدّ له جوابا».

«لا حسب لقرشيّ و لا لعربيّ إلّا بتواضع، و لا كرم إلّا بتقوى، و لا عمل إلّا بنيّة، و لا عبادة إلّا بالتفقه، ألا و إنّ أبغض الناس إلى اللّه من يقتدي بسنّة إمام و لا يقتدي بأعماله».

«المؤمن من دعائه على ثلاث: إمّا أن يدّخر له، و إمّا أن يعجّل له، و إمّا أن يدفع عنه بلاء يريد أن يصيبه».

«إنّ المنافق ينهى و لا ينتهي، و يأمر و لا يأتي، إذا قام إلى الصلاة اعترض، و إذا ركع ربض، و إذا سجد نقر، يمسي و همّه العشاء و لم يصم، و يصبح و همّه النوم و لم يسهر، و المؤمن خلط عمله بحلمه، يجلس ليعلم، و ينصت ليسلم، لا يحدّث بالأمانة للأصدقاء، و لا يكتم الشهادة للبعداء، و لا يعمل شيئا من الحقّ رياءا و لا يتركه حياءا، إن زكّي خاف ممّا يقولون، و يستغفر اللّه لما لا يعلمون، و لا يضرّه جهل من جهله».

«كم من مفتون بحسن القول فيه، و كم من مغرور بحسن الستر عليه»؟

«ربّ مغرور مفتون يصبح لاهيا ضاحكا، يأكل و يشرب و هو لا يدري لعلّه قد سبقت له من اللّه سخطة يصلى بها نار جهنم».

«إنّ من أخلاق المؤمن الإنفاق على قدر الإقتار، و التوسّع على قدر التوسّع، و إنصاف الناس من نفسه، و ابتداؤه إيّاهم بالسلام».

«ثلاث منجيات للمؤمن: كفّ لسانه عن الناس و اغتيابهم، و إشغاله نفسه بما ينفعه لآخرته و دنياه، و طول بكائه على خطيئته».

«نظر المؤمن في وجه أخيه المؤمن للمودّة و المحبة له عبادة».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) الدثار: ما يتغطّى به النائم.

ص:192

«ثلاث من كنّ فيه من المؤمنين كان في كنف اللّه‏[[414]](#footnote-414)، و أظلّه اللّه يوم القيامة في ظلّ عرشه، و آمنه من فزع اليوم الأكبر: من أعطى الناس من نفسه ما هو سائلهم لنفسه، و رجل لم يقدّم يدا و لا رجلا حتى يعلم أنّه في طاعة اللّه قدّمها أو في معصيته، و رجل لم يعب أخاه بعيب حتى يترك ذلك العيب من نفسه، و كفى بالمرء شغلا بعيبه لنفسه عن عيوب الناس».

«ما من شي‏ء أحبّ إلى اللّه بعد معرفته من عفّة بطن و فرج، و ما [من‏] شي‏ء أحبّ الى اللّه من أن يسأل».

«افعل الخير إلى كلّ من طلبه منك، فإن كان أهله فقد أصبت موضعه، و إن لم يكن بأهل كنت أنت أهله، و إن شتمك رجل عن يمينك ثم تحوّل إلى يسارك و اعتذر إليك فاقبل عذره».

«مجالس الصالحين داعية إلى الصلاح، و آداب العلماء زيادة في العقل، و طاعة ولاة الأمر تمام العزّ، و استنماء المال تمام المروّة، و إرشاد المستشير قضاء لحقّ النعمة، و كفّ الأذى من كمال العقل و فيه راحة للبدن عاجلا أو آجلا».

و كان عليّ بن الحسين (عليهما السّلام) إذا قرأ الآية: وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوها[[415]](#footnote-415) يقول: «سبحان من لم يجعل في أحد من معرفة نعمه إلّا المعرفة بالتقصير عن معرفتها، كما لم يجعل في أحد من معرفة إدراكه أكثر من العلم بأنّه لا يدركه، فشكر عزّ و جلّ معرفة العارفين بالتقصير عن معرفته، و جعل معرفتهم بالتقصير شكرا، كما جعل علم العالمين أنّهم لا يدركونه إيمانا، علما منه أنّه قدّر وسع العباد فلا يجاوزون ذلك».

«سبحان من جعل الاعتراف بالنعمة له حمدا، سبحان من جعل الاعتراف بالعجز عن الشكر شكرا».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) في كنف اللّه: في حرزه و رحمته.

(2) ابراهيم (14): 34.

ص:193

الفصل الثّاني رسالة الحقوق‏

تكفّلت رسالة الحقوق تنظيم أنواع العلاقات الفردية و الاجتماعية للإنسان في هذه الحياة بنحو يحقّق للفرد و المجتمع سلامة العلاقات، و يجمع لهما عوامل الاستقرار و الرقيّ و الازدهار.

«لقد نظر الإمام الحكيم (عليه السّلام) بعمق و شمول للإنسان، و درس جميع أبعاد حياته و علاقاته مع خالقه و نفسه و اسرته و مجتمعه و حكومته و معلّمه»[[416]](#footnote-416) و كلّ من يرتبط به أدنى ارتباط.

و يمكن أن نقول: إنّ تنظيم العلاقات الاجتماعية على أساس تعيين مجموعة الحقوق بشكل دقيق هو الرصيد الأول للنظام الاجتماعي الإسلامي، و هو المبنى المعقول للتشريعات الإسلامية عامّة، فإنّ الذي يفهم بعمق هذه الرسالة و يدرس بدقّة حقوق الخالق و حقوق المخلوقين بعضهم تجاه بعض يتسنّى له أن يفهم أسرار التشريع الإسلامي و فلسفة الأحكام التي جاءت بها الشريعة الإسلامية لتنظيم حياة الإنسان فردا و مجتمعا.

إنّ العدالة الاجتماعية أو الاقتصادية أو الإدارية لن تتحقّق ما لم يطبّق نظام الحقوق بشكل دقيق أوّلا، و تنظّم الأحكام و التشريعات على أساس تلك‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) حياة الإمام زين العابدين: 477.

ص:194

الحقوق، و فيما نعلم أنّ الإمام (عليه السّلام) قد سبق العلماء و القانونيين جميعا في دنيا الإسلام بل في دنيا الإنسان في هذا المضمار الذي على أساسه ترتكز اصول الأخلاق و التربية و نظم الاجتماع.

و قد كتب الإمام زين العابدين (عليه السّلام) هذه الرسالة العظيمة و اتحف بها بعض أصحابه، و رواها العالم الكبير ثقة الإسلام ثابت بن أبي صفيّة المعروف بأبي حمزة الثمالي تلميذ الإمام (عليه السّلام) كما رواها عنه بسنده المحدّث الصدوق في كتابه «الخصال» و ثقة الإسلام الكليني في «الكافي» و الحسن بن عليّ بن الحسين بن شعبة الحرّاني في «تحف العقول» و هي من المصادر القديمة الموثوقة.

و الإمام (عليه السّلام) قبل بيانه للحقوق يشير إلى أنّ هناك حقوقا محيطة بالإنسان، و لا بد له من معرفتها، ثمّ يبيّن أكبر الحقوق و هو ما يرتبط باللّه سبحانه بالنسبة لعبده، ثمّ يفرّع عليها حقوق الإنسان المفروضة من اللّه تجاه نفس الإنسان، فيبيّن أنواع علاقة الإنسان بنفسه من خلال المنظار الآلهي، ثمّ ينتهي الى أنواع العلاقة بين الإنسان و بيئته التي تشتمل على قيادة و مقودين و رعاة و رعية، مع بيانه لأنواع الأئمّة و المأمورين و درجاتهم، ثمّ يبيّن سائر العلاقات مع الأرحام و الاسرة و أعضائها، ثمّ من تشتمل عليه الاسرة من الموالي و الجواري، ثمّ سائر ذوي الحقوق كالمؤذّن و الإمام في الصلاة و الجليس و الشريك و الغريم و الخصم و المستشير و المشير و المستنصح و الناصح و السائل و المسؤول و الصغير و الكبير .. حتى ينتهي إلى من يشترك مع الإنسان في دينه من بني الإنسان، ثمّ حقوق من يشترك مع الإنسان في الإنسانية و في النظام السياسي الذي يخضع له و إن لم يكن من أهل ملّته و دينه.

ص:195

و فيما يلي نصّ الرسالة كما وردت في الخصال‏[[417]](#footnote-417):

عرض إجماليّ للحقوق:

«اعلم، أنّ للّه عزّ و جلّ عليك حقوقا محيطة بك في كلّ حركة تحرّكتها، أو سكنة سكنتها، أو حال حلتها، أو منزلة نزلتها، أو جارحة قلّبتها، أو آلة تصرّفت فيها، فأكبر حقوق اللّه تبارك و تعالى عليك ما أوجب عليك لنفسه من حقّه الذي هو أصل الحقوق، ثمّ ما أوجب اللّه عز و جل عليك لنفسك من قرنك إلى قدمك على اختلاف جوارحك، فجعل عزّ و جلّ للسانك عليك حقّا، و لسمعك عليك حقّا، و لبصرك عليك حقا، و ليدك عليك حقّا، و لرجلك عليك حقّا، و لبطنك عليك حقّا، و لفرجك عليك حقا، فهذه الجوارح السبع التي بها تكون الأفعال، ثمّ جعل عزّ و جلّ لأفعالك عليك حقوقا، فجعل لصلاتك عليك حقّا، و لصومك عليك حقّا، و لصدقتك عليك حقّا، و لهديك عليك حقّا، و لأفعالك عليك حقّا.

ثمّ تخرج الحقوق منك إلى غيرك من ذوي الحقوق الواجبة عليك، فأوجبها عليك حقوق أئمّتك، ثمّ حقوق رعيّتك، ثمّ حقوق رحمك، فهذه حقوق تتشعّب منها حقوق، فحقوق أئمّتك ثلاثة، أوجبها عليك حقّ سائسك بالسلطان، ثمّ حقّ سائسك بالعلم، ثمّ حقّ سائسك بالملك، و كلّ سائس إمام.

و حقوق رعيتك ثلاثة، أوجبها عليك حقّ رعيتك بالسلطان، ثمّ حقّ رعيتك بالعلم، فإنّ الجاهل رعية العالم، ثمّ حقّ رعيّتك بالملك من الأزواج و ما ملكت الأيمان، و حقوق رعيّتك كثيرة متّصلة بقدر اتّصال الرحم في‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) الخصال: 564 ط. مؤسسة النشر الإسلامي.

ص:196

القرابة، و أوجبها عليك حقّ امّك، ثمّ حقّ أبيك، ثمّ حقّ ولدك، ثمّ حقّ أخيك، ثمّ الأقرب فالأقرب و الأولى فالأولى، ثمّ حقّ مولاك المنعم عليك، ثمّ حقّ مولاك الجارية نعمته عليك‏[[418]](#footnote-418)، ثمّ حقّ ذوي المعروف لديك، ثمّ حقّ مؤذّنك لصلاتك، ثمّ حقّ إمامك في صلاتك، ثمّ حقّ جليسك، ثمّ حقّ جارك، ثمّ حقّ صاحبك، ثمّ حقّ شريكك، ثمّ حقّ مالك، ثمّ حقّ غريمك الذي تطالبه؟ ثمّ حقّ غريمك الذي يطالبك، ثمّ حقّ خليطك، ثمّ حقّ خصمك المدّعي عليك، ثمّ حقّ خصمك الذي تدّعي عليه، ثمّ حقّ مستشيرك، ثمّ حقّ المشير عليك، ثمّ حقّ مستنصحك، ثمّ حقّ الناصح لك، ثمّ حقّ من هو أكبر منك، ثمّ حقّ من هو أصغر منك، ثمّ حقّ سائلك، ثمّ حقّ من سألته، ثمّ حقّ من جرى لك على يديه مساءة بقول أو فعل عن تعمّد أو غير تعمّد، ثمّ حقّ أهل ملّتك عليك، ثمّ حقّ أهل ذمّتك، ثمّ الحقوق الجارية بقدر علل الأحوال و تصرّف الأسباب.

فطوبى لمن أعانه اللّه على قضاء ما أوجب عليه من حقوقه، و وفّقه لذلك و سدّده.

تفصيل الحقوق:

حق اللّه:

فأمّا حقّ اللّه الأكبر عليك: فأن تعبده لا تشرك به شيئا، فإذا فعلت بالإخلاص جعل لك على نفسه أن يكفيك أمر الدنيا و الآخرة.

حقّ النفس:

و حقّ نفسك عليك: أن تستعملها بطاعة اللّه عزّ و جلّ.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) و الظاهر تصحيفه، و الصواب كما سيأتي في تفصيله (عليه السّلام) هذه الحقوق (حقّ مولاك الجارية نعمتك عليه).

ص:197

حقوق الاعضاء:

1- و حقّ اللسان: إكرامه عن الخنى، و تعويده على الخير، و ترك الفضول التي لا فائدة لها، و البرّ بالناس، و حسن القول فيهم.

2- و حقّ السمع: تنزيهه عن سماع الغيبة، و سماع ما لا يحلّ سماعه.

3- و حقّ البصر: أن تغضّه عمّا لا يحلّ لك و تعتبر بالنظر به.

4- و حقّ يدك: أن لا تبسطها إلى ما لا يحلّ لك.

5- و حقّ رجليك: أن لا تمشي بهما إلى ما لا يحلّ إليك، فبهما تقف على الصراط، فانظر أن لا تزلّ بك فتردى في النار.

6- و حقّ بطنك: أن لا تجعله و عاء للحرام، و لا تزيد على الشبع.

7- و حقّ فرجك: أن تحصنه عن الزنا، و تحفظه من أن ينظر إليه.

حقوق الأفعال:

1- و حقّ الصلاة: أن تعلم أنّها وفادة إلى اللّه عزّ و جلّ و أنت فيها قائم بين يدي اللّه عزّ و جلّ، فإذا علمت ذلك قمت مقام العبد الذليل الحقير الراغب الراهب الراجي الخائف المستكين المتضرّع المعظّم لمن كان بين يديه بالسكون و الوقار، و تقبل عليها بقلبك، و تقيمها بحدودها و حقوقها.

2- و حقّ الحجّ: أن تعلم أنّه وفادة إلى ربّك، و فرار إليه من ذنوبك، و به قبول توبتك، و قضاء الفرض الذي أوجبه اللّه عليك.

3- و حقّ الصوم: أن تعلم أنّه حجاب ضربه اللّه على لسانك و سمعك و بصرك و بطنك و فرجك ليسترك به من النار، فإن تركت الصوم خرقت ستر اللّه عليك.

ص:198

4- و حقّ الصدقة: أن تعلم أنّها ذخرك عند ربّك عزّ و جلّ، و وديعتك التي لا تحتاج الإشهاد عليها، فإذا علمت ذلك كنت بما تستودعه سرّا أوثق منك بما تستودعه علانية، و تعلم أنّها تدفع البلايا و الأسقام عنك في الدنيا، و تدفع عنك النار في الآخرة.

5- و حقّ الهدى: أن تريد به وجه اللّه عزّ و جلّ، و لا تريد به خلقه، و لا تريد به إلّا التعرض لرحمة اللّه و نجاة روحك يوم تلقاه.

حقوق الأئمّة:

1- و حقّ السلطان: أن تعلم أنّك جعلت له فتنة، و أنّه مبتل فيك بما جعله اللّه عزّ و جلّ له عليك من السلطان، و أنّ عليك أن لا تتعرّض لسخطه فتلقى بيدك الى التهلكة، و تكون شريكا له فيما يأتي إليك من سوء.

2- و حقّ سائسك بالعلم: التعظيم له، و التوقير لمجلسه، و حسن الاستماع إليه، و الإقبال عليه، و أن لا ترفع عليه صوتك، و أن لا تجيب أحدا يسأله عن شي‏ء حتى يكون هو الذي يجيب، و لا تحدّث في مجلسه أحدا، و لا تغتاب عنده أحدا، و أن تدفع عنه إذا ذكر عندك بسوء، و أن تستر عيوبه، و تظهر مناقبه، و لا تجالس له عدوّا، و لا تعادي له وليّا، فإذا فعلت ذلك شهد لك ملائكة اللّه بأنّك قصدته و تعلّمت علمه للّه جلّ اسمه لا للناس.

3- و أمّا حقّ سائسك بالملك: فأن تطيعه و لا تعصيه إلّا فيما يسخط اللّه عزّ و جلّ، فإنّه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

حقوق الرعيّة:

1- و أمّا حقّ رعيّتك بالسلطان: فأن تعلم أنّهم صاروا رعيّتك لضعفهم‏

ص:199

و قوّتك، فيجب أن تعدل فيهم و تكون لهم كالوالد الرحيم، و تغفر لهم جهلهم، و لا تعاجلهم بالعقوبة، و تشكر اللّه عزّ و جلّ على ما آتاك من القوّة عليهم.

2- و أمّا حقّ رعيّتك بالعلم: فأن تعلم أنّ اللّه عز و جل إنّما جعلك قيّما لهم فيما آتاك من العلم، و فتح لك من خزائنه، فإن أحسنت في تعليم الناس و لم تخرق بهم و لم تفجر عليهم زادك اللّه من فضله، و إن أنت منعت النّاس علمك أو خرقت بهم عند طلبهم العلم منك كان حقّا على اللّه عزّ و جلّ أن يسلبك العلم و بهاءه، و يسقط من القلوب محلّك.

3- و أمّا حقّ الزوجة: فأن تعلم أنّ اللّه عزّ و جلّ جعلها لك سكنا و انسا، فتعلم أنّ ذلك نعمة من اللّه عليك، فتكرمها و ترفق بها، و إن كان حقّك عليها أوجب فإنّ لها عليك أن ترحمها، لأنّها أسيرك و تطعمها و تكسوها، فإذا جهلت عفوت عنها.

4- و أمّا حقّ مملوكك: فأن تعلم أنّه خلق ربّك و ابن أبيك و امّك و لحمك و دمك، لم تملكه لأنّك صنعته دون اللّه، و لا خلقت شيئا من جوارحه و لا أخرجت له رزقا، و لكنّ اللّه عزّ و جلّ كفاك ذلك، ثمّ سخّره لك و ائتمنك عليه و استودعك إيّاه، ليحفظ لك ما تأتيه من خير إليه فأحسن إليه كما أحسن اللّه إليك، و إن كرهته استبدلت به، و لم تعذّب خلق اللّه عزّ و جلّ، و لا قوّة إلّا باللّه.

حقوق الرحم:

1- و حقّ امّك: أن تعلم أنّها حملتك حيث لا يحتمل أحد أحدا، و أعطتك من ثمرة قلبها ما لا يعطي أحد أحدا، و وقتك بجميع جوارحها، و لم تبال أن تجوع و تطعمك، و تعطش و تسقيك، و تعرى و تكسوك، و تضحى و تظلّك، و تهجر النوم لأجلك، و وقتك الحرّ و البرد لتكون لها، فإنّك لا تطيق شكرها

ص:200

إلّا بعون اللّه تعالى و توفيقه.

2- و أمّا حقّ أبيك: فأن تعلم أنّه أصلك، و أنّه لو لاه لم تكن، فمهما رأيت في نفسك ممّا يعجبك فاعلم أنّ أباك أصل النعمة عليك فيه، فاحمد اللّه و اشكره على قدر ذلك، و لا قوّة إلّا باللّه.

3- و أمّا حقّ ولدك: فأن تعلم أنّه منك و مضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره و شرّه، و أنّك مسؤول عمّا وليته من حسن الأدب، و الدلالة على ربّه عزّ و جلّ، و المعونة له على طاعته، فاعمل في أمره عمل من يعلم أنّه مثاب على الإحسان إليه، معاقب على الإساءة إليه.

4- و أمّا حقّ أخيك: فأن تعلم أنّه يدك و عزّك و قوّتك، فلا تتّخذه سلاحا على معصية اللّه، و لا عدّة للظالم لخلق اللّه، و لا تدع نصرته على عدوّه و النصيحة له، فإن أطاع اللّه و إلّا فليكن اللّه أكرم عليك منه، و لا قوّة إلّا باللّه.

5- و أمّا حقّ مولاك المنعم عليك: فأن تعلم أنّه أنفق فيك ماله، و أخرجك من ذلّ الرقّ و وحشته إلى عزّ الحرية و انسها، فأطلقك من أسر الملكة، و فكّ عنك قيد العبودية، و أخرجك من السجن، و ملكك نفسك، و فرّغك لعبادة ربّك، و تعلم أنّه أولى الخلق بك في حياتك و موتك، و أنّ نصرته عليك واجبة بنفسك و ما احتاج إليه منك، و لا قوّة إلّا باللّه.

6- و أمّا حقّ مولاك الذي أنعمت عليه: فأن تعلم أنّ اللّه عزّ و جلّ جعل عتقك له وسيلة إليه، و حجابا لك من النار، و أنّ ثوابك في العاجل ميراثه إذا لم يكن له رحم مكافأة بما أنفقت من مالك و في الآجل الجنّة.

حقوق عامّة الناس و الأشياء:

1- و أمّا حقّ ذي المعروف عليك: فأن تشكره و تذكر معروفه و تكسبه‏

ص:201

المقالة الحسنة و تخلص له الدعاء فيما بينك و بين اللّه عز و جل، فإذا فعلت ذلك كنت قد شكرته سرّا و علانية، ثمّ إن قدرت على مكافأته يوما كافيته.

2- و أمّا حقّ المؤذّن: أن تعلم أنّه مذكّر لك ربّك عزّ و جلّ، وداع لك إلى حظّك، و عونك على قضاء فرض اللّه عليك، فاشكره على ذلك شكرك للمحسن إليك.

3- و أمّا حقّ إمامك في صلاتك: فأن تعلم أنّه قد تقلّد السفارة فيما بينك و بين ربّك عزّ و جلّ، و تكلّم عنك و لم تتكلّم عنه، و دعا لك و لم تدع له، و كفاك هول المقام بين يدي اللّه عزّ و جلّ، فإن كان به نقص كان به دونك، و إن كان تماما كنت شريكه، و لم يكن له عليك فضل فوقى نفسك بنفسه و صلاتك بصلاته فتشكّر له على قدر ذلك.

4- و أمّا حقّ جليسك: فأن تلين له جانبك، و تنصفه في مجازاة اللفظ، و لا تقوم من مجلسك إلّا بإذنه، و من يجلس إليك يجوز له القيام عنك بغير إذنك، و تنسى زلّاته، و تحفظ خيراته، و لا تسمعه إلّا خيرا.

5- و أمّا حقّ جارك: فحفظه غائبا، و إكرامه شاهدا، و نصرته إذا كان مظلوما، و لا تتّبع له عورة، فإن علمت عليه سوءا سترته عليه، و إن علمت أنّه يقبل نصيحتك نصحته فيما بينك و بينه، و لا تسلّمه عن شديدة، و تقيل عثرته، و تغفر ذنبه، و تعاشره معاشرة كريمة، و لا قوّة إلّا باللّه.

6- و أمّا حقّ الصاحب: فأن تصحبه بالتفضّل و الإنصاف، و تكرمه كما يكرمك، و كن عليه رحمة، و لا تكن عليه عذابا، و لا قوّة إلّا باللّه.

7- و أمّا حقّ الشريك: فإن غاب كفيته، و إن حضر رعيته، و لا تحكم دون حكمه، و لا تعمل رأيك دون مناظرته، و تحفظ عليه ماله، و لا تخونه فيما عزّ أو هان من أمره، فإنّ يد اللّه تبارك و تعالى على الشريكين ما لم يتخاونا، و لا

ص:202

قوّة إلّا باللّه.

8- و أمّا حقّ مالك: فأن لا تأخذه إلّا من حلّه، و لا تنفقه إلّا في وجهه، و لا تؤثر على نفسك من لا يحمدك، فاعمل فيه بطاعة ربّك، و لا تبخل به فتبوء بالحسرة و الندامة مع السعة، و لا قوّة إلّا باللّه.

9- و أمّا حقّ غريمك الذي يطالبك: فإن كنت موسرا أعطيته، و إن كنت معسرا لرضيته بحسن القول، و رددته عن نفسك ردّا لطيفا.

10- و حقّ الخليط: أن لا تغرّه، و لا تغشّه و لا تخدعه، و تتّقي اللّه تبارك و تعالى في أمره.

11- و حقّ الخصم المدّعي عليك: فإن كان ما يدّعي عليك حقّا كنت شاهده على نفسك و لم تظلمه، و أوفيته حقّه، و إن كان ما يدّعي باطلا رفقت به، و لم تأت في أمره غير الرفق، و لم تسخط ربّك في أمره، و لا قوّة إلّا باللّه.

12- و حقّ خصمك الذي تدّعي عليه: إن كنت محقّا في دعوتك أجملت مقاولته و لم تجحد حقّه، و إن كنت مبطلا في دعوتك اتّقيت اللّه عزّ و جلّ و تبت إليه و تركت الدعوى.

13- و حقّ المستشير: إن علمت أنّ له رأيا أشرت عليه، و إن لم تعلم أرشدته إلى من يعلم.

14- و حقّ المشير عليك: أن لا تتّهمه فيما لا يوافقك من رأيه، فإن وافقك حمدت اللّه عزّ و جلّ.

15- و حقّ المستنصح: أن تؤدّي إليه النصيحة و ليكن مذهبك الرحمة له و الرفق به.

16- و حقّ الناصح: أن تلين له جناحك، و تصغي إليه بسمعك، فإن أتى الصواب حمدت اللّه عزّ و جلّ، و إن لم يوافق رحمته و لم تتّهمه، و علمت أنّه‏

ص:203

أخطأ، و لم تؤاخذه بذلك إلّا أن يكون مستحقّا للتهمة فلا تعبأ بشي‏ء من أمره على حال، و لا قوّة إلّا باللّه.

17- و حقّ الكبير: توقيره لسنّه، و إجلاله لتقدّمه في الإسلام قبلك، و ترك مقابلته عند الخصام، و لا تسبقه إلى طريق و لا تتقدّمه، و لا تستجهله، و إن جهل عليك احتملته و أكرمته لحقّ الإسلام و حرمته.

18- و حقّ الصغير: رحمته في تعليمه و العفو عنه و الستر عليه و الرفق به و المعونة له.

19- و حقّ السائل: إعطاؤه على قدر حاجته.

20- و حقّ المسؤول: إن أعطى فاقبل منه بالشكر و المعرفة بفضله، و إن منع فاقبل عذره.

21- و حقّ من سرّك للّه تعالى ذكره: أن تحمد اللّه عزّ و جلّ أوّلا ثمّ تشكره.

22- و حقّ من أساءك: أن تعفو عنه، و إن علمت أنّ العفو عنه يضرّ انتصرت، قال اللّه تبارك و تعالى: (وَ لَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولئِكَ ما عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ‏[[419]](#footnote-419).

23- و حقّ أهل ملّتك: إضمار السلامة و الرحمة لهم، و الرفق بمسيئهم، و تألّفهم و استصلاحهم، و شكر محسنهم، و كفّ الأذى عنهم، و تحبّ لهم ما تحبّ لنفسك، و تكره لهم ما تكره لنفسك، و أن يكون شيوخهم بمنزلة أبيك، و شبّانهم بمنزلة إخوتك، و عجائزهم بمنزلة امّك، و الصغار بمنزلة أولادك.

24- و حقّ أهل الذمّة: أن تقبل منهم ما قبل اللّه عزّ و جلّ، و لا تظلمهم ما وفوا للّه عزّ و جلّ بعهده.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) الشورى (42): 41.

ص:204

و قد تصدّى جملة من العلماء[[420]](#footnote-420) و القانونيّين لشرح هذه الرسالة الفريدة و بشتّى اللغات و على مختلف المستويات، و إن شئت التفصيل و الاستضاءة بأنوارها- أكثر ممّا مرّ- فراجعها.

\*\*\*\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) منهم العلّامة السيد حسن القبانچي فقد شرحها في جزئين كبيرين باسم: شرح رسالة الحقوق.

ص:205

الفصل الثّالث في رحاب الصحيفة السجّاديّة

لقد خطّط القرآن الكريم لثورة ثقافية عظيمة، و كانت آياته الاولى تبشّر بحركة كبرى في عالم العلم و المعرفة، حيث ابتدأ الوحي الربّاني بالأمر بالقراءة أمرا مؤكدّا و الإشارة بنعمة التعليم الإلهي و الاهتمام بظاهرتي القلم و الكتابة في التعليم و تدوين المعرفة و نقلها و تطويرها و تطوير الإنسان من خلال تكامل المعرفة و تطوّر العلوم.

و الرسول الأمين و إن عرف عنه بأنّه لم يتعلّم القراءة و الكتابة المتعارفة و لكنّه قد حثّ على طلب العلم و نشره و تدوينه بإلهام إلهي، و بالرغم من أنّ الجهاز الحاكم الذي خلف الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) أصدر قرارا بمنع تدوين حديث الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) و بذلك وجّه ضربة كبيرة للثقافة الإسلامية المتمثّلة في أحاديث الرسول الأعظم، لكنّها قد تدوركت بعد أن خلّفت مضاعفات كبيرة لا زال العالم الإسلامي و الإنساني يدفع ضريبتها حتى يومنا هذا بعد أن لمسوا تلك المضاعفات الكبرى التي ترتّبت على مثل هذا القرار.

و أمّا الأئمّة من أهل البيت (عليهم السّلام) حيث كانوا قد أدركوا في وقت مبكّر مضاعفات منع التدوين و النكسة التي سوف يصاب بها العالم الإسلامي بل الإنساني، فبادروا إلى التدوين و شجّعوا أصحابهم على عملية التدوين‏

ص:206

بالرغم من أنّه كان ذلك يشكّل تحدّيا للسلطات آنذاك، لأنّ حفظ الشريعة و الدفاع عنها يعدّ من أعظم الأهداف التي جعل الأئمّة المعصومون حرّاسا لها أمناء عليها.

فالأئمّة الأطهار (عليهم السّلام) هم الروّاد الأوائل الذين خطّطوا لمسيرة الامّة الثقافية، و فجّروا لها ينابيع العلم و الحكمة على هدي الكتاب الحكيم و تعاليم الرسول العظيم، و لم يقتصر النشاط الثقافي للأئمّة (عليهم السّلام) على جانب خاص، و إنّما تناول أنواع العلوم و شتى مجالات المعرفة.

فالإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السّلام) هو رائد هذه النهضة العلمية و الفاتح لأبواب العلوم العقلية و النقلية و المؤسس لاصولها و قواعدها، و قد اعترف بهذه الحقيقة جملة من العلماء الكبار و ألّف السيّد حسن الصدر كتابه «تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام» فأثبت فيه تأريخيا صحة هذه الدعوى.

و ممّن اعترف بذلك الاستاذ عباس محمود العقّاد في كتابه «عبقرية الإمام عليّ» قائلا: إنّ الإمام أمير المؤمنين (عليه السّلام) قد فتق أبواب اثنين و ثلاثين علما، فوضع قواعدها و اسس اصولها.

و قال العلّامة ابن شهر آشوب في كتابه «معالم العلماء»: الصحيح أنّ أوّل من صنّف الإمام أمير المؤمنين (عليه السّلام) ثمّ سلمان ثمّ أبو ذر ثمّ الأصبغ بن نباتة ثمّ عبيد اللّه بن أبي رافع، ثمّ صنّفت الصحيفة الكاملة.

فالصحيفة السجّادية من ذخائر التراث الإسلامي و من مناجم كتب البلاغة و التربية و الأخلاق و الأدب في الإسلام، و من هنا سمّيت ب «إنجيل أهل البيت» و «زبور آل محمد»[[421]](#footnote-421).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) حياة الإمام زين العابدين: 373- 374.

ص:207

مميزات الصحيفة السجّاديّة:

1- إنّها تمثّل التجرّد التام من عالم المادّة و الانقطاع الكامل إلى اللّه تعالى و الاعتصام به، و الذي هو أثمن ما في الحياة.

2- إنّها تكشف عن كمال معرفة الإمام (عليه السّلام) باللّه تعالى و عميق إيمانه به.

3- امتازت الصحيفة السجادية على سائر أدعية المعصومين (عليهم السّلام) بتكرار الصلاة على محمّد و آل محمد لأنّه من الأرجح أن هذه الأدعية انشئت في أعقاب واقعة كربلاء التي كان منشؤها يزيد الذي كان هو و أبوه و جدّه و من ورائهم بنو امية يسعون في إطفاء النور المحمّدي (صلّى اللّه عليه و اله).

و الأرجح ان الإمام كان يريد من خلال هذه الأدعية تكريس مبادئ الإسلام و ترسيخها في النفوس في مواجهة المساعي الاموية الهدّامة.

4- فتحت الصحيفة للإنسان المسلم أبواب الأمل و الرجاء برحمة اللّه الواسعة.

5- كما فتحت للمناظرات البديعة مع اللّه تعالى بابا مهمّا يتضمّن أنواع الحجج البالغة لاستجلاب عفو اللّه و غفرانه، مثل قوله (عليه السّلام): «إلهي إن كنت لا تغفر إلّا لأوليائك و أهل طاعتك فإلى من يفزع المذنبون؟! و إن كنت لا تكرم إلّا أهل الوفاء لك فبمن يستغيث المسيئون؟!».

و هكذا قوله: «إلهي إنّي امرؤ حقير و خطري يسير و ليس عذابي ممّا يزيد في ملكك مثقال ذرّة ...».

6- تضمّنت الصحيفة برامج أخلاقية روحية و سلوكية مهمّة لتربية الإنسان، و رسمت له اصول الفضائل النفسية و الكمالات المعنويّة.

ص:208

7- احتوت على حقائق علمية لم تكن معروفة في عصره. و قد أشرنا إلى بعض منها[[422]](#footnote-422).

8- كما تصدّت الصحيفة لمواجهة الفساد الفردي و الإجتماعي و السياسي في عصر أشاعت فيه السياسة الاموية الفساد الأخلاقي و الخلاعة و المجون بين المسلمين، فكانت الصحيفة خير وسيلة للإصلاح في أحلك الظروف التي اتّبع فيها الامويون سياسة القمع و الإرهاب.

9- و الصحيفة بعد هذا هي منجم من مناجم البلاغة و الفصاحة و ينبوع ثرّ للأدب الإسلامي الهادف، فهي لا تفترق عن «نهج البلاغة» في هذا المضمار.

10- و قد ضمّن الإمام زين العابدين (عليه السّلام) أدعيته- التي تمثّلت في الصحيفة الكاملة و سائر الأدعية التي وصلت عنه و جمعت مؤخّرا في ما سمّي ب «الصحيفة الجامعة»- منهاجا كاملا للحياة الإنسانية الفريدة، و لم يترك الإمام جانبا ممّا تحتاجه الامّة الإسلامية إلّا و تعرّض له و عالجه باسلوبه الفذّ و بلاغته البديعة.

الدور التأريخي للصحيفة السجّاديّة:

قلنا: إنّ المسلمين في عصر الإمام زين العابدين (عليه السّلام) واجهوا «خطرين كبيرين خارج النطاق السياسي و العسكري، و كان لابدّ من البدء بعمل حاسم للوقوف في وجههما:

أحدهما: الخطر الذي نجم عن انفتاح المسلمين على ثقافات متنوّعة

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) راجع فصل: من علوم الإمام (عليه السّلام)، حقائق علميّة في الأدعيّة السجّادية.

ص:209

و أعراف تشريعية و أوضاع اجتماعية مختلفة بحكم تفاعلهم مع الشعوب التي دخلت في دين اللّه أفواجا، و كان لا بدّ من عمل على الصعيد العلمي يؤكّد في المسلمين أصالتهم الفكرية و شخصيتهم التشريعية المتميزة المستمدة من الكتاب و السنّة، و كان لا بدّ من حركة فكرية اجتهادية تفتح آفاقهم الذهنية ضمن ذلك الإطار لكي يستطيعوا أن يحملوا مشعل الكتاب و السنّة بروح المجتهد البصير و الممارس الذكيّ الذي يستطيع أن يستنبط منها ما يفيده في كلّ ما يستجدّ له من حالات.

كان لا بد إذن من تأصيل للشخصية الإسلامية و من زرع بذور الاجتهاد، و هذا ما قام به الإمام عليّ بن الحسين (عليه السّلام) فقد بدأ حلقة من البحث و الدرس في مسجد الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) ...

و أمّا الخطر الآخر: فقد نجم عن موجة الرخاء التي سادت المجتمع الإسلامي في أعقاب ذلك الامتداد الهائل، لأنّ موجات الرخاء تعرّض أيّ مجتمع إلى خطر الانسياق مع ملذّات الدنيا و الإسراف في زينة هذه الحياة المحدودة و انطفاء الشعور الملتهب بالقيم الخلقية و الصلة الروحية باللّه و اليوم الآخر، و بما تضعه هذه الصلة أمام الإنسان من أهداف كبيرة، و هذا ما وقع فعلا، و تكفي نظرة واحدة في كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني ليتّضح الحال.

و قد أحسّ الإمام عليّ بن الحسين بهذا الخطر، و بدأ بعلاجه، و اتّخذ من الدعاء أساسا لهذا العلاج، و كانت الصحيفة السجادية من نتائج ذلك، فقد استطاع هذا الإمام العظيم بما اوتي من بلاغة فريدة و قدرة فائقة على أساليب التعبير العربي و ذهنية ربّانية تتفتّق عن أروع المعاني و أدقّها في تصوير صلة الإنسان بربّه و وجده بخالقه و تعلّقه بمبدئه و معاده و تجسيد ما يعبّر عنه ذلك‏

ص:210

من قيم خلقية و حقوق و واجبات.

أقول: قد استطاع الإمام عليّ بن الحسين بما اوتي من هذه المواهب أن ينشر من خلال الدعاء جوّا روحيا في المجتمع الإسلامي يساهم في تثبيت الإنسان المسلم عند ما تعصف به المغريات، و شدّه إلى ربّه حينما تجرّه الأرض إليها و تأكيد ما نشأ عليه من قيم روحية، لكي يظلّ أمينا عليها في عصر الغنى و الثروة كما كان أمينا عليها و هو يشدّ حجر المجاعة على بطنه.

و هكذا نعرف أنّ الصحيفة السجّادية تعبّر عن عمل إجتماعي عظيم كانت ضرورة المرحلة تفرضه على الإمام، إضافة إلى كونها تراثا ربّانيا فريدا يظلّ على مرّ الدهور مصدر عطاء و مشعل هداية و مدرسة أخلاق و تهذيب و تظلّ الإنسانية بحاجة إلى هذا التراث المحمّدي العلوي، و تزداد حاجة كلّما ازداد الشيطان إغراء و الدنيا فتنة»[[423]](#footnote-423).

سند الصحيفة السجّادية:

ينتهي سند الصحيفة إلى الإمام أبي جعفر محمد الباقر (عليه السّلام) و إلى أخيه الشهيد زيد بن عليّ بن الحسين (عليهما السّلام)، و قد ذكرت سلسلة السند في مقدمة الصحيفة، و حظي هذا السند بالتواتر، و ما زال العلماء يتلقّونها موصولة الإسناد بالإسناد.

قال السيّد محسن الأمين العاملي: «و بلاغة ألفاظها- أي الصحيفة- و فصاحتها التي لا تبارى و علوّ مضامينها و ما فيها من أنواع التذلّل للّه تعالى و الثناء عليه و الأساليب العجيبة في طلب عفوه و كرمه و التوسّل اليه أقوى شاهد على صحّة نسبتها، و إنّ هذا الدرّ من ذلك البحر، و هذا الجوهر من ذلك‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) نقلا عن مقدمة السيد الشهيد محمد باقر الصدر على الصحيفة السجّادية الكاملة.

ص:211

المعدن، و هذا الثمر من ذلك الشجر، مضافا إلى اشتهارها شهرة لا تقبل الريب، و تعدّد أسانيدها المتّصلة إلى منشئها صلوات اللّه عليه و على آبائه و أبنائه الطاهرين، فقد رواها الثقات بأسانيدهم المتعدّدة المتّصلة إلى زين العابدين (عليه السّلام) و قد كانت منها نسخة عند زيد الشهيد ثمّ انتقلت إلى أولاده، و إلى أولاد عبد اللّه بن الحسن المثنّى، كما هو مذكور في أوّلها، مضافا إلى ما كان عند الباقر (عليه السّلام) من نسختها، و قد اعتنى بها عامّة الناس فضلا عن العلماء اعتناء بروايتها و ضبط ألفاظها و نسخها، و واظبوا على الدعاء بأدعيتها في الليل و النهار و العشي و الإبكار»[[424]](#footnote-424).

شروح الصحيفة السجّادية:

عكف العلماء على دراسة الصحيفة السجّادية و شرحها و إيضاح مقاصدها، و قد الّفت في ذلك مجموعة من الكتب القيّمة ذكرها شيخ المحقّقين الشيخ آغا بزرك الطهراني في موسوعته المعروفة ب «الذريعة إلى تصانيف الشيعة». و قد أحصى ستّة و ستين شرحا لها.

وصف الصحيفة ب «الكاملة»:

1- ذكروا أنّ سبب تسمية هذه الصحيفة ب «الكاملة» هو أنّ لدى الزيدية نسخة ناقصة من هذه الصحيفة تصل إلى نصفها، و لذلك عرفت هذه الصحيفة بالكاملة[[425]](#footnote-425).

2- و ذهب البعض الى أنّ السبب في إطلاق هذه الصفة على الصحيفة

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) حياة الإمام زين العابدين: 375، و راجع شجرة طرق أسانيد الصحيفة السجادية المطبوعة في مؤسسة الإمام المهدي (عليه السّلام) بإشراف السيد الأبطحي.

(2) حياة الإمام زين العابدين (عليه السّلام): 190.

ص:212

هو كونها تمثّل مجموعة كاملة تنتظم حاجات العبد من اللّه تعالى في أغلب الموارد و حول أغلب المتطلّبات‏[[426]](#footnote-426).

الصحيفة السجّادية الجامعة:

قال جامعها: و يستفاد من ديباجة نسخ الصحيفة السجّادية المتداولة أنّ عدد أدعيتها «75» دعاء إلّا أنّ عدد الأدعية الموجودة فيها الآن برواية محمد ابن أحمد المطهّري هي «54» دعاء.

و قد الّفت صحائف اخرى جمعت أدعيته (عليه السّلام) و ذكر في بعضها تلك الأدعية الساقطة.

ثمّ ذكر خمس صحائف اخرى، و من هنا بادرت مؤسسة الإمام المهدي (عليه السّلام) إلى جمع أدعيته و تنظيمها بالشكل الذي حافظ على سلامة ترتيب الأدعية الموجودة في الصحيفة الكاملة المتداولة.

قال: و لمّا كانت الصحيفة الكاملة تعدّ من المتواترات لاختصاصها بالإجازة و الرواية في كلّ طبقة و عصر لذلك جمعت بعض أسانيدها و إجازاتها المتكثّرة، و رتّبت شجرة للأسانيد على غرار شجرة الأنساب مع ترجمة أكثر رواة السند المتداول للصحيفة الكاملة، و عمل لها مجموعة من الفهارس الفنيّة اللازمة فازدانت بها جمالا و كمالا.

و للتحقّق ممّا قلناه من أنّها «مجموعة كاملة تنتظم حاجات العبد من اللّه تعالى» يجدر بنا أن نلقي نظرة سريعة إلى الخطوط العريضة على الفهرس الموضوعي لهذه الصحيفة الجامعة[[427]](#footnote-427).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) حياة الإمام زين العابدين (عليه السّلام) السيد جعفر شهيدي: 191.

(2) راجع مقدمة الصحيفة السجّادية الجامعة.

ص:213

[[428]](#footnote-428)

الموضوعات العامّة للصحيفة الجامعة:

1- أدعيته (عليه السّلام) في التحميد و التوحيد و التمجيد، و فيها (8) أدعية.

2- أدعيته في الصلوات، و هي (14) دعاء.

3- دعاؤه لنفسه و خاصّته.

4- أدعيته في الصباح و المساء، و فيها (8) أدعية.

5- أدعيته في المهمّات و الكربات و الاستعاذة، و فيها (6) أدعية.

6- أدعيته في الاعتراف و الاستغفار، و فيها (9) أدعية.

7- أدعيته في طلب الحوائج و قضائها، و فيها (5) أدعية.

8- أدعيته إذا اعتدي عليه، و فيها دعاءان.

9- أدعيته في الأمراض و البلايا، و فيها (3) أدعية.

10- دعاؤه في الاستقالة.

11- دعاؤه في الاستعاذة من الشيطان.

12- أدعيته في الحذر، و فيها دعاءان.

13- أدعيته في الاستسقاء، و فيها دعاءان.

14- أدعيته في مكارم الأخلاق، و فيها دعاءان.

15- أدعيته في الحزن و الشدّة، و فيها (4) أدعية.

16- أدعيته في العافية، و فيها دعاءان.

17- أدعيته فيمن دعا لهم، و هم: الأبوان و الولد و الجيران و الأولياء و أهل الثغور و جملة من الأشخاص.

18- أدعيته فيمن دعا عليهم.

19- أدعيته في الفزع إلى اللّه، و فيها دعاءان.

ص:214

20- أدعيته في الرزق و قضاء الدين، و فيها (4) أدعية.

21- أدعيته في التوبة، و فيها دعاءان.

22- أدعيته في التهجّد، و فيها (15) دعاء.

23- أدعيته في الإستخارة، و فيها (3) أدعية.

24- دعاؤه في الإبتلاء.

25- دعاؤه في الرضا.

26- دعاؤه عند النظر إلى آيات اللّه.

27- دعاؤه عند رؤية الهلال.

28- أدعيته في الشكر، و فيها دعاءان.

29- أدعيته في الاعتذار من التبعات، و فيها دعاءان.

30- أدعيته في طلب الرحمة و ذكر الموت، و فيها (7) أدعية.

31- دعاؤه في طلب الستر و الوقاية.

32- دعاؤه عند ختم القرآن.

33- أدعيته في الأشهر الثلاثة، و فيها (34) دعاء.

34- أدعيته في الأيام المباركة، و فيها (8) أدعية.

35- دعاؤه في الملتزم.

36- أدعيته لدفع الأعداء، و فيها (10) أدعية.

37- أدعيته في الاحتجاب و الرهبة، و فيها دعاءان.

38- أدعيته في التضرّع و التذلّل، و فيها (8) أدعية.

39- أدعيته لكشف الهموم و دفع المصائب و الاحتراز، و فيها (11) دعاء.

40- أدعيته في المناجاة، و فيها (39) دعاء.

41- أدعيته في الاستجابة و القنوت، و فيها (3) أدعية.

ص:215

42- أدعيته في السجود، و فيها (10) أدعية.

43- أدعيته في الأيام، و فيها (36) دعاء.

44- أدعيته في الزيارات، و فيها دعاءان.

45- أدعيته في مطالب الدنيا و الآخرة، و فيها (3) أدعية.

46- أدعيته عند الطعام، و فيها (3) أدعية.

47- أدعيته في صدر الموعظة و آخرها، و فيها دعاءان.

48- أدعيته إذا خرج من منزله أو آوى إلى فراشه أو طلى بالنورة.

49- دعاؤه عند محاكمته محمد بن الحنفيّة إلى الحجر الأسود.

50- دعاؤه الذي فيه الاسم الأعظم.

\*\*\*

ص:217

الفصل الرّابع مدرسة الإمام زين العابدين (عليه السّلام)

إنّ حالة الجمود الفكريّ و الركود العلميّ التي أصابت الامّة الإسلامية بسبب سيطرة بني أميّة على الحكم كانت تستدعي حركة فكرية اجتهادية تفتح الآفاق الذهنية للمسلمين كي يستطيعوا أن يحملوا مشعل الكتاب و السنّة بروح المجتهد البصير، و هذا ما قام به الإمام زين العابدين (عليه السّلام) فانبرى إلى تأسيس مدرسة علمية و إيجاد حركة فكرية بما بدأه من حلقات البحث و الدرس في مسجد الرسول (صلّى اللّه عليه و اله) و بما كان يثيره في خطبه في صلوات الجمع اسبوعيّا.

أخذ الإمام (عليه السّلام) يحدّث بصنوف المعرفة الإسلامية من تفسير و حديث و فقه و عقائد و أخلاق، و يفيض عليهم من علوم آبائه الطاهرين و يمرّن النابهين منهم على التفقّه و الاستنباط.

و قد تخرّج من هذه الحلقة عدد مهمّ من فقهاء المسلمين، و كانت هذه الحلقة هي المنطلق لما نشأ بعد ذلك من مدارس فقهية و شخصيات علمية[[429]](#footnote-429).

و نلمس من خلال ما ورد عن الإمام (عليه السّلام) من أحاديث ترتبط بالعلم و العلماء أنّه قد خطّط لهذه الحركة العلمية تخطيطا بارعا، فهو بالإضافة إلى‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) راجع مقدمة السيد الشهيد محمد باقر الصدر للصحيفة السجّادية.

ص:218

تفرّغه للتعليم- بالرغم من جميع الهموم و الآلام التي تركتها له واقعة الطفّ الأليمة و ما تلاها من حوادث مؤلمة في العالم الإسلامي- نجده يشيد بفضل العلم و يحثّ المستعدّين للتعلّم حثّا أكيدا قولا و عملا، و تكريما من جهة، كما نجده يرسم للمتعلّمين آداب التعلّم، و يبيّن حقوق المعلّم و المتعلّم، و يرغّبهما في تحمّل هذا العب‏ء ببيان ثواب التعلّم و التعليم، بحيث استطاع أن يجمع عددا كبيرا من طلّاب المعرفة الذين عرفوا بالقرّاء باعتبار أنّ قراءة القرآن و حفظه و تعليم تفسيره كانت هي المحور في التعلّم و التعليم حينذاك، و لم يكن للحديث أو السيرة أو الفقه تدوين و تأليف باعتبار الحظر الذي أوجدته السلطة بعد غياب الرسول (صلّى اللّه عليه و اله)، فلم يكن الخط العام في صالح هذه الحركة الفكرية.

و مع كلّ هذا نلاحظ احتفاء القرّاء و الفقهاء و العلماء بالإمام بنحو لا نجد له نظيرا في غيره من العصور، فإنّ القرّاء كانوا لا يفارقونه في حضر أو سفر حتى قال سعيد بن المسيّب: إنّ القرّاء كانوا لا يخرجون إلى مكّة حتّى يخرج عليّ بن الحسين، فخرج و خرجنا معه ألف راكب‏[[430]](#footnote-430).

قال (عليه السّلام) مشيدا بفضل العلم و ثوابه و أهمّيته:

«لو يعلم الناس ما في طلب العلم لطلبوه و لو بسفك المهج و خوض اللجج، إنّ اللّه تبارك و تعالى أوحى إلى دانيال: إنّ أمقت عبيدي إليّ الجاهل المستخفّ بحقّ أهل العلم، التارك للإقتداء بهم، و إنّ أحبّ عبيدي إليّ التقيّ الطالب للثواب الجزيل اللازم للعلماء التابع للحلماء القابل عن الحكماء»[[431]](#footnote-431).

«طالب العلم إذا خرج من منزله لم يضع رجلا على رطب و لا يابس‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) من مقدمة السيد الشهيد محمد باقر الصدر للصحيفة السجّادية.

(2) اصول الكافي: 1/ 35.

ص:219

من الأرض إلّا سبّحت له الأرضون السبع»[[432]](#footnote-432).

و كان (عليه السّلام) يكرم طلّاب العلوم و يرفع منزلتهم و يرحّب بهم قائلا:

«مرحبا بوصيّة رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله)». و كان إذا نظر إلى الشباب و هم يطلبون العلم أدناهم إليه و قال: «مرحبا بكم أنتم ودايع العلم، و يوشك إذ أنتم صغار قوم أن تكونوا كبار آخرين»[[433]](#footnote-433).

و قد لاحظنا ما جاء في رسالة الحقوق من الإشادة بفضل العالم و حقوقه على المتعلّمين من التعظيم له و التوقير لمجلسه و حسن الإستماع إليه و الإقبال عليه و عدم رفع الصوت عليه و الدفاع عنه و ستر عيوبه و إظهار مناقبه و عدم مجالسة أعدائه و عدم معاداة أوليائه.

كما نلاحظ تأكيده على عدم كتمان العلم و عدم التجبّر بالنسبة للمتعلّمين و حسن الإتقان في فنّ التعليم و عدم ابتغاء الأجر المادّي على التعاليم.

كلّ هذا يشير إلى تخطيط واضح في سلوك الإمام (عليه السّلام) لايجاد حركة ثقافية واسعة و تأسيس تيّار ثقافي يتسنّى له أن يقف أمام التيّارات المنحرفة و التخطيط الاموي الذي لم يرق له تفتّح الوعي الإسلامي عند أبناء المسلمين.

و قد خرّجت مدرسة الإمام زين العابدين (عليه السّلام) كوكبة من العلماء الفقهاء و المفسّرين الذين سطعت أسماؤهم في العالم الإسلامي، و إليهم يعود الفضل في دفع عجلة الإحياء العلميّ في ذلك العصر الرهيب و ما تلاه من عصور. و نشير فيما يلي إلى الأسماء اللّامعة في هذا الصدد:

1- 3- و في مقدمتهم الإمام أبو جعفر الباقر (عليه السّلام) و أخواه: زيد

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) حياة الإمام زين العابدين: 23.

(2) الدرّ النظيم: 173.

ص:220

و الحسين ابنا عليّ بن الحسين بن عليّ (عليهم السّلام).

4- أبان بن تغلب بن رباح، أبو سعيد البكري الجريري: كوفيّ المولد و النشأة، و كان نابها و مقدّما في كلّ فن، من قرآن و حديث و أدب و لغة و نحو، و تتلمذ عند الأئمّة الثلاثة: السجاد و الباقر و الصادق (عليهم السّلام)، و كان يقول له الإمام الباقر (عليه السّلام): «اجلس في مسجد المدينة و افت الناس فإنّي احبّ أن يرى في شيعتي مثلك» و ألّف أبان في تفسير غريب القرآن و في فضائل أهل البيت كما روى ما يناهز ثلاثين ألف حديث عن أئمّته (عليهم السّلام)[[434]](#footnote-434).

5- إسماعيل بن عبد الخالق: وجه من وجوه أصحاب الأئمّة و فقيه من فقهائهم، و أدرك الإمام الصادق (عليه السّلام) و روى عنه و عن الإمام الباقر و السجّاد أيضا[[435]](#footnote-435).

6- ثابت بن أبي صفيّة: و هو أبو حمزة الثمالي، عالم جليل ورع تقيّ، تربّى بآداب أهل البيت و حمل علومهم و معارفهم، و أجمع المترجمون على و ثاقته و أنّه كسلمان الفارسي في زمانه، و كانت الشيعة ترجع إليه في الكوفة لإحاطته بفقه أهل البيت (عليهم السّلام).

7- رشيد الهجري: من أبطال الإسلام و أعلام الجهاد، و قد صلبه الامويّون من أجل عقيدته و ولائه لأهل البيت (عليهم السّلام).

8- زيد بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب، كان يتولّى صدقات رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و اله)، و كان جليل القدر كريم الطبع زكيّ النفس كثير البرّ.

9- سعيد بن جبير، أبو محمد مولى بني و البة: كوفي تابعي نزل مكّة و هو من أعلام المجاهدين، و كان من أبرز علماء عصره في التفسير و الفقه‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) راجع ترجمته بالتفصيل في حياة الإمام زين العابدين: 522- 527.

(2) المصدر السابق: 529.

ص:221

و أنواع العلوم، و استشهد بأمر الحجّاج في شعبان (95 ه).

10- سعيد بن المسيّب المخزومي: من كبار التابعين، و قال فيه الإمام زين العابدين (عليه السّلام): إنّه أعلم الناس بما تقدّمه من الآثار و أفصحهم في زمانه، و كان يبجّل الإمام كثيرا[[436]](#footnote-436).

إنّ هؤلاء بعض تلامذته و الرواة عنه، على أنّ الإمام (عليه السّلام) كان يربّي الموالي بشكل ليس له نظير، و كلّ من أعتقه الإمام يمكن أن يعدّ ممّن تربّى على يد الإمام، فلا ينحصر تراث الإمام فيما كتب و ما روي عنه فقط، بل يمكن أن يتّسع لكلّ عمل تربوي صدر عن الإمام و بقيت آثاره في المجتمع الإسلامي و لو كان متجسّدا في سلوك هؤلاء الموالي و أفكارهم و اتجاهاتهم.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
(1) راجع تفصيل البحث عن رواة حديث الإمام و تلامذته (حياة الإمام زين العابدين: 517- 587).

ص:223

الفهرس التفصيلي‏

فهرس إجمالي 5

مقدمة المجمع 7

الباب الأول:

الفصل الأوّل: الإمام زين العابدين (عليه السّلام) في سطور 17

الفصل الثاني: انطباعات عن شخصيّة الإمام زين العابدين (عليه السّلام) 21

آراء العلماء و المؤرّخين 24

الفصل الثالث: مظاهر من شخصيّة الإمام زين العابدين (عليه السّلام) 27

الحلم 27

السخاء 28

تعامله مع الفقراء 28

أ- تكريمه للفقراء 28

ب- عطفه على الفقراء 29

ج- نهيه عن ردّ السائل 29

صدقاته 30

أ- التصدّق بثيابه 31

ب- التصدّق بما يحبّ 31

ص:224

ج- مقاسمة أمواله 31

د- صدقاته في السرّ 32

ه- ابتغاؤه مرضاة اللّه 33

العزّة و الإباء 33

الزهد 34

الإنابة الى اللّه 35

سيرته في بيته 36

مع أبويه 37

مع أبنائه 38

مع مماليكه 39

الباب الثاني:

الفصل الأول: نشأة الإمام زين العابدين (عليه السّلام) 43

امّه 44

كناه 45

ألقابه 45

الفصل الثاني: مراحل حياة الإمام زين العابدين (عليه السّلام) 47

الفصل الثالث: الإمام زين العابدين (عليه السّلام) من الولادة إلى الإمامة 49

الوضع السياسي في العراق عند موت معاوية 52

النصّ على إمامة زين العابدين (عليه السّلام) 54

الإمام زين العابدين (عليه السّلام) يوم عاشوراء 55

ص:226

الباب الثالث:

الفصل الأول: الإمام زين العابدين (عليه السّلام) من كربلاء إلى المدينة 59

الإمام زين العابدين بعد ملحمة عاشوراء 59

سبايا آل البيت (عليهم السّلام) في دمشق 61

الإمام (عليه السّلام) في مجلس يزيد 63

الفصل الثاني: الإمام (عليه السّلام) في المدينة 69

ثورة أهل المدينة 72

انشقاق البيت الاموي 78

تزايد المعارضة للحكم الاموي 79

سنوات المحن و الإضطرابات 81

الفصل الثالث: استشهاد الإمام زين العابدين (عليه السّلام) 85

الباب الرابع:

الفصل الأوّل: نظرة عامة في مسيرة أهل البيت (عليهم السّلام) الرسالية 89

الأخطار التي كان يواجهها الاسلام 93

مضاعفات الانحراف في القيادة الإسلامية 94

مضاعفات انهيار الدولة الإسلامية 95

مراحل حركة الأئمّة الطاهرين (عليهم السّلام) 102

الفصل الثاني: ملامح عصر الإمام زين العابدين (عليه السّلام) 105

الفصل الثالث: تخطيط الإمام زين العابدين (عليه السّلام) و جهاده 109

1- الجهاد الفكري و العلمي 113

ص:226

2- الجهاد الاجتماعي و العملي 117

أ- الأخلاق و التربية 118

ب- الإصلاح و الدولة 119

ج- مقاومة الفساد 122

الفصل الرابع: ظواهر فذّة في حياة الإمام زين العابدين (عليه السّلام) 123

ظاهرة العبادة في حياة الإمام (عليه السّلام) 123

عبادة الإمام 125

1- وضوؤه 125

2- صلاته 125

أ- تطيّبه للصلاة 125

ب- لباسه في صلاته 126

ج- خشوعه في صلاته 126

د- صلاة ألف ركعة 127

ه- كثرة سجوده 127

و- كثرة تسبيحه 128

ز- ملازمته لصلاة الليل 128

ح- دعاؤه بعد صلاة الليل 128

3- صومه 131

دعاؤه في السحر 134

4- حجّه (عليه السّلام) 136

دعاؤه في يوم عرفة 139

دعاؤه يوم عيد الأضحى 141

ص:227

ظاهرة الدعاء و المناجاة في حياة الإمام (عليه السّلام) 143

تجلّيات العرفان الإلهي 147

ظاهرة البكاء في حياة الإمام (عليه السّلام) 150

ظاهرة الإعتاق في حياة الإمام 153

الباب الخامس:

الفصل الأول: من تراث الإمام زين العابدين (عليه السّلام) 159

في رحاب القرآن الكريم 161

في رحاب الحديث الشريف 167

في رحاب اصول العقيدة و مباحث الكلام 169

الإمام (عليه السّلام) ينصّ على الأئمّة من بعده و يبشّر بالمهدي (عليه السّلام) 170

في رحاب الفقه و أحكام الشريعة 173

حقائق علمية في الأدعية السجّادية 178

أدب الإمام زين العابدين (عليه السّلام) 179

احتجاجات الإمام زين العابدين (عليه السّلام) 180

من غرر حكم الإمام علي (عليه السّلام) و مواعظه 186

الفصل الثاني: رسالة الحقوق 193

عرض إجماليّ للحقوق 195

تفصيل الحقوق 196

حق اللّه 196

حق النفس 196

ص:228

حقوق الأعضاء 197

حقوق الأفعال 197

حقوق الأئمّة 198

حقوق الرعيّة 198

حقوق الرحم 199

حقوق عامّة الناس و الأشياء 200

الفصل الثالث: في رحاب الصحيفة السجّاديّة 205

مميزات الصحيفة السجّاديّة 207

الدور التأريخي للصحيفة السجّاديّة 208

سند الصحيفة السجّاديّة 210

شروح الصحيفة السجّاديّة 211

وصف الصحيفة ب «الكاملة» 211

الصحيفة السجّاديّة الجامعة 212

الموضوعات العامّة للصحيفة الجامعة 213

الفصل الرابع: مدرسة الإمام زين العابدين (عليه السّلام) 217

الفهرس التفصيلي 223

ص:229

1. ( 1) صحيح مسلم: 7/ 121. [↑](#footnote-ref-1)
2. ( 2) إثبات الهداة: 2/ 320 حديث 116. [↑](#footnote-ref-2)
3. ( 1) اختيار معرفة الرجال: 129- 132 ح 207، و الجاحظ في البيان و التبيين: 1/ 286، الأغاني: 14/ 75 و 19/ 40، و ابن خلكان في وفيات الأعيان: 2/ 338 ط ايران. [↑](#footnote-ref-3)
4. ( 1) انظر: دراسات و بحوث للعاملي: 1/ 127- 137. [↑](#footnote-ref-4)
5. ( 1) السيد الشهيد محمد باقر الصدر( قدّس سرّه) في مقدمته للصحيفة السجادية. [↑](#footnote-ref-5)
6. ( 1) العقد الفريد: 2/ 251. [↑](#footnote-ref-6)
7. ( 2) حياة الإمام زين العابدين، دراسة و تحليل: 1/ 126. [↑](#footnote-ref-7)
8. ( 1) تأريخ دمشق: 36/ 147، و تذكرة الخواص: 324. [↑](#footnote-ref-8)
9. ( 2) تهذيب التهذيب: 9/ 445. [↑](#footnote-ref-9)
10. ( 3) الأغاني: 15/ 325. [↑](#footnote-ref-10)
11. ( 4 و 5) شذرات الذهب: 1/ 105. [↑](#footnote-ref-11)
12. ( 4 و 5) شذرات الذهب: 1/ 105. [↑](#footnote-ref-12)
13. ( 6) تهذيب التهذيب: 4/ 85. [↑](#footnote-ref-13)
14. ( 7) تأريخ اليعقوبي: 3/ 46. [↑](#footnote-ref-14)
15. ( 8) العبر في خبر من غبر: 1/ 111. [↑](#footnote-ref-15)
16. ( 1) الفصول المهمة: 189. [↑](#footnote-ref-16)
17. ( 2) تهذيب التهذيب: 3/ 395. [↑](#footnote-ref-17)
18. ( 3 و 4) حياة الإمام زين العابدين: 1/ 129 عن تأريخ دمشق: 12/ ق 1/ الورقة 19. [↑](#footnote-ref-18)
19. ( 3 و 4) حياة الإمام زين العابدين: 1/ 129 عن تأريخ دمشق: 12/ ق 1/ الورقة 19. [↑](#footnote-ref-19)
20. ( 5) طبقات الفقهاء: 2/ 34. [↑](#footnote-ref-20)
21. ( 6) تهذيب التهذيب: 3/ 9. [↑](#footnote-ref-21)
22. ( 7) تهذيب اللغات و الأسماء، القسم الأول: 343. [↑](#footnote-ref-22)
23. ( 8) حياة الإمام زين العابدين( دراسة و تحليل): 1/ 130 عن تهذيب التهذيب. [↑](#footnote-ref-23)
24. ( 9) المصدر السابق عن تهذيب الكمال م 7/ ق 2/ الورقة 336. [↑](#footnote-ref-24)
25. ( 10) نفس المهموم: 448- 452 ط قم عن مناقب آل أبي طالب: 4/ 181 عن كتاب الأحمر عن الأوزاعي:

الخطبة بدون المقدمة، و المقدمة عن الكامل للبهائي: 2/ 299- 302 و انظر حياة الإمام زين العابدين للقرشي: 1/ 175. [↑](#footnote-ref-25)
26. ( 1) بحار الأنوار: 46/ 75. [↑](#footnote-ref-26)
27. ( 2) الكامل للمبرد: 2/ 467، العقد الفريد: 5/ 310. [↑](#footnote-ref-27)
28. ( 3) تاريخ اليعقوبي: 3/ 46. [↑](#footnote-ref-28)
29. ( 4) تأريخ دمشق: 36/ 142. [↑](#footnote-ref-29)
30. ( 5) سير أعلام النبلاء: 4/ 240. [↑](#footnote-ref-30)
31. ( 1) حلية الأولياء: 3/ 133. [↑](#footnote-ref-31)
32. ( 2) وسيلة المآل في عدّ مناقب الآل: 280. [↑](#footnote-ref-32)
33. ( 3) عن تهذيب اللغات و الأسماء: ق 1/ 343. [↑](#footnote-ref-33)
34. ( 4) عيون الأخبار و فنون الآثار: 144. [↑](#footnote-ref-34)
35. ( 5) عمدة الطالب: 193. [↑](#footnote-ref-35)
36. ( 6) الإرشاد: 2/ 138 و 153. [↑](#footnote-ref-36)
37. ( 7) منهاج السنّة: 2/ 123. [↑](#footnote-ref-37)
38. ( 1) الصراط السوي الورقة 19. [↑](#footnote-ref-38)
39. ( 2) مطالب السؤول: 2/ 41. [↑](#footnote-ref-39)
40. ( 3) رسائل الجاحظ: 106. [↑](#footnote-ref-40)
41. ( 4) عمدة الطالب: 193- 194. [↑](#footnote-ref-41)
42. ( 5) تذكرة الخواص: 324. [↑](#footnote-ref-42)
43. ( 1) أمالي الصدوق: 168 ح 12 و الارشاد: 2/ 146، و مناقب آل أبي طالب: 4/ 157، تاريخ دمشق: 36/ 155 و ابن منظور في مختصره: 17/ 240، و سير أعلام النبلاء: 4/ 397، و نهاية الارب: 21/ 326. [↑](#footnote-ref-43)
44. ( 2) مناقب آل أبي طالب: 4/ 171، و البداية و النهاية: 9/ 105. [↑](#footnote-ref-44)
45. ( 1) الإرشاد: 1/ 146 عن نسب آل أبي طالب للعبيدلي النسّابة م 270 ه. [↑](#footnote-ref-45)
46. ( 2) الإرشاد: 2/ 149، و مناقب آل أبي طالب: 4/ 163 و راجع: البداية و النهاية: 9/ 105، و سير أعلام النبلاء:

4/ 239. [↑](#footnote-ref-46)
47. ( 3) تأريخ اليعقوبي: 2/ 259 ط بيروت. [↑](#footnote-ref-47)
48. ( 4) مناقب آل أبي طالب: 4/ 166 عن الباقر( عليه السّلام) و عن أحمد بن حنبل، و كشف الغمة: 2/ 289 عن مطالب السؤول عن حلية الأولياء، و في الكشف: 2/ 312، عن الجنابذي، و لكن فيه: 2/ 304 عنه أيضا عن الصادق( عليه السّلام) قال: كان يعول سبعين بيتا. [↑](#footnote-ref-48)
49. ( 1) حلية الأولياء: 3/ 137، و عنه في مناقب آل أبي طالب: 4/ 167. [↑](#footnote-ref-49)
50. ( 2) كشف الغمة: 3/ 288 عن مطالب السؤول للشافعي عن حلية الأولياء للاصفهاني. [↑](#footnote-ref-50)
51. ( 3) مناقب آل أبي طالب: 4/ 166 و 167 عن الباقر( عليه السّلام). [↑](#footnote-ref-51)
52. ( 4) بحار الأنوار: 46/ 62. [↑](#footnote-ref-52)
53. ( 1) علل الشرائع: 1/ 61 ب 42 ح 1 ط بيروت. [↑](#footnote-ref-53)
54. ( 2) وسائل الشيعة: 6/ 296. [↑](#footnote-ref-54)
55. ( 1) تأريخ دمشق: 36/ 161. [↑](#footnote-ref-55)
56. ( 2) مناقب آل أبي طالب: 4/ 167 عن حلية الأولياء: 3/ 136- 140. [↑](#footnote-ref-56)
57. ( 3) مناقب آل أبي طالب: 4/ 167. [↑](#footnote-ref-57)
58. ( 4) المحاسن: 2/ 361 طبعة المجمع العالمي لأهل البيت( عليهم السّلام)، و فروع الكافي: 6/ 350. [↑](#footnote-ref-58)
59. ( 5) مناقب آل أبي طالب: 4/ 167 عن حلية الأولياء: 3/ 140، و جمهرة الأولياء: 2/ 71، و خلاصة تهذيب الكمال: 231 [↑](#footnote-ref-59)
60. ( 1) مناقب آل أبي طالب: 4/ 165 عن الثمالي و الثوري، و في تذكرة الحفاظ: 1/ 75 و اخبار الدول: 110 و نهاية الإرب: 21/ 326، و كشف الغمة: 2/ 289 عن مطالب السؤول عن حلية الأولياء. و في الكشف:

2/ 312 عن الجنابذي عن الثوري عنه( عليه السّلام) كان يقول: إنّ الصدقة تطفئ غضب الرب. بدون قيد السّر. [↑](#footnote-ref-60)
61. ( 2) مناقب آل أبي طالب: 4/ 166. [↑](#footnote-ref-61)
62. ( 3) كشف الغمة: 2/ 319 عن نثر الدرر للآبي. [↑](#footnote-ref-62)
63. ( 4) حلية الأولياء و عنه في مناقب آل أبي طالب: 4/ 166 و كشف الغمة: 2/ 290 عن مطالب السؤول عن الحلية: 4/ 136 و في البداية و النهاية لابن كثير: 9/ 114، و صفة الصفوة: 2/ 54، الإتحاف بحب الأشراف:

49 و الأغاني: 15/ 326. [↑](#footnote-ref-63)
64. ( 5) مناقب آل أبي طالب: 4/ 166 عن الباقر( عليه السّلام). [↑](#footnote-ref-64)
65. ( 6) تذكرة الحفّاظ: 1/ 75. [↑](#footnote-ref-65)
66. ( 1) تأريخ اليعقوبي: 2/ 303 ط بيروت. [↑](#footnote-ref-66)
67. ( 2) علل الشرائع: 1/ 27 و عنه في بحار الأنوار: 46/ 65- 66. [↑](#footnote-ref-67)
68. ( 1) وقعة الطف: 209. [↑](#footnote-ref-68)
69. ( 2) الكافي: 2/ 109 و 111 و الخصال: 1/ 23 و عن الكافي في بحار الأنوار: 71/ 406 و معه بيان المؤلف في صفحة كاملة. [↑](#footnote-ref-69)
70. ( 3) بحار الأنوار: 78/ 135. [↑](#footnote-ref-70)
71. ( 4) بحار الأنوار: 46/ 64 عن علل الشرائع: 1/ 270 ط بيروت. [↑](#footnote-ref-71)
72. ( 5) مجالس ثعلب 2: 462، و عنه في حياة الإمام زين العابدين للقرشي: 1/ 81. و في مناقب آل أبي طالب:

4/ 175 عن نافع: شيئا، بدل: درهما. [↑](#footnote-ref-72)
73. ( 6) بحار الأنوار: 46/ 62 عن علل الشرائع: 1/ 270 ط بيروت. [↑](#footnote-ref-73)
74. ( 1) كشف الغمة: 2/ 318 عن نثر الدرر للآبي، و الفصول المهمّة: 192. [↑](#footnote-ref-74)
75. ( 2) الكافي: 8/ 72- 76، و تحف العقول: 249- 252. [↑](#footnote-ref-75)
76. ( 1) حياة الإمام زين العابدين( عليه السّلام) دراسة و تحليل: 1/ 93. [↑](#footnote-ref-76)
77. ( 2) قرموا: اشتدّ شوقهم إلى اللحم. [↑](#footnote-ref-77)
78. ( 3) بحار الأنوار: 46/ 67 عن الكافي: 2/ 12. [↑](#footnote-ref-78)
79. ( 1) بحار الأنوار: 46/ 67 عن الكافي: 2/ 12. [↑](#footnote-ref-79)
80. ( 2) الكامل للمبرد: 1/ 302، و شذرات الذهب: 1/ 105، و مناقب آل أبي طالب: 4/ 176 عن أمالي النيشابوري. [↑](#footnote-ref-80)
81. ( 1) الصحيفة السجادية، دعاؤه لأبويه. [↑](#footnote-ref-81)
82. ( 1) حياة الإمام زين العابدين، دراسة و تحليل: 55- 56. [↑](#footnote-ref-82)
83. ( 2) اصول الكافي: 2/ 376، و الاختصاص: 239، و تحف العقول: 279، و البداية و النهاية: 9/ 105. [↑](#footnote-ref-83)
84. ( 3) البيان و التبيين: 2/ 76، العقد الفريد: 3/ 88. [↑](#footnote-ref-84)
85. ( 4) العقد الفريد: 3/ 89. [↑](#footnote-ref-85)
86. ( 1) اقبال الأعمال: 1/ 443- 445 باسناده عن التلعكبرى عن ابن عجلان عن الصادق( عليه السّلام) و عنه في بحار الأنوار: 46/ 103- 105. و 98/ 186- 187. [↑](#footnote-ref-86)
87. ( 2) الإرشاد: 2/ 147، و مناقب آل أبي طالب: 4/ 171 و في تأريخ دمشق: 36/ 155. [↑](#footnote-ref-87)
88. ( 1) إشارة لقوله تعالى:\i فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيها بِالْغُدُوِّ وَ الْآصالِ\* رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَ لا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَ إِقامِ الصَّلاةِ وَ إِيتاءِ الزَّكاةِ يَخافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَ الْأَبْصارُ.\E النور( 24): 36- 37. [↑](#footnote-ref-88)
89. ( 1) الإرشاد: 2/ 137، و مناقب آل أبي طالب: 4/ 189، و الإقبال: 621، و مصباح الكفعمي: 511، و الأنوار البهية: 107 قال: سنة 36 يوم فتح البصرة. [↑](#footnote-ref-89)
90. ( 2) تاريخ أهل البيت، لابن أبي الثلج البغدادي م 325: 77. [↑](#footnote-ref-90)
91. ( 3) رغم أنّ أغلب المؤرخين متفقون على أنّ ام الإمام السجاد( عليه السّلام) هي ابنة الملك يزدجرد إلّا أن هناك من يعتبر ذلك مجرد اسطورة، راجع زندگانى علي بن الحسين( عليه السّلام) للسيد جعفر الشهيدي. و الإسلام و ايران للشهيد مطهري: 100- 109 و حول السيدة شهربانو للشيخ اليوسفي الغروي في مجلة رسالة الحسين( عليه السّلام):

24/ 14- 39، و الثابت أن امّ الإمام السجاد( عليه السّلام) سبيّة من سبايا الفرس، و لا يثبت أكثر من هذا. [↑](#footnote-ref-91)
92. ( 4) سيرة رسول اللّه( صلّى اللّه عليه و آله) و أهل بيته( عليهم السّلام): 2/ 189، المجمع العالمي لأهل البيت( عليهم السّلام) الطبعة الاولى 1414 ه. [↑](#footnote-ref-92)
93. ( 1) حياة الإمام زين العابدين، دراسة و تحليل: 390. [↑](#footnote-ref-93)
94. ( 2) الفرقان( 25): 63. [↑](#footnote-ref-94)
95. ( 1) إحقاق الحق: 12/ 13- 16، و البداية و النهاية لابن كثير: 9/ 106. [↑](#footnote-ref-95)
96. ( 2) علل الشرائع: 1/ 269، و الأمالي: 331 و عنهما في بحار الأنوار: 46/ 2 الحديث 1 و 2. [↑](#footnote-ref-96)
97. ( 3) علل الشرائع: 1/ 273 و معاني الأخبار: 65 و عنهما في بحار الأنوار: 46/ 6. [↑](#footnote-ref-97)
98. ( 4) علل الشرائع: 1/ 272 و عنه في بحار الأنوار: 46/ 6 ح 10. [↑](#footnote-ref-98)
99. ( 1) المناقب لابن شهر آشوب: 3/ 310، بحار الأنوار: 46/ 8- 15. [↑](#footnote-ref-99)
100. ( 1) راجع: ترجمة سمّية أم زياد في هامش وقعة الطف: 211 و 212. [↑](#footnote-ref-100)
101. ( 1) قرية تقع بين تدمر و دمشق. [↑](#footnote-ref-101)
102. ( 1) اقرأ أخبار هذه الأحداث مسندة موثقة في: وقعة الطف لأبي مخنف: 70- 141، تحقيق محمد هادي اليوسفي الغروي. [↑](#footnote-ref-102)
103. ( 2) راجع: منتخب الأثر: 97، الباب الثامن، و الإرشاد و إعلام الورى بأعلام الهدى: 2/ 181، 182، النصوص على الأئمة الاثنا عشر، قادتنا: 5/ 14، و إثبات الهداة بالنصوص و المعجزات: 2/ 285، النصوص العامة على الأئمة، و إحقاق الحقّ و ملحقاته ج 1- 25. [↑](#footnote-ref-103)
104. ( 1) الكافي: 1/ 242/ 3، و الغيبة للطوسي: 118 الحديث 148، و اثبات الهداة: 5/ 214- 216. [↑](#footnote-ref-104)
105. ( 2) الكافي: 1/ 241/ 1، و اثبات الوصيّة: 142، و إعلام الورى: 1/ 482- 483. [↑](#footnote-ref-105)
106. ( 3) الاحتجاج: 2/ 147، احتجاجات الإمام زين العابدين( عليه السّلام). [↑](#footnote-ref-106)
107. ( 1) الإرشاد: 2/ 112، و انظر وقعة الطف لأبي مخنف: 256، 257. [↑](#footnote-ref-107)
108. ( 1) التدمت المرأة: ضربت صدرها في النياحة، و قيل: ضربت وجهها في المآتم. [↑](#footnote-ref-108)
109. ( 2) الأمالي للطوسي: 91. [↑](#footnote-ref-109)
110. ( 3) الإرشاد للمفيد: 244، و وقعة الطف: 262، 263. [↑](#footnote-ref-110)
111. ( 1) مقتل الخوارزمي: 2/ 43 مرسلا، و اللهوف على قتلى الطفوف: 145. [↑](#footnote-ref-111)
112. ( 2) الكامل في التاريخ للجزري: 4/ 83، و إنّ أوّل رأس حمل في الإسلام هو رأس عمر بن الحمق الخزاعي الى معاوية. [↑](#footnote-ref-112)
113. ( 3) عن طبقات ابن سعد في ذيل تاريخ دمشق ترجمة الإمام الحسين( عليه السّلام): 131، و أنساب الأشراف: 214، و الطبري: 5/ 460 و 463، و الإرشاد: 2/ 119 و اللفظ للأخير. [↑](#footnote-ref-113)
114. ( 1) مقتل الخوارزمي 2: 61، و اللهوف على قتلى الطفوف: 100، و مقتل المقرم: 449 عن تفسير ابن كثير و الآلوسي. [↑](#footnote-ref-114)
115. ( 2) أمالي الطوسي: 677. [↑](#footnote-ref-115)
116. ( 1) الارشاد: 2/ 119 و 120، و وقعة الطف لأبي مخنف: 168 و 271، و العقد الفريد: 5/ 124. [↑](#footnote-ref-116)
117. ( 2) الحديد( 57): 22- 23. [↑](#footnote-ref-117)
118. ( 3) الشورى( 42): 30. [↑](#footnote-ref-118)
119. گروه مؤلفان، أعلام الهداية - قم، چاپ: دوم، 1425 ه.ق. [↑](#footnote-ref-119)
120. ( 1) الإرشاد: 2/ 121، و وقعة الطف لأبي مخنف: 271، 272. [↑](#footnote-ref-120)
121. ( 1) نفس المهموم: 448- 452 ط قم عن مناقب آل أبي طالب: 4/ 181 عن كتاب الأحمر عن الأوزاعي:

الخطبة بدون المقدمة. و المقدمة عن الكامل للبهائي: 2/ 299- 302، و انظر حياة الإمام زين العابدين للقرشي: 175- 177. [↑](#footnote-ref-121)
122. ( 1) تاريخ الطبري: 5/ 462، و الارشاد: 2/ 122. [↑](#footnote-ref-122)
123. ( 2) اللهوف في قتلى الطفوف: 85 مرسلا و رواه ابن سعد في الطبقات مسندا عن المنهال بن عمرو الكوفي في الكوفة و ليس الشام، و الخبر أكثر من هذا و إنّما هذا مختصر الخبر. [↑](#footnote-ref-123)
124. ( 1) الطبري: 5/ 462، و الارشاد: 2/ 122 و عنهما في وقعة الطف لأبي مخنف: 272. [↑](#footnote-ref-124)
125. ( 2) عن تفسير المطالب في أمالي أبي طالب: 93، و الحدائق الوردية: 1/ 133. [↑](#footnote-ref-125)
126. ( 1) الإرشاد: 2/ 117 و عنه في وقعة الطف لأبي مخنف: 265، 266. [↑](#footnote-ref-126)
127. ( 1) اللهوف: 116، بحار الأنوار: 45/ 148- 149. [↑](#footnote-ref-127)
128. ( 1) تأريخ الطبري: 5/ 479، 480. [↑](#footnote-ref-128)
129. ( 2) الطبري: 5/ 480 و عنه في الكامل في التأريخ: 4/ 103. [↑](#footnote-ref-129)
130. ( 1) تأريخ الطبري: 4/ 485، و الكامل في التأريخ: 4/ 113. [↑](#footnote-ref-130)
131. ( 2) الطبري: 5/ 484 و عنه في الكامل. [↑](#footnote-ref-131)
132. ( 3) التنبيه و الاشراف: 263 ط. القاهرة. [↑](#footnote-ref-132)
133. ( 1) البداية و النهاية: 8/ 220، و تأريخ الخلفاء: 233. أمّا الطبري فلم يذكر إلّا إباحة القتال و الأموال ثلاثة أيام:

5/ 491 و ترك ذكر الفروج و تبعه الجزري في الكامل. [↑](#footnote-ref-133)
134. ( 2) تاريخ ابن عساكر: 10/ 13، المحاسن و المساوئ: 1/ 104. [↑](#footnote-ref-134)
135. ( 1) تاريخ الطبري 5/ 493 و 495 و عنه في الكامل في التاريخ: 4/ 118 و في مروج الذهب 3: 70، الكامل في التاريخ 4: 118، و البداية و النهاية 8: 222.

و قد جاء في تاريخ اليعقوبي 2: 251: كان الرجل من قريش يؤتى به فيقال: بايع على أنّك عبد قنّ ليزيد، فيقول:

لا. فيضرب عنقه. [↑](#footnote-ref-135)
136. ( 2) الكامل في التأريخ: 4/ 118، مروج الذهب: 3/ 70. [↑](#footnote-ref-136)
137. ( 3) تأريخ الطبري: 5/ 492 و عنه في الكامل في التاريخ: 4/ 118. [↑](#footnote-ref-137)
138. ( 4) تأريخ الطبري: 5/ 493، الاخبار الطوال: 265. [↑](#footnote-ref-138)
139. ( 1) النظرية السياسية لدى الإمام زين العابدين، محمود البغدادي: 273. المجمع العالمي لأهل البيت( عليهم السّلام)- الطبعة الاولى سنة 1415 ه. [↑](#footnote-ref-139)
140. ( 2) كشف الغمة: 2/ 319 عن نثر الدرر للآبي( ق 4 ه) عن ابن الأعرابي. [↑](#footnote-ref-140)
141. ( 3) الإرشاد: 2/ 152. [↑](#footnote-ref-141)
142. ( 1) تأريخ الطبري: 5/ 497 و عنه في الكامل في التاريخ: 4/ 123. [↑](#footnote-ref-142)
143. ( 2) وقعة صفين: 206 و 213 و في الإصابة: 3/ 493- 494. [↑](#footnote-ref-143)
144. ( 3) البداية و النهاية: 8/ 223، رواه عن النسائي، و روى مثله عن أحمد بن حنبل. انظر أحاديث اخرى عن هذا الموضوع في كنز العمال، كتاب الفضائل الحديث 34886، و وفاء الوفاء: 90، و سفينة البحار: 8/ 38، 39 عن دعائم الإسلام. [↑](#footnote-ref-144)
145. ( 1) تأريخ الطبري: 5/ 498 و عنه في الكامل في التأريخ: 4/ 24 عن الكلبي عن عوانة بن الحكم، ثم روى أخبارا عن ابن عمر تحاول نسبة الحرق إلى أصحاب ابن الزبير خطأ، في محاولة لتبرير يزيد الشّرير. [↑](#footnote-ref-145)
146. ( 1) منطقة في شرق دمشق. [↑](#footnote-ref-146)
147. ( 1) زندگاني عليّ بن الحسين: 92- حياة الإمام علي بن الحسين( عليه السّلام). [↑](#footnote-ref-147)
148. ( 2) تاريخ الطبري: 6/ 12- 14 برواية أبي مخنف. و ابن نما الحلّي في كتابه: شرح الثأر روى عن والده: أنّه قال لهم: قوموا بنا إلى إمامي و إمامكم علي بن الحسين، فلمّا دخلوا عليه و أخبروه خبرهم الذي جاؤوا لأجله قال لعمّه محمّد: يا عمّ، لو أنّ عبدا زنجيّا تعصّب لنا أهل البيت لوجب على الناس مؤازرته، و قد وليّتك هذا الأمر فاصنع ما شئت. فخرجوا و هم يقولون: قد أذن لنا زين العابدين و محمّد بن الحنفية، كما روى عنه في بحار الأنوار: 45/ 365. [↑](#footnote-ref-148)
149. ( 1) رجال الكشي: 127 ح 203 و عنه في. المختار الثقفي: 124. [↑](#footnote-ref-149)
150. ( 2) تأريخ اليعقوبي: 2/ 259 ط بيروت. [↑](#footnote-ref-150)
151. ( 3) المصدر السابق. [↑](#footnote-ref-151)
152. ( 4) العقد الفريد: 5/ 143. [↑](#footnote-ref-152)
153. ( 1) تاريخ الطبري: 5/ 451 و عنه في وقعة الطف: 254 و قريبا منه في الإرشاد: 2/ 110، 111. و ليس فيه:

سنين كسنيّ يوسف، و لا غلام ثقيف. [↑](#footnote-ref-153)
154. ( 2) حياة الحيوان: 167. [↑](#footnote-ref-154)
155. ( 3) حياة الحيوان: 1/ 170. [↑](#footnote-ref-155)
156. ( 4) معجم البلدان: 5/ 349. [↑](#footnote-ref-156)
157. ( 1) تهذيب التهذيب: 2/ 212. [↑](#footnote-ref-157)
158. ( 2) شرح النهج: 15/ 242 عن كتاب: افتراق هاشم و عبد شمس للدبّاس. و قد ورد الخبر قبله في الكامل للمبرّد: 1/ 222. و في سنن أبي داود: 4/ 209 و البداية و النهاية: 9/ 131 و النصائح الكافية لابن عقيل: 11 عن الجاحظ، و في رسائل الجاحظ: 2/ 16. [↑](#footnote-ref-158)
159. ( 3) تاريخ الخلفاء: 220. [↑](#footnote-ref-159)
160. ( 4) البداية و النهاية: 9/ 68. [↑](#footnote-ref-160)
161. ( 5) مروج الذهب: 3/ 96. [↑](#footnote-ref-161)
162. ( 1) مروج الذهب: 3/ 96. [↑](#footnote-ref-162)
163. ( 2) تأريخ الخلفاء: 223. [↑](#footnote-ref-163)
164. ( 1) هناك من المؤرّخين من يرى أنّ هشام بن عبد الملك هو الذي دسّ السمّ للإمام( عليه السّلام)، راجع بحار الأنوار: 46/ 153، و يمكن الجمع بين الرأيين فيكون أحدهما آمرا و الآخر منفّذا للجريمة. [↑](#footnote-ref-164)
165. ( 2) راجع: حياة الإمام زين العابدين: 678. [↑](#footnote-ref-165)
166. ( 3) بحار الأنوار: 46/ 153 عن الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي: 194. [↑](#footnote-ref-166)
167. ( 1) أهل البيت تنوع أدوار و وحدة هدف: 117- 122، طبعة دار التعارف. [↑](#footnote-ref-167)
168. ( 2) بحث حول الولاية: 15، طبعة دار التعارف. [↑](#footnote-ref-168)
169. ( 3) المصدر السابق: 59. [↑](#footnote-ref-169)
170. ( 1) بحث حول الولاية: 57- 58. [↑](#footnote-ref-170)
171. ( 2) المصدر السابق: 60- 61. [↑](#footnote-ref-171)
172. ( 1) راجع: أهل البيت تنوّع أدوار و وحدة هدف: 127- 129. [↑](#footnote-ref-172)
173. ( 1) أهل البيت تنوّع أدوار و وحدة هدف: 122. [↑](#footnote-ref-173)
174. ( 2) المصدر السابق: 59. [↑](#footnote-ref-174)
175. ( 1) أهل البيت تنوع ادوار و وحدة هدف: 131- 132 و 147- 148. [↑](#footnote-ref-175)
176. ( 1) أهل البيت تنوع أدوار و وحدة هدف: 144. [↑](#footnote-ref-176)
177. ( 1) أهل البيت تنوع أدوار و وحدة هدف: 79- 80. [↑](#footnote-ref-177)
178. ( 1) حياة الإمام زين العابدين دراسة و تحليل: 665. [↑](#footnote-ref-178)
179. ( 2) الأغاني: 1/ 55، 4/ 400، 5/ 111. [↑](#footnote-ref-179)
180. ( 3) الأغاني: 8/ 224. [↑](#footnote-ref-180)
181. ( 4) العقد الفريد: 3/ 233. [↑](#footnote-ref-181)
182. ( 1) العقد الفريد: 3/ 245. [↑](#footnote-ref-182)
183. ( 2) راجع: الأغاني: 2/ 226، 3/ 307، 4/ 222، 6/ 21، 7/ 316، و 332، 8/ 227، 10/ 57. و الشعر و الغناء في المدينة و مكة: 250. [↑](#footnote-ref-183)
184. ( 3) حياة الإمام زين العابدين، دراسة و تحليل: 672- 673. [↑](#footnote-ref-184)
185. ( 1) التوبة( 9): 111. [↑](#footnote-ref-185)
186. ( 2) من لا يحضره الفقيه: 2/ 141، و مناقب آل أبي طالب: 4/ 173 باختلاف يسير في الألفاظ. [↑](#footnote-ref-186)
187. ( 1) القصيدة طويلة و هي مذكورة في كثير من المصادر التأريخية و الأدبية، انظر: و فيات الأعيان لابن خلّكان: 6/ 96، الإرشاد للمفيد: 2/ 150، 151 عن محمّد بن اسماعيل بن جعفر الصادق( عليه السّلام) و راجع غيرهما من المصادر في أوائل الفصل الأوّل من الباب الأوّل. [↑](#footnote-ref-187)
188. گروه مؤلفان، أعلام الهداية - قم، چاپ: دوم، 1425 ه.ق. [↑](#footnote-ref-188)
189. ( 1) كانت عملية منع الحديث- تدوينا و رواية- قد بدأت بعد وفاة الرسول( صلّى اللّه عليه و اله) مباشرة. [↑](#footnote-ref-189)
190. ( 2) المحاسن: 221 ح 133. [↑](#footnote-ref-190)
191. ( 3) تفسير البرهان: 3/ 156. [↑](#footnote-ref-191)
192. ( 4) بحار الأنوار: 46/ 107. [↑](#footnote-ref-192)
193. ( 5) المصدر السابق: 70، ب 5، ح 45. [↑](#footnote-ref-193)
194. ( 1) الاحتجاج: 312- 319. [↑](#footnote-ref-194)
195. ( 2) التوحيد للصدوق: 366. [↑](#footnote-ref-195)
196. ( 3) كشف الغمة: 2/ 89. [↑](#footnote-ref-196)
197. ( 4) جهاد الإمام السجاد: 107. [↑](#footnote-ref-197)
198. ( 1) أمالي الصدوق: 112، الاحتجاج: 317. [↑](#footnote-ref-198)
199. ( 2) تأريخ دمشق: الحديث 21. [↑](#footnote-ref-199)
200. ( 3) كفاية الأثر: 236- 237. [↑](#footnote-ref-200)
201. ( 1) نزهة الناظر: 45. [↑](#footnote-ref-201)
202. ( 2) إكمال الدين: 324، الباب 31، الحديث 9. [↑](#footnote-ref-202)
203. ( 1) نشأة الشيعة و التشيّع، للشهيد السيّد محمد باقر الصدر. [↑](#footnote-ref-203)
204. ( 2) قد أشرنا إلى حادثة استلام الإمام( عليه السّلام) للحجر بعد أن انفرج الحجيج له، راجع الصفحة 111 من الكتاب. [↑](#footnote-ref-204)
205. ( 1) مختصر تأريخ دمشق: 17/ 21. [↑](#footnote-ref-205)
206. ( 1) جهاد الإمام السجاد( عليه السّلام): 154. [↑](#footnote-ref-206)
207. ( 2) لاحظ تنقيح المقال: 2/ 251. [↑](#footnote-ref-207)
208. ( 3) تأريخ دمشق: 41/ 410، مختصر ابن منظور: 17/ 255. [↑](#footnote-ref-208)
209. ( 1) حياة الإمام زين العابدين: 187 نقلا عن تفسير الإمام الحسن العسكري. [↑](#footnote-ref-209)
210. ( 2) الخصال: 488. [↑](#footnote-ref-210)
211. ( 1) نهاية الإرب: 21/ 326، سير أعلام النبلاء: 4/ 238. [↑](#footnote-ref-211)
212. ( 2) الخصال: 2/ 620. [↑](#footnote-ref-212)
213. ( 3) بحار الأنوار: 46/ 58. [↑](#footnote-ref-213)
214. ( 1) بحار الأنوار: 46/ 108. [↑](#footnote-ref-214)
215. ( 2) حياة الإمام زين العابدين( عليه السّلام): 190. [↑](#footnote-ref-215)
216. ( 3) وسائل الشيعة: 4/ 685. [↑](#footnote-ref-216)
217. ( 4) المصدر السابق. [↑](#footnote-ref-217)
218. ( 1) تهذيب الأحكام: 2/ 286 ح 1146. [↑](#footnote-ref-218)
219. ( 2) بحار الأنوار: 46/ 108. [↑](#footnote-ref-219)
220. ( 3) علل الشرائع: 88، بحار الأنوار: 46/ 61. [↑](#footnote-ref-220)
221. ( 4) تهذيب التهذيب: 7/ 306، نور الأبصار: 136، الإتحاف بحب الأشراف: 49، و مصادر اخرى. [↑](#footnote-ref-221)
222. ( 5) بحار الأنوار: 46/ 61، الخصال: 487. [↑](#footnote-ref-222)
223. ( 6) الخصال: 488. [↑](#footnote-ref-223)
224. ( 7) وسائل الشيعة: 4/ 981. [↑](#footnote-ref-224)
225. ( 1) وسائل الشيعة: 4/ 1079. [↑](#footnote-ref-225)
226. ( 2) دعوات القطب الراوندي: 34. [↑](#footnote-ref-226)
227. ( 3) عن صفة الصفوة: 2/ 53 و كشف الغمة: 2/ 263. [↑](#footnote-ref-227)
228. ( 4) خوالي الأعوام: مواضيها. [↑](#footnote-ref-228)
229. ( 5) أمده: غايته. [↑](#footnote-ref-229)
230. ( 1) تفسخت: أي تقطّعت و تمزّقت و بطلت، فإنّك فوق نعت الناعتين. [↑](#footnote-ref-230)
231. ( 2) الوصلات: وصلة- بالضم- و هي ما يتوصل به إلى المطلوب، يعني أنّه قد فاتتني الأسباب التي يتوصل بها إلى السعادات الاخروية إلّا السبب الذي هو رحمتك فانه لا يفوت من أحد، لأنّها وسعت كلّ شي‏ء. [↑](#footnote-ref-231)
232. ( 3) عصم: جمع عصمة، و هي الوقاية و الحفظ. [↑](#footnote-ref-232)
233. ( 4) ما أبوء: أقرّ و أرجع. [↑](#footnote-ref-233)
234. ( 5) صدف: خرج و أعرض. [↑](#footnote-ref-234)
235. ( 6) يصول: من الصولة بمعنى الحملة. [↑](#footnote-ref-235)
236. ( 7) تذر: تترك. [↑](#footnote-ref-236)
237. ( 8) رميما: باليا. [↑](#footnote-ref-237)
238. ( 9) حميما: ماء شديد الحرارة. [↑](#footnote-ref-238)
239. ( 10) النكال: العقوبة. [↑](#footnote-ref-239)
240. ( 11) الوبال: الوخامة و سوء العاقبة. [↑](#footnote-ref-240)
241. ( 12) الصحيفة الكاملة السجادية: الدعاء 32. [↑](#footnote-ref-241)
242. ( 1) الإرشاد: 272، روضة الواعظين: 1/ 237. [↑](#footnote-ref-242)
243. ( 2) بحار الأنوار: 46/ 99. [↑](#footnote-ref-243)
244. ( 3) المصدر السابق: 46/ 99. [↑](#footnote-ref-244)
245. ( 4) مناقب آل أبي طالب: 4/ 161، 162. [↑](#footnote-ref-245)
246. ( 1) دعوات الراوندي: 4. [↑](#footnote-ref-246)
247. ( 2) فروع الكافي: 4/ 88. [↑](#footnote-ref-247)
248. ( 3) سبّلنا: أدخلنا. [↑](#footnote-ref-248)
249. ( 1) أي: املأه بعبادتنا إيّاك. [↑](#footnote-ref-249)
250. ( 2) الصحيفة الكاملة السجادية: الدعاء 44. [↑](#footnote-ref-250)
251. ( 3) بحار الأنوار: 46/ 72. [↑](#footnote-ref-251)
252. ( 1) سورة النور( 24): 22. [↑](#footnote-ref-252)
253. ( 1) بحار الأنوار: 46/ 103- 105. [↑](#footnote-ref-253)
254. ( 1) برح المكان و منه: زال عنه. [↑](#footnote-ref-254)
255. ( 2) تملقك: التودّد اليك. [↑](#footnote-ref-255)
256. ( 3) سريرتي: نيّتي. [↑](#footnote-ref-256)
257. ( 4) السيب: العطاء. [↑](#footnote-ref-257)
258. ( 1) راجع: مفاتيح الجنان« الدعاء المعروف بدعاء أبي حمزة الثمالي». [↑](#footnote-ref-258)
259. ( 2) مضّ: آلم. [↑](#footnote-ref-259)
260. ( 3) انسلخ الشهر: مضى. [↑](#footnote-ref-260)
261. ( 4) راجع: الصحيفة السجادية« الدعاء في وداع شهر رمضان». [↑](#footnote-ref-261)
262. ( 5) وسائل الشيعة: 8/ 5. [↑](#footnote-ref-262)
263. ( 1) فروع الكافي: 4/ 252. [↑](#footnote-ref-263)
264. ( 2) من لا يحضره الفقيه: 2/ 208 ح 2168. [↑](#footnote-ref-264)
265. ( 3) بحار الأنوار: 99/ 386 مع اختلاف في اللفظ. [↑](#footnote-ref-265)
266. ( 4) الفصول المهمة: 189. [↑](#footnote-ref-266)
267. ( 5) حياة الإمام زين العابدين: 227. [↑](#footnote-ref-267)
268. ( 1) نهاية الإرب: 21/ 326. [↑](#footnote-ref-268)
269. ( 2) المؤمنون( 23): 101. [↑](#footnote-ref-269)
270. ( 3) الأنبياء( 21): 28. [↑](#footnote-ref-270)
271. ( 4) الأعراف( 7): 56. [↑](#footnote-ref-271)
272. ( 5) بحار الأنوار: 46/ 101. [↑](#footnote-ref-272)
273. ( 1) مناقب آل أبي طالب: 4/ 163، 164، و بحار الأنوار: 46/ 81. [↑](#footnote-ref-273)
274. ( 2) بديع السماوات و الأرض: مخترعها لا عن مثال سابق، أو أنّ السماوات و الأرض بديعة، أي عديمة النظير. [↑](#footnote-ref-274)
275. ( 1) لا يعزب: لا يغيب. [↑](#footnote-ref-275)
276. ( 2) المحال: الأخذ. [↑](#footnote-ref-276)
277. ( 1) سربلني: قمّصني، و السربال: القميص. [↑](#footnote-ref-277)
278. ( 2) منازلتي ايّاك: أي مراجعتي. [↑](#footnote-ref-278)
279. ( 3) عامها: العمه في البصيرة كالعمى في البصر. [↑](#footnote-ref-279)
280. ( 4) و لا في غمرتي: أي إغمائي و غفلتي، ناظرا إلى قوله سبحانه:\i فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ‏\E.

المؤمنون( 23): 54. [↑](#footnote-ref-280)
281. ( 5) الصحيفة الكاملة السجادية: الدعاء 47. [↑](#footnote-ref-281)
282. ( 1) لا يحفيه سائل: أي لا يستقصيه في السؤال، إذ كلما سأله شيئا فما بقي عنده فهو أكثر منه بكثير، بل لا نسبة بينهما، لنهاية أحدهما و لا نهاية الآخر. [↑](#footnote-ref-282)
283. ( 2) عكوفهم: إقامتهم و مواظبتهم. [↑](#footnote-ref-283)
284. ( 3) أن عدت: أي عن أن عدت، و حذف مثله قياسي، و« أن» مصدرية يعني العود. [↑](#footnote-ref-284)
285. ( 4) إنّ هذا المقام: أي مقام صلاة الجمعة أو العيد. [↑](#footnote-ref-285)
286. ( 5) لخلفائك: أي الأئمة المعصومين( عليهم السّلام)، يعني هم المستحقّون لذلك، و أن يكون أزمّته بأيديهم، فامّا يجعلونه لأنفسهم كما في زمن حضورهم و بلد شهادتهم و أمنهم من الضرر، أو يأذنون لمن يرونه أهلا له عموما أو خصوصا، كما في زمن غيبتهم أو تقيّتهم، و في غير بلد حضورهم. [↑](#footnote-ref-286)
287. ( 6) و مواضع امنائك: نصب عطف على« هذا المقام»، و« لخلفائك» متعلق بهذا« المقام»، أو خبر له. [↑](#footnote-ref-287)
288. ( 7) قد ابتزوها: الابتزاز و البزّ: السلب و النزع و أخذ الشي‏ء بجفاء و قهر، و العائد للدرجة أو للمواضع أو للمقام باعتبار اكتساب تأنيث الدرجة. [↑](#footnote-ref-288)
289. ( 1) الدعاء: 48 من الصحيفة الكاملة السجاديّة. [↑](#footnote-ref-289)
290. ( 2) الفرقان( 25): 77. [↑](#footnote-ref-290)
291. ( 3) فلاح السائل للسيد ابن طاووس: 26، طبعة مكتب الإعلام الإسلامي للحوزة العلمية في قم المقدسة. [↑](#footnote-ref-291)
292. ( 1) الدعاء الخامس من الصحيفة الكاملة. [↑](#footnote-ref-292)
293. ( 2) مناجاة الراجين. [↑](#footnote-ref-293)
294. ( 3) طولك: فضلك. [↑](#footnote-ref-294)
295. ( 4) ترادف: تتابع. [↑](#footnote-ref-295)
296. ( 5) عوائدك: جمع عائدة و هي المعروف و المنفعة. [↑](#footnote-ref-296)
297. ( 6) نشري: يعني هنا بسط الحديث بالمدح. [↑](#footnote-ref-297)
298. ( 1) جلّلتني: غطّتني، و غمرتني. [↑](#footnote-ref-298)
299. ( 2) كللا: كلل جمع الكلّة و هي بيت أو خيمة رقيقة تضرب للمبيت تمنع من الذباب و البعوض و إنّما ذلك لأرباب النعمة. [↑](#footnote-ref-299)
300. ( 3) لا تفلّ: لا تثلم. [↑](#footnote-ref-300)
301. ( 4) مناجاة الشاكرين. [↑](#footnote-ref-301)
302. ( 5) مناجاة المطيعين. [↑](#footnote-ref-302)
303. ( 6) البدار: السباق. [↑](#footnote-ref-303)
304. ( 1) المآرب: جمع مآرب و مأربة أي الحاجة. [↑](#footnote-ref-304)
305. ( 2) ولهي: تحيّري من شدّة الوجد. [↑](#footnote-ref-305)
306. ( 3) صبابتي: شوقي. [↑](#footnote-ref-306)
307. ( 4) الروح: الفرح و الراحة. [↑](#footnote-ref-307)
308. ( 5) غلّتي: عطشي الشديد. [↑](#footnote-ref-308)
309. ( 6) لوعتي: حرقة حزني و هواي و وجدي. [↑](#footnote-ref-309)
310. ( 7) كربتي: همّي و غمي. [↑](#footnote-ref-310)
311. ( 8) مناجاة المريدين. [↑](#footnote-ref-311)
312. ( 9) خلّتي: حاجتي و فقري. [↑](#footnote-ref-312)
313. ( 10) مناجاة المفتقرين. [↑](#footnote-ref-313)
314. ( 1) مناجاة العارفين. [↑](#footnote-ref-314)
315. ( 2) الخلاء: المكان الفارغ الذي ليس فيه أحد. [↑](#footnote-ref-315)
316. ( 3) الملاء: اجتماع الناس. [↑](#footnote-ref-316)
317. ( 4) جنان: القلب. [↑](#footnote-ref-317)
318. ( 5) مناجاة الذاكرين. [↑](#footnote-ref-318)
319. ( 1) نفس المهموم، المحدّث القمي: 408. [↑](#footnote-ref-319)
320. ( 2) راجع الفصل الخاصّ بتراثه( عليه السّلام). [↑](#footnote-ref-320)
321. ( 1) جهاد الإمام السجّاد: 224- 225. [↑](#footnote-ref-321)
322. ( 2) كشف الغمة: 2/ 7- 12. [↑](#footnote-ref-322)
323. ( 1) أعيان الشيعة: 1/ 636، سيرة علي بن الحسين( عليه السّلام) بكاءه على أبيه. [↑](#footnote-ref-323)
324. ( 2) المصدر السابق. [↑](#footnote-ref-324)
325. ( 3) بحار الأنوار: 46/ 108 عن مناقب آل أبي طالب: 4/ 179 و 180 و عن حلية الأولياء: 3/ 138. [↑](#footnote-ref-325)
326. ( 4) راجع: ثواب الأعمال: 83. [↑](#footnote-ref-326)
327. ( 1) الإمام زين العابدين للسيّد الموسوي المقرّم: 360- 365، نشر دار الشبستري للمطبوعات. و في النص مقاطع أخذها من مصادر اخرى ذكرها في الكتاب. [↑](#footnote-ref-327)
328. ( 2) جهاد الإمام السجاد: 220. [↑](#footnote-ref-328)
329. ( 1) بحار الأنوار: 46/ 79، باب 5، ح 75. [↑](#footnote-ref-329)
330. ( 2) نقش الخواتيم للسيد جعفر مرتضى: 11. [↑](#footnote-ref-330)
331. ( 3) مختصر تأريخ دمشق: 17/ 284. [↑](#footnote-ref-331)
332. ( 1) البقرة( 2): 282. [↑](#footnote-ref-332)
333. ( 2) النجم( 53): 3- 4. [↑](#footnote-ref-333)
334. ( 1) راجع مصادر و أسانيد و نصوص هذا الحديث الشريف و المتواتر عند الفريقين في الأعداد 4 إلى 9 من مجلة رسالة الثقلين، و حديث الثقلين، طبعة دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، مصر: 9. [↑](#footnote-ref-334)
335. ( 1) القسط: العدل. [↑](#footnote-ref-335)
336. ( 2) لا يحيف: لا يميل. [↑](#footnote-ref-336)
337. ( 3) جواسي: جمع جاسية و هي الغليظة، و المراد غلاظ الألسنة. [↑](#footnote-ref-337)
338. ( 4) الصحيفة السجادية: من دعائه في ختم القرآن( 42). [↑](#footnote-ref-338)
339. ( 1) حياة الإمام زين العابدين( عليه السّلام): 2/ 32. [↑](#footnote-ref-339)
340. ( 2) حياة الإمام الباقر: 1/ 11، نقلا عن الفهرست للشيخ الطوسي: 98. [↑](#footnote-ref-340)
341. ( 3) البقرة( 2): 22. [↑](#footnote-ref-341)
342. ( 4) الحمأ: شدّة حرارة الشمس. [↑](#footnote-ref-342)
343. ( 5) تعطبكم: أي تهلكم. [↑](#footnote-ref-343)
344. ( 6) المتانة: ما صلب من الأرض و ارتفع. [↑](#footnote-ref-344)
345. ( 7) الأوهاد: الأرض المنخفضة. [↑](#footnote-ref-345)
346. ( 8) الهطل: المطر الضعيف الدائم. [↑](#footnote-ref-346)
347. ( 1) عيون أخبار الرضا: 2/ 125- 126. طبعة مؤسسة الاعلمي- بيروت. [↑](#footnote-ref-347)
348. ( 1) البقرة( 2): 208. [↑](#footnote-ref-348)
349. ( 2) تفسير البرهان: 1/ 129. [↑](#footnote-ref-349)
350. ( 3) التوبة( 9): 105. [↑](#footnote-ref-350)
351. ( 4) تفسير البرهان: 1/ 441، تفسير الصافي: 2/ 372- 373. [↑](#footnote-ref-351)
352. ( 5) المعارج( 70): 24 و 25. [↑](#footnote-ref-352)
353. ( 1) لآلئ الأخبار: 3/ 3، وسائل الشيعة: 6/ 69. [↑](#footnote-ref-353)
354. ( 2) الحجر( 15): 85. [↑](#footnote-ref-354)
355. ( 3) وسائل الشيعة: 5/ 519. [↑](#footnote-ref-355)
356. ( 1) بحار الأنوار: 22/ 470. [↑](#footnote-ref-356)
357. ( 2) المصدر السابق: 23/ 119. [↑](#footnote-ref-357)
358. گروه مؤلفان، أعلام الهداية - قم، چاپ: دوم، 1425 ه.ق. [↑](#footnote-ref-358)
359. ( 1) التوحيد للشيخ الصدوق: 366- 367 منشورات جامعة المدرّسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة، الطبعة السادسة. [↑](#footnote-ref-359)
360. ( 2) حياة الإمام زين العابدين: 304. [↑](#footnote-ref-360)
361. ( 3) معجم أحاديث الإمام المهدي( عج): 3/ 190. [↑](#footnote-ref-361)
362. ( 4) المصدر السابق: 3/ 191. [↑](#footnote-ref-362)
363. ( 5) المصدر السابق: 3/ 193. [↑](#footnote-ref-363)
364. ( 1) معجم أحاديث الإمام المهدي( عج): 3/ 194. [↑](#footnote-ref-364)
365. ( 2) المصدر السابق. [↑](#footnote-ref-365)
366. ( 3) في الكنى و الألقاب للشيخ عباس القمي: 1/ 60 قال:« قال الفضل بن شاذان: و لم يكن في زمن عليّ بن الحسين( عليه السّلام) في أول أمره إلّا خمسة أنفس: سعيد بن جبير، سعيد بن المسيّب، محمد بن جبير بن مطعم، يحيى بن ام الطويل، أبو خالد الكابلي و اسمه وردان و لقبه كنكر. ثم قال: و في خبر الحواريّين أنّه من حواري عليّ بن الحسين( عليه السّلام) و قد شاهد كثيرا من دلائل الأئمّة( عليهم السّلام). [↑](#footnote-ref-366)
367. ( 1) الاحتجاج: 2/ 48- 50 احتجاجات الإمام عليّ بن الحسين( عليه السّلام). [↑](#footnote-ref-367)
368. ( 1) راجع ترجمة الإمام زين العابدين( عليه السّلام) من تاريخ دمشق، تحقيق محمد باقر المحمودي: 27. [↑](#footnote-ref-368)
369. ( 1) تأريخ دمشق: 36/ 16، بحار الأنوار: 46/ 7. [↑](#footnote-ref-369)
370. ( 1) النساء( 4): 92. [↑](#footnote-ref-370)
371. ( 2) الظهار: أن يقول الرجل لزوجته: أنت عليّ كظهر امّي. [↑](#footnote-ref-371)
372. ( 3) المجادلة( 58): 3- 4. [↑](#footnote-ref-372)
373. ( 4) المائدة( 5): 89. [↑](#footnote-ref-373)
374. ( 5) البقرة( 2): 96. [↑](#footnote-ref-374)
375. ( 6) البقرة( 2): 196. [↑](#footnote-ref-375)
376. ( 7) المائدة( 5): 95. [↑](#footnote-ref-376)
377. ( 8) المقنعة، الشيخ المفيد: 363. [↑](#footnote-ref-377)
378. ( 1) الاعتكاف إنّما يجب بعد مضي يومين منه فيتعيّن اليوم الثالث، و كذلك يجب بالنذر و شبهه. [↑](#footnote-ref-378)
379. ( 2) أيام التشريق: هي أيام منى و هي الحادي عشر و الثاني عشر و الثالث عشر بعد يوم النحر. [↑](#footnote-ref-379)
380. ( 3) صوم الوصال: و هو أن يصوم الليل و النهار، و حرمته حرمة تشريعية. [↑](#footnote-ref-380)
381. ( 4) صوم الصمت: هو أن يمسك الإنسان فيه عن الكلام، و قد كان الكلام محرّما على الصائم في الشرائع السابقة، كما أعلن القرآن ذلك في قصة مريم، قال تعالى:\i إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا\E إلّا أنّه نسخ في الشريعة الإسلامية المقدسة. [↑](#footnote-ref-381)
382. ( 1) الأيام البيض: و هي الثالث عشر و الرابع عشر و الخامس عشر، و سمّيت لياليها بيضا لأنّ القمر يطلع فيها من أولها الى آخرها. جاء ذلك في مجمع البحرين( مادة: بيض). [↑](#footnote-ref-382)
383. ( 2) فروع الكافي: 1/ 185، الخصال: 501- 504، تفسير القمّي: 172- 175، المقنعة: 58، التهذيب:

1/ 435. [↑](#footnote-ref-383)
384. ( 1) الدعاء 51 من الصحيفة الثانية التي جمعها الشيخ الحرّ العاملي. [↑](#footnote-ref-384)
385. ( 2) دعاءه لأهل الثغور في الصحيفة الكاملة أو الجامعة. [↑](#footnote-ref-385)
386. ( 1 و 2) تأريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي: 353. [↑](#footnote-ref-386)
387. ( 1 و 2) تأريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي: 353. [↑](#footnote-ref-387)
388. ( 1) الاحتجاج للطبرسي: احتجاجات الإمام زين العابدين( عليه السّلام). [↑](#footnote-ref-388)
389. ( 1) سبأ( 34): 18. [↑](#footnote-ref-389)
390. ( 2) الطلاق( 65): 8. [↑](#footnote-ref-390)
391. ( 3) الكهف( 18): 59. [↑](#footnote-ref-391)
392. ( 4) يوسف( 12): 82. [↑](#footnote-ref-392)
393. ( 5) الاحتجاج 2: احتجاجات الإمام زين العابدين( عليه السّلام). [↑](#footnote-ref-393)
394. ( 1) الاحتجاج للطبرسي: احتجاجات الإمام زين العابدين( عليه السّلام). [↑](#footnote-ref-394)
395. ( 1) الاحتجاج: احتجاجات الإمام زين العابدين( عليه السّلام). [↑](#footnote-ref-395)
396. ( 1 و 2) الاحتجاج: احتجاجات الإمام زين العابدين( عليه السّلام). [↑](#footnote-ref-396)
397. ( 1 و 2) الاحتجاج: احتجاجات الإمام زين العابدين( عليه السّلام). [↑](#footnote-ref-397)
398. ( 3) تحف العقول لابن شعبة الحرّاني: 182- 184/ ط. مؤسسة الأعلمي- بيروت. [↑](#footnote-ref-398)
399. ( 4) الحطام: القشر، و المعنى: أنّ ما فيها من مال كثير أو قليل يغنى و لا يبقى. [↑](#footnote-ref-399)
400. ( 5) الهامد: اليابس. [↑](#footnote-ref-400)
401. ( 1) القرار: ما قرّ فيه أي فعل فيه السكن أو السكون. [↑](#footnote-ref-401)
402. ( 2) تصريف أيامها: تحوّلها من وجه إلى وجه. [↑](#footnote-ref-402)
403. ( 3) خليط: مخالط، مجالس. [↑](#footnote-ref-403)
404. ( 1) المؤمنون( 23): 99 و 100. [↑](#footnote-ref-404)
405. ( 2) ابراهيم( 14): 14. [↑](#footnote-ref-405)
406. ( 3) البلد( 90): 8- 10. [↑](#footnote-ref-406)
407. ( 1) يجأرون إلى ربّهم: يتضرّعون اليه تعالى. [↑](#footnote-ref-407)
408. ( 2) القداح: مفردها قدح و هو السهم قبل أن ينصل و يراش. [↑](#footnote-ref-408)
409. ( 3) كل ما جاء تحت هذا العنوان نقلناه عن تحف العقول 200- 205. [↑](#footnote-ref-409)
410. ( 4) خطرا: قدرا و شرفا. [↑](#footnote-ref-410)
411. ( 1) الحديد( 57): 23. [↑](#footnote-ref-411)
412. ( 2) أسبغكم: أوسعكم. [↑](#footnote-ref-412)
413. ( 1) الدثار: ما يتغطّى به النائم. [↑](#footnote-ref-413)
414. ( 1) في كنف اللّه: في حرزه و رحمته. [↑](#footnote-ref-414)
415. ( 2) ابراهيم( 14): 34. [↑](#footnote-ref-415)
416. ( 1) حياة الإمام زين العابدين: 477. [↑](#footnote-ref-416)
417. ( 1) الخصال: 564 ط. مؤسسة النشر الإسلامي. [↑](#footnote-ref-417)
418. ( 1) و الظاهر تصحيفه، و الصواب كما سيأتي في تفصيله( عليه السّلام) هذه الحقوق( حقّ مولاك الجارية نعمتك عليه). [↑](#footnote-ref-418)
419. ( 1) الشورى( 42): 41. [↑](#footnote-ref-419)
420. ( 1) منهم العلّامة السيد حسن القبانچي فقد شرحها في جزئين كبيرين باسم: شرح رسالة الحقوق. [↑](#footnote-ref-420)
421. ( 1) حياة الإمام زين العابدين: 373- 374. [↑](#footnote-ref-421)
422. ( 1) راجع فصل: من علوم الإمام( عليه السّلام)، حقائق علميّة في الأدعيّة السجّادية. [↑](#footnote-ref-422)
423. ( 1) نقلا عن مقدمة السيد الشهيد محمد باقر الصدر على الصحيفة السجّادية الكاملة. [↑](#footnote-ref-423)
424. ( 1) حياة الإمام زين العابدين: 375، و راجع شجرة طرق أسانيد الصحيفة السجادية المطبوعة في مؤسسة الإمام المهدي( عليه السّلام) بإشراف السيد الأبطحي. [↑](#footnote-ref-424)
425. ( 2) حياة الإمام زين العابدين( عليه السّلام): 190. [↑](#footnote-ref-425)
426. ( 1) حياة الإمام زين العابدين( عليه السّلام) السيد جعفر شهيدي: 191. [↑](#footnote-ref-426)
427. ( 2) راجع مقدمة الصحيفة السجّادية الجامعة. [↑](#footnote-ref-427)
428. گروه مؤلفان، أعلام الهداية - قم، چاپ: دوم، 1425 ه.ق. [↑](#footnote-ref-428)
429. ( 1) راجع مقدمة السيد الشهيد محمد باقر الصدر للصحيفة السجّادية. [↑](#footnote-ref-429)
430. ( 1) من مقدمة السيد الشهيد محمد باقر الصدر للصحيفة السجّادية. [↑](#footnote-ref-430)
431. ( 2) اصول الكافي: 1/ 35. [↑](#footnote-ref-431)
432. ( 1) حياة الإمام زين العابدين: 23. [↑](#footnote-ref-432)
433. ( 2) الدرّ النظيم: 173. [↑](#footnote-ref-433)
434. ( 1) راجع ترجمته بالتفصيل في حياة الإمام زين العابدين: 522- 527. [↑](#footnote-ref-434)
435. ( 2) المصدر السابق: 529. [↑](#footnote-ref-435)
436. ( 1) راجع تفصيل البحث عن رواة حديث الإمام و تلامذته( حياة الإمام زين العابدين: 517- 587). [↑](#footnote-ref-436)